السينما والمسرح وأمراض النفس

د. أنيس فهمي أقلاديوس

السينما والمسرح
وأمراض النفس

تأليف

د. أنيس فهمي أقلاديوس

الكتاب: السينما والمسرح.. وأمراض النفس

الكاتب: د. أنيس فهمي أقلاديوس

الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

أقلاديوس، فهمي ، د. أنيس

السينما والمسرح.. وأمراض النفس / د. أنيس فهمي أقلاديوس

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٣٦٧ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٣ – ٨٨٤ – ٤٤٦ –٩٧٧ –٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٥٠٧١ / ٢٠١٨

السينما والمسرح وأمراض النفس



تقديم

في عنوان هذا الكتاب ما يفصح عن ماهيته ويشير إلى غايته. والكتاب جدير بالتأمل والتعقيب ... فصاحبه طبيب متخصص في الأمراض الباطنية، هذا في حين أن الكتاب يعالج المسرح والسينما من حيث الحلق التشكيلي والمعنوي للنماذج البشرية التي يؤديها الممثل فوق المسرح أو أعلى الشاشة البيضاء، وهي النماذج التي تكابد انحرافاً في النفس أو لوثة في العقل.

وبعبارات أخرى، نحن أمام طبيب يكتف في فن الممثل، وإذا أردنا الدقة، قلنا إن طبيباً يسخر معارفه فيما من شأنه أن يعمل على تقويم فن الممثل وتثقيفه وتعميقه وتخليصه من السطحية وم الشعوذة. وهذا أمر يدعو إلى العجب ولا شك، ولكننا إذا أخذنا بالتقصي زال العجب وأخلى مكانه لمفاجأة جديرة بالإعجاب ...

إن الطبيب مصنف هذا الكتاب ... ممثل، إذ أنه درس فنون التمثيل، نظراً وممارسة، "بالمعهد العالى لفن التمثيل العربي" التابع لوزارة التربة والتعليم، وحاز إجازة المعهد بتفوق ملحوظ، وذلك بعد احترافه الطب بسنوات.

إلا أن هذا الطبيب الممثل، أو الممثل الطبيب، وقد حالت دون مزاولته التمثيل موانع المهنة الأصلية ومقتضيات البيئة، لم يجد متنفساً لهواية

التمثيل التي تشد على عنقه، إلا أن يكتب في فن التمثيل ... وهذا، كما هو واضح، من باب استكمال النقص لشعور بالنقص، أو هو نزعة هروبية دبرها الوعي الباطن ليريح العقل الظاهر... وثمة أمر آخر، قد يكون من حوافز هذا الطبيب بفن الممثل..

إن مهنة الطبيب ومهنة الممثل صلة حيث المطهر المهني... فالطبيب مقضي عليه أحياناً- وذلك أمام مريض نفذ صبره- بأن يتظاهر بأنه عليم بالداء وقاطع الشفاء.. في حين أنه ما برح يتحسس بواطن الداء ويراجع محفوظه من أسماء الدواء، أو هو مجبر، بحكم المهنة، على أن يتلبس شخصية المتفائل المستبشر أمام مريض يلتقط أنفاسه ويشارف نهايته المحتومة...

ذاك التظاهر، وهذا التلبس، كلاهما من صميم فن الممثل الذي يقضي عليه دوره في مستلزماته، بأن يضحك في حين أن قلبه يتنزى ألماً، ويبكي، أو بأن يتظاهر بالبكاء، والضحك ملأ نفسه.

هذا، فيما أعتقد، جانب من التفسير النفسي لظهور هذا الكتاب.

***

أما التفسير الاجتماعي... فهو أن الوعي الأدبي الفني قد اتسع محيطه، وعمقت أغواره بفعل التقدم الزمني، ثم بتأثير "المعهد العالي لفن التمثيل العربي" الذي يعمل منذ قيامه عام ١٩٤٤، وما زال قائماً ويؤدي

رسالته في تطوير الوعي الفني عامة، وفي تقيم فن الممثل خاصة، وتعقيده وتثقيفه، وإنهاضه على دراسات علمية، بعد أن كان يجري ارتجالا وليس له من معين غير المواهب الفطرية.

ولست بمال أقول أنتقص شأن المواهب الفطرية في تكوين الفنان، بل أكاد أجزم بأن الفنان الكبير يولد، ولا يصنع، غير أن فن التمثيل، وشأنه في هذا شأن سائر الفنون، لا تغني فيه الموهبة عن التعلم، ولا التعلم عن الموهبة.

هذا وقد قام المسرح في الأقطار العربية وبلسان ناسها، من غير ركان مكن تقاليد موروثة أو سناد من علم مكين مؤصل، وذلك باعتبار أنهم المسرح نحلة انتحلناها من الغرب، فيما أوفده إلينا من وافداته في منتصف القرن الماضي.

هذا، وإن كنا، نحن معشر العرب، قد عرفنا (التمثيل) كظاهرة تعبيرية عامة بين جميع البشر، إلا أن هناك فارقاً بين هذا (التمثيل) القائم على مجرد المحاكاة والتقليد، وبين (فن الممثل) وقد تجاوز التقليد والمحاكاة من غير قيد، إلى ما هو أحكم وأدق وأطرف في التعبير الذي يجري في نطاق من معالم وسدود تحددها شخصية الدور الذي نمثله.

***

إن الممثل مهما أوتى من مواهب خصبة في الأداء التمثيلي، وذلك من حيث الفهم والحساسية، والانفعال، والمقدرة على التعبير بالصوت والإيماءة، ثم من حيث ليونته على تقمص شخصية دوره، ليس في وسعه أن يشكل جسمه ويكيف طبعه ويبدو في معالم وسماتع طبقا لشخصية يؤديها، حينما تكون هذه الشخصية على علة نفسية تنخر فيها أو لوثة عقلية تعصف بها، ما لم يكن مستبطنا دخائل تلك العلة وهذه اللوثة في ماهيتها وفي أعراضها الظاهرة، ليعيش فيها ويتقمص صفاتها الشكلية والمعنوية.

وقد يقع أن الممثل يبهر بأدائه التمثيلي، على جهله بهذا، إلا أنه في هذه الحال يؤثر بشخصيته هو، وليس بشخصية الدور الذي بين يديه، وهذا ليس من فن الممثل في نسقه العالي، وفيه ما فيه من استخفاف بعقلية الجمهور، ومن مسخ للحقائق العلمية والنفسية.

***

فهناك ممثلون يحرصون دائماً على أن يؤدوا شخصيات تشكو الشذوذ بما ركب فيها من من التواء في النفس، أو جنة في العقل، وذلك من غير أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتقصي في أعراض هذا الشذوذ وفي مظاهره، وفي سلوكه مع أنفسهم ومع الناس.

كل عدتهم في أداء هذه الأدوار، أن يغربوا كل الغرابة في إتيان حركاتهم وإصدار ضحكاتهم وفي قبض أطراف من أجسامهم. فيبدون وكأنهم من مواليد المريخ أو القمر...

إلا أن ما يقدمونه ينسج تأثيره فيمن تؤثر فيهم الغرابة. لأن وراء ما يقدمونه طبعاً قوياً متدفقاً يبعث الحيوية في كل إيماءة، هذا والكثير من النظارة ليس لديهم ثقافة واسعة يميزون بها بين الصحيح والزائف في مظاهر التعبير عن أدواء النفس وعلل العقل..

وليست هذه الحال وحدها في أداء الشخصيات الشاذة، هي ما يشكو منه فن الممثل في مصر، فهناك أيضاً السطحية في تفهم الأدوار والانفعال بها، ثم القصور في التوغل إلى أعماقها، وهذا وتلك يطبعان أداء أكثر الممثلين والممثلات، ويمتدان إلى نفر من مخرجي المسرحيات والأشرطة السينمائية.
ومرجع هذا، كما ألحت، افتقارنا إلى الأسس العملية الصحيحة في فن الممثل، وشحوب الفكرة السائدة بين الممثلين عن ماهية هذا الفن وعن مقوماته ومقتضيات الخلق الفني الصحيح فيه.

غير أن واجب الإنصاف يقضي بأن أقرر– بأن ممثلة مصرية واحدة، هي المغفور لها (روز اليوسف) حينما أسندوا إليها تمثيل دور الغانية (مرجريت جوتيه) التي ينهش داء السل صدرها وذلك في مسرحية (غادة الكاميليا) عام ١٩٢٣ طلبت مني، وكنت زوجها وزميلها في الجهاد أن

أشرح لها هذا المرض في ماهيته وفي أعراضه، فأخذت أقرأ عليها ما تيسر بين يدي من مصنفات عربية في هذا الموضوع، ولكنها لم تكتف بهذا، فكان أن صحبتها في زيارات عدة لمصلحة الدرن التييكان يشرف عليها متخصص أجنبي...

فعلت هذا لأنها أحست حاجتها إلى المعرفة في دور لا تكفل مواهب الممثل وحدها أمر الابتداع الفني فيه، ولأنها سمعت بأن (سارة برنار) عبقرية المسرح الفرنسي فيما بعد منتصف القرن الماضي، لم تكتنف في سبيل تقويم خلقها الفني لهذه الشخصية المريضة بمدارسة مع الأطباء، بل أقامت ثلاثة أشهر طوال في مصحات السل، أمضتها بين سعال المصدورين وتأوهاتهم وبين صراع الرجاء واليأس في نفوسهم، أمضتها تدرس وتلاحظ أعراض هذا الداء في مظاهره الأكلينيكية في تأثيره المعنوي على نفوس المرضى..

وقد تكون هناك أمثلة من جانب فنانين بالمسرح المصري، ولكنها نادرة ويا للأسف...

وليست أمراض الجسم أبرز طابعاً في أعراضها من علل النفس وأدواء العقل، وأحقها باهتمام الممثل الذي يؤمن بأن عمله إنما هو خلق عسير يجب أن تتوافر له، ليخرج إلى النور كائناً حياً سليما، مستلزمات غير الصوت الجهير والإلقاء المنغم المؤثر، وغير الإيماءة الحاذقة...

***

إلا أن هذه الحالي التي نرثي لها، إلى زوال، وذلك بتأثير نضج الوعي التعليمي، وانتشار الثقافة، وبفعل نزعتنا الأخيرة، إلا إعلاء الجانب العلمي على كل ما سواه، ثم بما تقدمه دور السينما من أشرطة أجنبية تعالج ما انتهت إليه الكشوف العلمية في متاهات النفس ومسالكها.

بعد هذا كله، تتضح لنا أهمية هذا الكتاب الذي اعتبره إنعكاسة للروح التي تسوندنا من حيث نزعتنا إلى الحقائق العلمية.

ولكن ما هذا الكتاب؟

إنه يؤلف فصولا في علم النفس، وفي أدواء الروح، وفي أمراض العقل مما تضمنه المصنفات العلمية المبذولة.

وليس في هذا ما ينتقص من قدر الجهود التي بذلها المؤلف، اذ العبرة في كل عمل أدبي وفني بمعالجة الموضوع، وليس بالموضوع ذاته.

إن هذه الفصول قد عوجلت في تنظيم طريف، ومركز من غير إغماض، وجرت بأسلوب سهل بعيد عن الرطانة العلمية، وتتخللها تطبيقات على شواهد وأمثلة من الحياة الواقعية، وقد انعكست صورها في قصص ومسرحيات وأشرطة سينمائية معروفة، وبهذا اختلط في هذه الفصول الخيال والقصة، بما يقدمه (المعمل) في أحدث كشوفه العلمية، بين البحوث والإحصائيات وبين المخابر والبوادق والقوارير... اختلط كل

هذا في اختلاطه شهية، وبهذا سقط الجفاف الذي يرين على البحوث العلمية التي تنتسب إليها فصول هذا الكتاب.

وعلى الرغم من أن المؤلف لم يعالج فن الممثل في ماهيته، وفي ملكاته، وفي وسائله، لعلمه بأن هذا يتطلب بحوثاً لا تمت بصلة وثيقة إلى الموضوع الذي أدار قلمه فيه، إلا أن المؤلف- وهو الطبيب الممثل- كشف عن وجهه نظره في فن الممثل فيما يجب أن يكونه، كما أبان الممثل أعظم شأناً من الملقى الذي لا يمتلك غير ناصية البيان باللسان فحسب للتأثير على الجمهور، لأن الأول خلاق ومبتدع إذ يعيش في شخصيات عدة ويؤثر بمعالمها وقسماتها، وأن الآخر إنما يعيش في نطاق شخصيته فوق المسرح، ويؤثر بما تنطوي عليه من طبع قوي وصوت ندى النبرات... لقد همس المؤلف همساً رفيقاً ولكنه نافذ، بأن على من يعملون للمسرح والسينما في مصر أن تمتد ثقافتهم إلى آفاق واسعة من العلم والمعرفة؟، لكي يكونوا في صمم فنهم، وفي تمام الاعتزاز بسلامة نتاجه.

للأستاذ زكي طليمات
العميد المؤسس للمعهد العالي لفن التمثيل العربي

القاهرة في ٢٠ يولية ١٩٥٨

مدخل الكتاب

يختص علم النفس الإنساني بدراسة سلوك الفرد ككائن له وحدته أو بعبارة أخرى ككائن متكامل.

ويتشكل سلوك الفرد تبعاً لعدة عوامل متعددة، منها عامل الوراثة الذي ينقل إليه صفات معينة واستعدادات خاصة بآبائه وأجداده، والعوامل التاريخية التي تبحث في تاريخ حياته والظروف الخاصة التي مرت به في الماضي، وعوامل البيئة الحاضرة التي تحيط به، ومنها كذلك العوامل الفسيولوجية التي تختص بوظائف أعضائه من أجهزة وغدد مختلفة، وما يطرأ عليها من تغيرات تنعكس على سلوكه وتصرفاته. لذلك كان من الطبيعي أن تكون مهمة علم النفس الكشف عن مدى وطريقة اشتراك كل هذه العوامل في تحديد سلوك الفرد البشري.

ويهتم علم النفس أيضاً بدراسة مختلف أنواع النشاط الإنساني وفي مقدمتها أوجه النشاط الفني– تلك الأوجه التي تربطها بالدراسات السيكولوجية علاقة وثيقة متعددة الجوانب.

فالنشاط الفني. باعتباره مظهراً من مظاهر السلوك الإنساني، يقع ضمن دائرة اختصاص علم النفس. أي أن علم النفس يتخذ منه موضوعاً لدراساته وأبحاثه. ومن أشهر العلماء الذين ساهموا في هذا الميدان.العالم النمسوي الشهير سيجموند فرويد. وذلك بدراسته التحليلية لأعمال

الرسام الإيطالى ليوناردو دافنشى. وقد حذا حذو فرويد في هذا النوع من الدراسات عدد كبير من العلماء. نذكر منهم على سبيل المثال أرنست چونز وشارل بلوندل: الأول درس هملت لشكسبير، والثاني درس الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو.

وقد قامت أيضاً أبحاث سيكلوجية كثيرة درس فيها أصحابا النشاط الفني على أساس آخر غير النظرية التحليلة، ومن أشهر الباحثين من هذا القبيل هنري دي لاكروا.

أما الجانب الثاني من جوانب العلاقة بين علم النفس والنشاط الفني فيتلخص في أن علماء النفس توصلوا للكثير من اكتشافاتهم من خلال دراساتهم للأعمال الأدبية الفنية، فقد تبين لهم أن كبار الأدباء والشعراء، وفي مقدمتهم شكسپير، توصلوا منذ عهد بعيد إلى الكشف عن الكثير من أغوار النفس البشرية مما أعاد علماء النفس اكتشافه، بوسائلهم الخاصة من مشاهدة وتقارير إكلينيكية ودراسات تجريبية، بعد وفاة شكسپير بثلاثة قرون من الزمان.

وأما الجانب الثالث لهذه العلاقة فيتمثل في أن الفنانين المعاصرين أخذوا يستلهمون الموضوعات السيكولوجية ويتخذون منها موضوعات لأعمالهم الفنية.

ويبدو ذلك بشكل واضح في الأفلام السينمائية والقصص المسرحية والتمثيليات الإذاعية وفي الكثير من الروايات القصصية. ومن أبرز الأمثلة

على ذلك في أدبنا المصري الحديث رواية "السراب" للكاتب نجيب محفوظ. ففي هذه القصة يصور الكاتب تصويراً روائياً متقناً الموقف الأدبي كما يقرره علماء النفس (وهو الموقف الذي ينشأ من حب الطفل الذكر لأمه حباً جنسياً وكراهيته لأبيه الذي ينافسه في حبه لأمه)، ويعالج ما ترتب عليه في حياة بطل القصة منذ البداية حتى النهاية.

وقد كتب كل من الأدبيين توفيق الحكيم وعلى أحمد باكثير مسرحية يدور موضوعها حوال أسطورة أوديب الملك– تلك الأسطورة التي تنتسب إليها إحدى العقد النفسية المعروفة باسم عقدة أوديب.

وقد نما علم النفس في الخمسين سنة الأخيرة، نمواً كبيراً، ومر في تطوره بمراحل متعددة مما أدى إلى تعدد موضوعاته وانقاسمها إلى عدة فروع يختص كل واحد منها بدراسة مجموعة معينة من الظواهر. ومن أهم هذه الفروع في الوقت الحاضر "علم النفس المرضى" أو علم "الطب النفسي". ويبحث هذا العلم في دراسة ظواهر السلوك المنحرف واضطرابات الشخصية والوصول إلى معرفة الأسباب التي أدت إلى نشأتها، وتحديد طرق تفاعلها وما يترتب عليها من آثار في طريقة حياة الشخص وأسلوب تعاونه مع الآخرين.

وقد كان من أبرز مظاهر الحياة المادية في العصر الحديث، أنها ألقت على الأفراد أعباء ثقيلة من المسئوليات والمشاكل والمنغضات التي تلاحقهم كظلهم سواء في محيطهم العائلي أو في حياتهم الاجتماعية أو

الخاصة، هذا بالإضافة إلى القيود التي تكلبهم بها التقليد والعادات والآداب والقوانين والنظم والإرشادات. ويزيد الطين بلة هذا القلق العامل والتوتر النفسي والعصبي الذي يسيطر على البشر في العالم أجمع نتيجة الخوف من خطر الحرب الذرية وما يترتب عليها من فناء البشرية وانتهاء حضارة الإنسان. فماذا كانت نتيجة هذا الإرهاق العصبي والتوتر النفسي المستمر الذي يعانيه الأفراد؟

لقد دلت الإحصاءات التي أجريت في مختلف دول العالم على أن نسبة الإصابات بالأمراض النفسية والعقلية قد ازدادت زيادة كبيرة وخاصة بعد الحربين العالميتين الأخيرتين، ولا تزال هذه النسبة ترتفع ارتفاعاً مخيفاً مع ازدياد عوامل القلق والتوتر ةوالاضطراب التي أصبحت الطابع العام للحياة الإنسانية في القرن العشرين.

ولما كانت الآداب والفنون الرفيعة الخالدة نتيجة دائماً وجهة إنسانية عالمية عن طريق التعبير عن النفس الإنسانية بما فيها من نزعات وانفعالات وعقد وأمراض من الطبيعي أن يتعرض الأدباء في أعمالهم لموضوعات التحليل النفسي واضطرابات السلوك والأمراض النفسية والعقلية، فأصبحنا نطالع في الروايات والقصص والأعمال الأدبية الأخرى وصفاً لنماذج من الشخصيات المنحرفة السلوك أو المريضة بمرض نفسي أو عقلي.

ولم يتخلف الأدب التمثيلي في جميع أنحاء العالم عن مسايرة الركب، بل لعله كان أسبق أنواع الأدب في معالجة مختلف أنواع الشخصيات المرضية، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن مؤلفي السينما والمسرح والإذاعة قد اندفعوا في هذا الطريق اندفاعاً كبيراً لأنهم وجدوا في موضوعات "الطب النفسي" ينبوعاً جديداً لقصصهم بعد أن استنزفوا الموضوعات التي تدور حول الشخصيات العادية.

وقد لاقت هذه الموضوعات الجديدة في السينما والمسرح استجابة تامة من الجمهور الذي وجد فيها انعكاسا واضحاً وتعبيراً صادقاً وتحليلاً علمياً لواقع حياته المضطربة، كما وجد فيها في بعض الأحيان- عرضا لوسائل العلاج لمختلف أنواع الشذوذ النفسي.

والكاتب السينمائي أو المسرحي أو الإذاعي الذي يتعرض للموضوعات السيكولوجية المرضية يجد نفسه مضطراً إلى دراسة هذه الموضوعات والتعمق في بحثها متخذاً وسيلته إلى ذلك دراسة المراجع العلمية، واستشارة الأطباء النفسيين.. وزيارة المستشفات والمصحات النفسية، ودراسة النماذج الإنسانية الحية لهذه الأمراض.

ويجد المؤلفون الأجانب، في متناول أيديهم، كل المراجع الطبية مكتوبة بلغتهم التي يعرفونها، كما يوجد كثير من الأطباء والأخصائيين النفسيين الملحقين بالشركات السينمائية وبالمسارح الكبرى، الذين عليهم أن يرشدوا المؤلفين إلى المراجع العلمية اللازمة لموضوعاتهم، وأن يفسروا لهم

كل ما غمض عليهم من المدلولات الطبية والاصطلاحات العلمية، وأن يوجهوا نظرهم إلى أهم النقط في الموضوع الذي يتناولونه بالبحث. ويدخل في نطاق عمل هذا الفريق من الأطباء والإخصائيين، توجيه وإرشاد المخرجيين والممثلين والفنانين الذين يقومون على تنفيذ الفيلم أو قصة المسرحية.
وقد كان من آثار هذا النظام الدقيق أن شاهدنا جميعاً أدق الشخصيات المرضية في الإنتاج الفني الأجنبى سواء في الروائع السينمائية الخالدة أو في التحف المسرحية العظيمة التي تستند في قصتها وحوراها ورسم شخصياتها وإخراجها وتمثيلها وكل ما يتعلق بتنفيذها إلى العلم الصحيح والبحوث العميقة المدروسة والثقافة التي لا تعرف حدوداً.

وقد كان من آثار ثقافتي العلمية كطبيب وثقافتى الفنية كحاصل على دبلوم المعهد العالي للتمثيل، أن أتيحت لي الفرصة لأشعر بمدى حاجة المشتغلين بالفنون التمثيلية من مؤلفين وممثلين إلى الثقافة الطبية عامة والثقافة الطبية النفسية بوجه خاص.

ولما كانت المكتبة العربية فقيرة في هذا الميدان، فقد رأيت من واجبي أن أقدم هذا المجهود المتواضع بين أيدي المسئولين والمشرفين على النهضة الفنية والأدبية. وبين أيدي المشتغلين بالفنون التمثيلية والمهتمين بأمرها والمتذوقين لها من القراء.

ولقد حاولت جهدي أن أتجه في معالجة موضوعات هذا الكتاب نحو الأسلوب العادي البسيط الذي يوضح الموضوع دون اللجوء إلى الطنطنة في الألفاظ أو التعقيد والالتواء في المعاني. كما حاولت أيضاً أن أكيف الموضوعات العلمية تكييفاً خاصاً يحافظ على جوهرها العلمي ويخضعها– في نفس الوقت– لاحتياجات المخرجين والممثلين، فوجهت عناية خاصة إلى إيضاح تعبيرات الوجه، وحركات الجسم المختلفة، والمظهر الخارجي، وأنواع التصرفات والسلوك التي تمليها مختلف أنواع الأمراض النفسية إلى العربية فقد اعتمدت فيها على مجهودات جماعة علم النفس بجامعة القاهرة. وعلى الأعمال التي أنجزها المجمع اللغوي في هذا الشأن. وقد اخترت أن يقتصر موضوع الكتاب على الأمراض النفسية والعقلية، دون التعرض بالتفصيل لموضوع العقد النفسية التي تستلزم كتاباً خاصاً بها. أما الانحرافات الجنسية فموضوعها شائك دقيق، ولا تسمح الرقابة المصرية بعرضها في شكل أفلام أو مسرحيات أو تمثيليات تذاع على الجماهير.

وفي سبيل محاولة تحقيق الغرض الذي من أجله وضع هذا الكتاب، فقد طعمناه ببعض الأفلام العالمية، والمسرحيات العالمية والمحلية التي اتخذنا منها نماذج لتطبيثق الموضوعات العلمية عليها، ولم يكن بالطبع من المستطاع حصر الأفلام والمسرحيات التي يمكن التطبيق عليها، ولذلك اكتفينا بمثال واحد أو أكثر لكل حالة مرضية، ولم نغفل نقل بعض المشاهد التمثيلية كاملة، كما حرصنا على تحليل الشخصيات التمثيلية المريضة بقدر ما سمح به المقام، مع ذكر نبذة تاريخية عن بعض

الشخصيات التي تناولها المؤلفون في الأفلام والمسرحيات من أمثال نيرون وكاليجولا والحاكم بأمر الله وقمبيز.

وقد حرصنا أيضاً على تزويد الكتاب ببعض الصور التوضيحية بقدر المستطاع.

ويحتوى هذا الكتاب على ثلاثة أبواب رئيسية. فالباب الأول يعطى القاريء فكرة عن تكوين الجهاز النفسي الإنساني وفقاً لنظرية فرويد الجديدة التي نادى بها في سنة ١٩٢٣، وهي النظرية التي تميز في الجهاز النفسي بين ثلاث منظمات: اللاشعور والشعور والضمير. ويوضح الفصل الثاني من هذا الباب أهم الوسائل التي يلجأ إليها اللاشعور للتعبير عن مكنوناته والتنفيس عن رغباته المكبوتة.

ويبحث الباب الثاني في الأمراض النفسية من حيث أسبابها ونظرياتها وأنواعها وأهم الفروق بينها وبين الأمراض العقلية.

وقد خصصنا الباب الثالث للأمراض العقلية: تعريفها، وأسباب الإصابة بها وأنواعها مع تخصيص موضوع عن الخمور وآخر عن المخدرات.

وإني أشعر بقصور مادة هذا الكتاب عن المستوى الذي أبتغيه، فموضوعاه التي يتناولها التطور المستمر تبعاً للتقدم الذي يحققه "علم

النفس المرضي" عاماً بعد عام تجعل من العسير على الكاتب أن يفيها حقها من البحث مهما أطنب أو أطال.

وعلى أية حال، فحسبنا أن يكون الكتاب هو الأول من نوعه في هذا الميدان.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن اتقدم بالشكر الجزيل لكل من شجعني على إخراج هذا الكتاب وأخص بالذكر أساتذتي الكرام السادة على فهمي وفتوح نشاطي وأحمد البدوي.

ولم يكن ميسوراً أن يتخذ الكتاب هذا الشكل وهذه الروح التي يلمسها القاريء، لولا إرشادات ونصائح أستاذي الكبير دريني خشبة الذي أمدني بالكثير من المراجع والمؤلفات والمسرحيات، والذي تفضل بأن وضع كل ما يملك من وقت وخبرة وعلم وتضلع في اللغة العربية في مراجعة هذا الكتاب وتقويمه من الناحية اللغوية.

ولإنى أحس من أعماق بقصوري عن إيفائه ما يستحق من الشكر، فليس أمامي إلا أن أطلب له من الله خير الجزاء.

أما أستاذنا الأكبر السيد زكي طليمات الذي تطوع بتقديم هذا الكتاب والذي غمرني بعطفه وتشجيعه وتوجيهاته السديدة فله مني أوفر الشكر وأعظم آيات العرفان بالجميل.

كما أتوجه بشكري الجزيل للسادة مديري مكاتب شركات أفلام مترو جولدوين ماير، الذين شجعوني وفتحوا لي صدورهم الكريمة وأمدوني بالصور الفوتوغرافية اللازمة لهذا الكتاب.

دكتور أنيس فهمي

القاهرة في فبراير سنة ١٩٥٨

الباب الأول

النفس الإنسانية

الفصل الأول
الجهاز النفسي

يعرف العالم النمسوي سيجموند فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩) الجهاز النفسي بأنه يحوي ثلاث منظمات: الهو (أو اللاشعور) والأنا (أو الشعور) والأنا الأعلى (أو الرقيب).

أولا: الهو أو اللاشعور أو العقل الباطن:

وبيكون الجزء الأكبر من الجهاز النفسي. وما الشعور النسبة اللاشعور إلا كسطح المحيط بالنسبة لجوفه وقراره. فالعقل الباطن عميق غاية العمق وهو يزخر بغرائزنا الأولية ونزعاتنا الفطرية وذكريات الطفولة ونزوات النفس وشهواتها المكبوتة. وهو بذلك يمثل النزعات الحيوانية فينا، والميول الفطرية التي ورثناها عن الإنسان الأول، مثل غريزة الاعتداء وحب المقاتلة وسفك الدم والقسوة والتعذيب والانتقام والميول الجنسية إلخ.. وهذا المستودع الكبير يندفع نحو إشباع رغباته وفقاً لمبدأ جلب اللذة وإبعاد الألم. وهو في تصرفاته لا يمنطق الأمور بمنطقها السليم ولا يقيم وزناً للقيم الأخلاقية ولا يعطى اعتباراً للعرف والدين والتقاليد، إذ أن محتوياته لا تنسجم مع حقائق الواقع والحياة الاجتماعية.

وفي حالتي النوم والاستسلام للخواطر حين يغفو العقل الواعي، ينطلق العقل الباطن من عقاله ويحاول أن ينفس عما فيه من رغبات،

وغالباً ما يتأتى ذلك عن طريق الأحلام. أما في حالات اليقظة فإن العقل الباطن يكون تحت سلطان العقل الواعي أن يكبته كما يكبت اللجام الجامح العنيد. وتصرؤفات الرضيع تنبع كلها من اللاشعور الذي يسبق الشعور في التكوين.

وما العقل الباطن إلا ذلك العقل الحيوانى الذي امتزجت به ثقافة الإنسان الأول، وهو يجرى في أساليبه على طريقة التفكير الموجود عند الأطفال إذ أن الطفل يمثل الإنسان القديم بأفكاره كما يمثل الحيوان بحركاته عند ما يسير على أربع.

والعقل الباطن يخضع لإشراف العقل الواعي والضمير وفي نفس الوقت يؤثر تأثيراً كبيراً على العقل الواعي فيوجهنا خلال حياتنا نحو وجهات معينة وأهداف مرسومة ويكيف شخصيتنا وسلوكنا دون أن ندري.

ثانيا: الأنا أو الشعور أو العقل الواعي:

وهذا الجزء من الجهاز النفسي يشتق من اللاشعور نتيجة الاحتكاك بالعالم الخارجي.

والأنا هو تلك الشخصية التي نعرفها في أنفسنا ونشعر بها، فأنا أتكلم، وأنا أمشى، وأنا أريد، وهو يمثل الجانب العملى من الحياة النفسية ويكون ما نسميه اصطلاحاً بالعقل أو المنطق. وهو يكبح من جماح اللاشعور على أساس نفعى ويساعده أحياناً على إشباع رغباته في الخفاء

إذا كان إشباعها علناً يعرضه للمتاعب والعقاب ثم هو يسكته عند الضرورة بالكبت أو الإرجاء أو التسامى أو الإبدال.

والشعور له مظاهر ثلاثة هي: الإدراك والوجدان والنزوع.
فالإدراك: هو الإحساس بوجود الشيء.
والوجدان: هو الانفعال الذي نحسه نحو هذا الشيء.
والنزوع: هو السلوك الذي نسلكه حيال هذا الشيء.

واختلاف هذه المظاهر في كل عملية نفسية يتكيف دائماً حسب الوجهة التي ننظر إليها منها. ففي تأملنا للزهور مثلا يكون الإدراك (المعرفة) هو الظاهرة البارزة في العملية النفسية إذا كان القصد من التأمل هو الاستزادة من العلم بأنواع الزهور، ويكون الوجدان هو الغالب إذا كنا نتأمل الزهور لنستمتع بما فيها من جمال وروعة، ويكون النزوع هو الغالب إذا كنا نود قطفها أو رسمها أو زراعتها.

وتختلف هذه الظاهرة من فرد لآخر، فمن الناس من يكون الإدراك أظهر شيء فيهم كالعلماء والفلاسفة، ومنهم من يكون الوجدان متغلباً عليهم كالشعراء والفنانين ، ومنهم من يكون النزوع هو البارز فيهم كالقادة والحكام.

وعقلنا الواعي هو الذي ندبر به أمورنا، وهو أصل الاكتشاف والاختراع والبحث، وبه يمكننا أن نجادل ونناقش، وهو مصدر العواطف والميول.

يتبع المنطق والمعقول ويمشى حسب سنن الدين وقواعد الأخلاق ويرعى النظم والتقاليد. وهو يتكون نتيجة لوجود الفرد في البيئة وتفاعله مع العالم الخارجي وما فيه من عوامل وكائنات حية وغير حية وسلطات مختلفة بعضها يعاقب والآخر يثيب. وأقوى عوامل التفاعل الأولى التي يحتك بها الفرد هي الأم ثم الأب.

والعقل الواعي يتصرف على أساس الواقع ويحاول أن يكيف نفسه بالنسبة لكل المؤثرات الخارجية فيوجه وينظم عمليات توافق الشخصية مع البيئة والتوترات التي تحفز الشخصية، وهو في وظيفته هذه يتأثر بالعالم الخارجي بكل ما فيه كما يتقيد كذلك بتأثيرات العقل الباطن والضمير اللذين قد يمنعانه من العمل أو يحملانه على العمل في اتجاه غير ملائم. وعقلنا الواعي يغفل أو ينام في أثناء النوم وفي أثناء التخدير وعند الاستسلام للخواطر.

ويمكننا أن نسمى عقلنا الواعي بعقل الثقافة الحديثة، وذلك على النقيض من عقلنا الباطن الذي يفكر بعقل الحيوان أو يعقل الإنسان القديم.

ثالثاً: الأنا الأعلى أو الذات العليا أو الضمير أو الرقيب:

وهو ينفصل عن الأنا في أثناء مراحل تكوينه الأولى وذلك لأن الطفل عند تكون عقله الواعي (الذي يمثل شخصيته وذاتيته) يتصل شعورياً بمصادر السلطة الثابتة وأهمها سلطة الأب أو سلطة من يمثله. وهذه السلطة توجه لسلوك ويعجب بها الطفل لقوتها ويحبها لحمايتها له ولأنها تقضى حاجياته ورغباته.

ولذلك فهو يعمل على تقليد الأب أي أنه يمتص السلطة من الأب ويسلطها أو يسقطها على غيره. وعمليتا الامتصاص والإسقاط لازمتان لتكوين ما يسميه فرويد "بالذات العليا" التي ما هي في الواقع إلا ذلك الجزء الذي انفصل عن العقل الواعي في مراحل تكوينه الأولى. وبعد أن يتكوتن الأنا الأعلى (الضمير) يبدأ الطفل في تحكيمه في سلوكه الخاص به، وبذلك تتجه هذه السلطة نحو تنظيم العلاقة بين الدوافع والغرائز الخاص به، وبذلك تتجه هذه السلطة نحو تنظيم العلاقة بين الدوافع والغرائز الكامنة في العقل الباطن من ناحية وبين العقل الواعي من ناحية أخرى.

والذات العليا تشعر بالذنب شعوراً كبيراً ولذلك فقد سميت بالضمير أو الناقد اللاشعوري الأعلى لعقل الإنسان.

ويعلق فرويد أهمية كبرى على عقدة إذ يعتبرها من أهم المكونات للأنا الأعلى (أي الضمير).

وعقدة أوديب تنتسب إلى أسطورة أوديب الملك الذي أياه وتزوج أمه فارتكب بذلك جريمتى القتل والزنا. وقد نظر فرويد إلى أسطورة أوديب على أنها تمثل عقدة يحملها كل إنسان. وهي تنشأ من حب الطفل الذكر لأمه حباً جنسياً وحقده على أبيه الذي يرى فيه منافساً خطراً له في حب أمه. ويضطرم صراع خطير في داخل الطفل الذي تتوزع نفسه بين حقده على أبيه وكراهيته له، وبين حبه له وارتباطه به كمثل أعلى يقلده في كل شيء. ويصل هذا الصراع إلى غايته حوالى السنة الرابعة أو الخامسة من العمر حين تتم تصفية ذلك الصراع بتكوين الذات العليا أو الضمير الذي ينهي الطفل عن كراهية أبيه واشتهاء أمه بينما يحاول في نفس الوقت تنمية حب الطفل لأبيه والتشبه به.

وقد كانت عقدة أوديب أساساً لها. ومن أبرز المؤلفين الذين تناولوا هذه الأسطورة وأعدوها للمسرح، سوفوكليس ويوريبيدز وسينيكا وكورني وأندريه چيد وچان كوكتو، ويبرز من بين المؤلفين في هذا المجال توفيق الحكيم وعلى أحمد باكثير.

ونستخلص مما تقدم أن العقل الباطن يمثل تأثير الوراثة، وأن العقل الواعي يتحدد بصفة رئيسية بالخبرة الخاصة للفرد، بينما يمثل الأنا الأعلى (أي الضمير)التأثيرات الأبوية والاجتماعية والخلقية والدينية وما يستطيع أن يحصله المرء عن طريق ثقافته من مبادىء ومثل.

وإذا جاز لنا أن نستعير تشبيه أفلاطون الذي يجعل الفبرد كالعربة يجرها جوادان أحدهما برى نافر والآخر مستأنس كريم، قلنا إن العقل الباطن يمثل الجواد البرى الذي يعرض العربة بجموحه للتلف، وإن العقل الواعي يمثل الجواد المستأنس الذي يستعين به الحوذى تمثل الذات العليا لأن العربة لا تسير إلا وفق هذه التعليمات.

وإذا افترضنا أن الإنسان به شيطان يدفعه إلى ارتكاب الشر وملاك يهديه إلى الخير، وأن الشخصية تنبع من مجموع هاتين القوتين، كان الشيطان هو العقل الباطن وكان الملاك هو الذات العليا أو الضمير.

وفي فيلم "دكتور چيكل ومستر هايد" نرى الإنسان المتزن المتكامل الشخصية الذي تسيطر عنده الذات العليا على العقل الباطن وعلى العقل الواعي وتجعلهما يعملان في تناسق تام. هذه الشخصية السوية التي يمثلها الدكتور چيكل كانت تتحول إلى شخصية أخرى بفعل عقار يعطل الضمير عن العمل فتظهر لنا شخصية مستر هايد التي فيها ينطلق العقل الباطن من عقاله ويتسلط على المنظمات النفسية الأخرى. ويبدو لنا مستر هايد في صورة وحش بهيمي رهيب أبعد ما يكون عن الإنسانية والتحضر، لا ينشد في تصرفاته وسلوكه سوى اللذة وحدها، ولا يعترف بقانون ولبا يخضع لوازع من خلق أو دين. ومن الواضح أن قصة هذا الفيلم إنما هي قصة رمزية تمثل فكرة الصراع بين الخير والشر.

ويمكننا تشبيه الجهاز النفسي بشقة مكونة من حجرة صغيرة مرتبة نظيفة معدة لاستقبال الزائرين، ومن مخزن كبير للكرار يحوي أشياء مختلفة متعددة متناقضة لا حصر لها من أثاث قديم إلى صفائح مليئة بالأقذار إلى حشرات وهوام إلى فؤوس ومعاول وخناجر إلخ... ويفصل بين هذا المستودع الكبير وبين حجرة الاستقبال الصغيرة ممر ضيق به باب مقفل لا يسمح لمحتويات المخزن القذرة أن تنتقل غلى حجرة الاستقبال النظيفة. وترمز حجرة استقابال الضيوف الصغيرة النظيفة إلى العقل الواعي، أما مخزن الكرار الكبير فيرمز إلى العقل الباطن، بينما يمثل الممر الضيق ببابه المغلق ذلك الضمير أو الرقيب الذي لا لا يسمح لمكنونات العقل الباطن بأن تنتقل إلى الشعور أو العقل الواعي.

ولكن هل تظل مكنونات العقل الباطن سجينة داخل هذا المخزن؟ وإلى متى؟ . وإن من أهم خواص العقل الباطن اندفاعه لتحقيق رغباته، فهو ينتهز فرصة غفلة الرقيب في بعض الأوقات فتنفذ بعض مكنوناته كالسهم المارق إلى حجرة الاستقبال فنشعر بوجوده ونحس برغباته. وهكذا ينفس عن كيانه الذي يئن ويشكو من الكبت الذي يعانيه نتيجة لضغط العقل الواعي والضمير عليه. وسنعرض فيما يلي بإيجاز إلى أهم الوسائل التي يلجأ إليها اللاشعور لتحقيق رغباته.

الفصل الثاني
حيل اللاشعور ووسائله

يلجأ اللاشعور عادة إلى حيل مختلفة بها رغباته وله في ذلك أساليب شتى نجمل أهمها فيما يلي:

١- فقد الذاكرة :

ويحدث ذلك عندما يتعرض الشخص لأمر جلل أو يقع في كارثة تنغص عليه حياته، فيسارع اللاشعور إلى إفقاده ذاكرته ليجنبه الإحساسا بالتنغيص والألم.

٢- الإغماء :

ويحدث الاغماء في المواقف الحرجة. ويقصد اللاشعور بذلك الإغماء إبعاد الشخص عن الموقف الحرج.

ونذكر في هذا المقام مسرحية (المأخوذة) التي مثلت على المسرح المصري. وفي هذه الرواية كانت البطلة على وشك الزواج بحبيبها وحيد، ولكن حدث بينها وبين أختها في صبيحة يوم الزفاف موقف عنيف انتهي بوت إطلاق الرصاص وإغماء البطلة التي ظلت بعد هذا الحادث فاقدة لذاكرتها مدة عشرين عاماً تزوج في أثنائها حبيبها من أختها ثم مات بعد أن

أنجب طفلا ذكراً ما لبث أن كبر وترعرع حاملا في قسمات وجهه شبهاً تاماً لسحنة أبيه.

وظلت بطلة المسرحية تعيش في جوها الخاص بها بعيداً عن الواقع حتى عاد إليها عقلها بعد أن سمعت صوت إحدى القنابل التي انفجرت في أثناء إحدى الغارات الجوية في وقت الحرب .

وفي هذه المسرحية رسم المؤلف شخصية البطلة المخطوبة على أنها أضعف من شخصية أختها الأنانية الماكرة المتسلطة التي تعودت أن تستولى على كل ما يعجبها من الأشياء الخاصة بالبطلة. وفي اليوم المحدد لزفاف البطلة لعريسها تدور مناقشة صاخبة بين الأختين تفهم في أثنائها البطلة أن أختها تريد أن تستولى على وحيد الذي أنه يحبها هي، إذن فأختها لم يكفها أن تستولى على حاجياتها الخاصة، بل تريد أن تخطف منها عريسها أيضاً. وكان وقع الصدمة على البطلة عنيفاً. وتطورت المناقشة إلى حد أن هددت الأخت بإطلاق الرصاص على نفسها. ولكن ما العمل؟ إن البطلة تحب عريسها حب العبادة وهي في نفس الوقت تحب أختها وقد اعتادت في معاملتها معها أن تسالمها وأن تتنازل لها عن كل ما تطلبه منها، فهل يصل التفريط في حقوقها إلى حد التفريط في عريسها؟ وهل يمكن لبطلتنا المسالمة الضعيفة الشخصية أن تصمد إزاء هجوم أختها الشرسة عليها؟ لقد تطورت المناقشة إلى حد أن هددتها أختها بإطلاق الرصاص على نفسها، ولم يفلح العقل الواعي لبطلتنا في أن يصمد أمام الهجوم كما لم يفلح كذلك في إيجاد حل لهذا الموقف الشاذ.

إذن فليخل الطريق إلى اللاشعور ليتصرف كما يحلو له. ومع صوت الرصاصة الطائشة يغفو العقل الواعي لبطلتنا فيغمى عليها. وبهذا خلصها اللاشعور من هذا الموقف الصاخب الحرج بينها وبين أختها عن طريق هروبها من الواقع.

ويستمر العقل الواعي في إغفائه حتى بعد أن تفيق من إغمائها فتظل بطلتنا فاقدة الذاكرة مدة عشرين عاماً، وفي خلال هذه المدة تعيش في جو خاص بها يخلقه لها عقلها الباطن فتظل عريسها وهي مطلة من النافذة كما كانت تفعل وقت أن كانت مخطوبة له.

وكما غفا العقل الواعي على صوت الرصاصة الطائشة التي لم تصب أحداً بسوء، كانت صحوته بسبب صوت مشابه لصوت الرصاص وهو الذي نتج عن انفجار إحدى القنابل في أثناء غارة جوية.

٣- النوم :

ومثل ذلك نوم بعض السيدات في أثناء وجودهن في منازلهن. وهذا يساعدهن على أعفائهن من رؤية أزواجهن وأولادهن أو القيام بمسئولياتهن المنزلية.

٤- الهفوات :

ويدرج فرويد في عدادها فلتات اللسان والنكات غير المقصودة وزلات القلم وأخطاء المطالعة والخطأ في السمع والنسيان المؤقت لبعض

الأسماء والسهو عن المواعيد وإضاعة الأشياء بصفة مؤقتة، والأخطاء الوقتية.

ويروى فرويد قصة رئيس مجلس نيابي لم يكن مرتاح النفس لما قد تسفر عنه الجلسة فافتتح الجلسة بأنه أعلن رفعها.

وقصة مريض حرم عليه فرويد أن يخاطب عشقيته تليفونياً فكان كلما أراد أن يتصل بفرويد تليفونياً يخطيء فيطلب رقماً آخر هو بالذات رقم تليفون عشيقته.

ومعيد بإحدى الكليات كان يضيق بهذه الوظيفة ويرى أنه يستحق ما هو أرفع منها، وحدث أن قامت مناقشة حادة بينه وبين عميد الكلية حول تأخير ترقيته، ثم قدمت له عقب ذلك استمارة ليملأ بياناتها فكتب اسمه ثم كتب سهواً أمام البيان الخاص بالوظيفة: عميد بكلية كذا.

٥- الإسقاط :

وعملية الإسقاط تشبه عملية إسقاط الصورة من داخل الفانوس السحرى على ستار أو حاجز موجود في الخارج. فالصورة في الأصل لا توجد في الحاجز وإنما في داخل الفانوس السحرى.

والإسقاط هو تفسير أعمال الغير بحسب ما يجرى في نفسونا، فالبخيل أو المغرور يكون أكثر الناس اتهاماً لغيره بالبخل أو الغرور. وهنا نذكر قصة سيدة عانس طبية محترمة كانت تشكو من أن أحد جيرانها

يحاول مغازلتها بينما كان هو في الواقع لا يدرى عنها شيئاً. وأبلغت السيدة الأمر للبوليس الذي ثبت له ان هذه المرأة اتضح أن النزعات الجنسية لديها لم تكن تجد منفذاً طبيعياً، وقد كانت تحب هذا الرجل ولكن عقلها الواعي كبت هذا الحب فرسب في قاع اللاشعور الذي تحايل على إظهار هذا الحب والتنفيس عنه من الكبت الذي يعانيه فاتخذ لذلك طريقاً ملتوياً هو طريق الإسقاط مما جعل المرأة تهتم جارها بأنه يضايقها، في حين أنها هي التي كانت تحبه.

٦- الأحلام:

يقول فرويد إن الرقيب أو الضمير يكون في أثناء النوم أقل تحكماً منه في حالة اليقظة، وبذلك تتاح الفرصة للرغبات المكبوتة في اللاشعور لتعبر عن نفسها تعبيراً صادقاً إلى حد كبير.

وقد يحدث أن يصادف المرء في بعض الأحيان أحلاماً واضحة الدلالة، فالمريض المشلول كثيراً ما يحلم بأنه يجرى أو يتسلق أو يلعب الكرة، والطفل قد يحلم بزيارة حديقة الحيوان أو ركوب المراجيح أو رؤية السيرك.

ويروى فرويد قصة طريفة عن صبى كان مكلفاً بتقديم سلة من الكريز إلى شخص على سبيل التهنئة. ويبدو أن هذا الصبى نفذ هذا التكليف على غير هواه، بالرغم من الوعد بمكافأته ببعض ثمرات الكريز،

فقد سمع الصبى في نفس الليلة يقول في حلمه "لقد أكل چونى الكريز كله". ولم يكن چونى سوى ذلك الصبى.

نستطيع إذن أن نقرر أن الحلم عبارة عن تحقيق رغبة مكبوتة، وأن المحرومين يحاولون أن يعوضوا في عالم الأحلام ما حرموه في عالم الحقيقة أو كما نقول في أمثالنا العامية "الجحان يحلم بسوق العيش". ولكن هذا النوع من الأحلام قليل جداً، وغالبية الأحلام تتخذ رموزاً وأقنعة فتبدو لنا شديدة التعقيد صعبة التفسير.

على أن الأقنعة التي يصطنعها الحلم لا ترجع فقط إلى ضرورة مغافلة الرقيب، وإنما ترجع أيضاً إلى طبيعة الطبقات السفلي من العقل الإنساني، تلك الطبقات التي لا تخضع لما يخضع له عقلنا في أثناء اليقظة من قواعد المنطق، بل تسير وفق منطق أقرب إلى منطق الطفل والرجل الهمجى.

ومن هنا كانت أحداث الطفولة وانفعالاتها عظيمة الأثر في تكوين الحلم، فالأحلام إذن ضرب من اللغة الرمزية، وهناك نوعين منها: النوع الأول لغة رمزية فردية تتصل بخبرات الحالم الذاتية، وهذه يكشف التحليل عن معانيها بسهولة.

أما النوع الثانى فهو لغة رمزية مشتركة بين أفراد الجنس البشري بأسره، وتستمد عناصرها من لغة قديمة اندثرت ولم يبق منها إلا بضعة آثار مبعثرة في الأساطير الشعبية والأمثال واللغات القديمة وما إليها، ولكن

أصولها ما زالت باقية في أعماقنا. وهي تعود للظهور في أثناء النوم أو في الأمراض النفسية لتحل محل لغتنا العادية المنطقية.

ومن أمثلة الرموز المشتركة بين الجنس الإنساني أن يرمز للمرأة في الأحلام بالسفينة أو الزورق.

وإذا عدنا إلى قواميس اللغة نجد "الجواري" بمعنى السفن، "والجواري" بمعنى النساء. وأحياناً يرمز للمرأة في الأحلام بالقارورة أو الماعون، ومن الكلمات المأثورة "رفقاً بالقوارير" أي رفقا بالنساء. وتستخدم الأحلام كذل الغرفة وما إليها رمزاً للمرأة، ونجد في اللغة الدراجة كلمة هانم وهي منحدرة من الفارسية "خانم" نسبة إلى خان أي نزل. والسفر البعيد أو الرحلة الأخيرة رمز للموت في الأحلام. فنحن عندما نحاول أن فهم الطفل بأن شخصاً ما قد مات فإننا نفسر له كلمة الموت التي لا يفهمها بأن نقول له إن هذا الشخص قد "سافر بعيداً" ومن هنا يمكننا أن نعرف كيف تتفق لغة الطفل مع لغة الحلم ولغة الإنسان القديم. وقد دلت دراسة الأحلام والأساطير وأصول المفردات اللغوية على أن الخروج من الماء أو الأنغماس فيه وبخاصة الإنقاذ من الماء رموز الولادة، وهناك مئات من الأساطير تصور جميعها ولادة بعض الناس في تعبير رمزى هو انتشال طفل من قارب كان يطفو به على الماء، على نحو ما جاء في قصة انتشال النبى موسى من النهر.

أما المعطف في الحلم فيرمز للرجل يزف إلى المرأة. ومن للتقاليد المعروفة عند البدو قديماً أن العريس يخلع يوم الزفاف عباءته على عروسه ويقول لها "من الآن فصاعداً لا غطاء لك سوأي". ويحكى في الأساطير اليونانية القديمة أن زيوس غطى زوجته هيرا بعباءته في حفلة الزفاف.

وليست هذه اللغة إلا لغة الإنسان قبل أن يتعلم الأساليب المنطقية في التفكير والتعبير، حين كان لا يفرق بين الأشياء ما دامت تستثير فيه نفس الانفعال، وذلك كأن يعد الموت رحيلا والأب ملكاً والانتشال من الماء ميلادا.

وتعتبر الأحلام أيضاً لغة الأطفال التي تمثل في لا شعورهم مراحل الإنسانية الأولى، كما تعتبر كذلك لغتنا نحن الراشدين حين نتخفف من غلواء المنطق في غفوة النوم أو متعة النكتة أو في نشوة الحب أو في غمرة الإبداع الفنى.

فالحلم إذن نوع من الإخراج المسرحى تتشخص فيه أهواؤنا التي تلبس من الأقنعة ما يخفي حقيقتها وتصطنع من اللغة أساليب التشبيه والاستعارة والكناية.

والحلم كثيراً ما يستخدم الشيء في التعبير عن ضده، وتلك سمة من سمات العقل البدائى، فاللغات البدائية تزخر بالكلمات التي تدل على الشيء وضده في آن واحد. وخلاصة القول أن الأحلام تقوم لدينا بوظيفة التنهفيس عما تضطرم به نفوسنا من الانفعالات والأهواء، فالأحلام هي

النوافذ التي تطل على أعماق النفس، وفي هذا يقول فرويد "إن الأحلام هي الطريق الواسع الواضح إلى اللاشعور".

٧- المظاهر المرضية الجسمانية :

كالصداع والتهتهة وبعض حالات الصمم والعمى والشلل وفقد الاحساس. ووظيفة هذه الظاهرة هي حماية الإنسان من المواقف المؤلمة، فالمرض يعفي المرء من تأدية امتحان ثقيل على النفس كما قد يعينه على التهرب من الجندية.

فيلم "المأخوذ" "SPELLBOUND"

انتاج سلزنبك–
إخراج الفريد هتشكوك
تمثيل انجريد برجمان، جريجورى بيك

وفيلم المأخوذ الذي أنتج خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٥) كان في طليعة الأفلام التي عالجت بعض الأمراض النفسية وأعراضها وطريقة علاجها بواسطة التحليل النفسي وتحليل الأحلام وفك رموزها.

وفي هذا الفيلم تناول كاتب السيناريو بعض وسائل اللاشعور مثل الإغماء وفقدان الذاكرة والأحلام. ولكي يصل إلى هدفه اختار لموضوعه شخصية رجل أصيب بمركب الإثم على أثر اعتقاد خاطىء تغلغل في داخل نفسيته بأنه ارتكب جريمة قتل لم يقترفها في الواقع. وكم كان المؤلف ةالمخرج بارعين في إظهار لغة الرموز في الأحلام كما كانا موفقين في إيضاح طريقة تحليل الأحلام وفك رموزها كوسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها المحلل النفسي في علاج بعض الأمراض النفسية والعقلية.

وفيما يلى يجد القارىء تلخيصاً مركزاً لقصة (المأخوذ). نحن في مستشفي للأمراض العقلية حيث يعالجون المرضى على أسس طريقة التحليل النفسي التي أسسها العالم النمسوى سيجموند فرويد.

لقد عنيت إدارة المستشفى الدكتور أنتونى إدواردز العالم النفسانى الشهير والذي له مؤلفات عدة عن مركب الإثم ليدير المستشفى بدلا من الدكتور ميرشيسون.

ويعلم جميع أطباء المستشفى بهذا الخبر ومن ضمنهم الدكتورة بيترسون التي لا هم لها سوى الاطلاع والانهماك في العمل. ويحضر الدكتور إدواردز للمستشفي ويكون في استقباله كل الأطباء، أما الدكتور ميرشيسون فتبدو عليه الدهشة لرؤياه ويقول لإدواردز إنه يبدو أصغر سنا مما كان يتوقع. يجلس جميع الأطباء للغذاء ويدخل إدواردز الذي تراه الدكتورة بيترسون فيبدو في عينيها إعجابها به.

ويدور الحديث حول إنشاء حمام سباحة جديد بالمستشفى. وتمسك الدكتورة بيترسون بشوكة في يدها وترسم بها على مفرش المائدة رسماً كروكياً لحمام السباحة كما تود هي أن يكون. وحين يقع نظر إدواردز على الخطوط المتوازية التي رسمتها بيترسون فيخبرها بأنه متعب وأنه يريد الراحة قليلا. ويطول الحديث بينهما فيدعوها لقضاء يوم العطلة الأسبوعية معه بعيداً عن جو المستشفى فتوافق. ويقضيان سوياً يوماً من أيام العطلة حافلا بالمتعة والمرح ثم يعودان إلى المستشفى.

وعندما يحل الليل تذهب بيترسون لمكتبة المستشفى فتلاحظ أن الغرفة المجاورة للمكتبة (وهي غرفة إدواردز) مضاءة، ثم تدخل المكتبة المكتبة وتختار كتاباً في مركب الإثم لمؤلفه الدكتور إدواردز ثم تخرج. وبعد أن

تتردد قليلا يستقر عزمها على الدخول إلى غرفة إدواردز المضاءة فتجده يقرأ أحد الكتب. وتتلاقى عيونهما فيدر كان أن الحب قد ربطهما برباطه. ويعانقها إدواردز ولكن رأسه تدور ويكاد يغمى عليه عندما يقع نظره على المعطف الذي ترتديه بيترسون والمخطط بخطوط طولية متوازية فيحاول إبعادها عنه.

وفي اليوم التالى يستدعى إدواردز للاشراف على عملية جراحية تجرى لمريض بمركب الإثم ولكنه ما يكاد يسمع المريض وهو يعترف بأنه قتل اباه حتى يحس بالاختناق ثم يهوى فاقد الوعى على أقرب كرسى لديه. ويجتمع الأطباء فيما بينهم وقد ابتدأوا يشكون في حقيقة شخصية الدكتور إدواردز. ويزيد الطين بلة أن تحضر إحدى السيدات للمستشفي لتخبر الأطباء بأنها سكرتيرة الدكتور إدواردز الذي اختفي فجأة، وحين اتصلت تليفونياً به في هذا المستشفى أجابها صوت يختلف عن صوت مخدومها الدكتور إدواردز.

وحينئذ يعلم الجميع أن الدكتور إدواردوز الذي استلم العمل بالمستشفى إنما هو شخص ينتحل اسم وشخصية الدكتور إدواردز الحقيقي الذي لا يعلم أحد مقره أو مصيره.

ويهرب إدواردز من المستشفى تاركاً رسالة لبيرسون يخبرها فيها أنه لا يود لها أن تزعج نفسها بشأنه ولذلك فقد آثر أن يترك الماالمستشفى لينزل في فندق معين ذكر لها اسمه، وقد أمضى الرسالة بإمضاء ج. ب.

وتذهب الدكتورة پيترسون للفندق وهناك تطلع على الكارت الذي يكتبه النزلاء فتعرف خط صاحبها المقيد باسم چون بروان. وتصعد إليه في غرفته وقد أدركت أن صاحبها يعاني مرضاً نفسياً خطيراً فآلت على نفسها أن تبذل جهدها لإنقاذه منه.

وتحاول أن تستعمل طريقة التحليل النفسي في الكشف عن خبايا نفسيته ولكن إدواردز يقاومها ويخبرها بأنه لم يعد يذكر شيئاً سوى أنه كان طبيباً في الجيش ثم هرب منه بعد أن أحس باضطراب في أعصابه فذهب لاستشارة الدكتور إدواردز، وسافر معه إلى مدينة لا يذكرها ثم قتله هناك، وهو لا يذكر ذلك شيئاً إلا انه انتحل شخصية إدواردز المقتول وحضر إلى المستشفى لاستلام العمل بدلا منه.

وتحاول الدكتورة پيترسون أن تعرف اسم البلدة التي سافر إليها مع الدكتور إدواردز، فترافق صاحبها صاحبها إلى محطة السكة الحديدية وترجوه أن يتذكر– وهو واقف أمام عامل التذاكر– اسم هذه البلدة. وبعد محاولة قاسية يكاد يغمى عليه منها يمد چون بروان يده لعامل التذاكر طالباً منه تذكرتين إلى روما في ولاية چورجيا الأمريكية.

وتشترى الدكتورة پيترسون إحدى الصحف فتجد فيها صورتها وصورة چون بروان المتهم بقتل الدكتور إدواردز الإخصائى النفسي الشهير. وخوفاً من أن يتبعهما البوليس تغير الدكتورة پيترسون فكرتها في السفر إلى بلددة روما وتذهب مع صديقها إلى بلدة أخرى يقطن فيها أستاذها

السابق في علم النفس والتحليل النفسي الدكتور بيرلوف الذي تجد عنده رجلين من رجال البوليس يسألانه عن علاقته بالدكتور إدواردز المختفي فيخبرهما الدكتور بيرلوف بأنه أرى الدكتور إدواردز لآخر مرة في مؤتمر علم النفس الأخير وأنه تشاحن معه بخصوص الطريقة التي كان يحبذها الدكتور إدواردز في علاج مرضاه وذلك عن طريق مرافقته لهم في لعب التنس والتزحلق على الجليد، وينصرف رجلا البوليس.

وتقدم الدكتورة پيترسون صديقها چون بروان لأستاذها على أنه زوجها وقد جاءا ليقضيا شهر العسل عنده. ويمضى چون بروان إلى إحدى الغرف لينام ولكن بصره يقع على غطاء السرير ذى الخطوط الطويلة المتوازية فتدور الدنيا برأسه، ثم يذهب إلى الحمام ويمسك بموسى الحلاقة محاولاً أن يحلق ذقنه ولكن بصره يقع أيضاً على القيشانى الأبيض ويلتفت حواليه فيرى كل شيء أبيض كالجليد، وحينئذ يفقد أعصابه وينزل الدرج ومعه الموسى في يده فيجد الدكتور بيرلوف في انتظاره بالمكتب. ويأخذ الدكتور بيرلوف في الحديث معه، وفي هذه الأثناء يحضر الدكتور بيرلوف في الحديث معه، وفي هذه الأثناء يحضر الدكتور كوباً من اللبن يضع فيه بعض البرومور (عقار منوم) ويناوله لچون براون الذي يشربه ثم يغلب عليه النعاس فينام على الأريكة نوماً عميقاً.

وفي الصباح تعلم الدكتورة پيترسون بما حدث ويخبرها أستاذها الدكتور بيراوف بأن مريضها هذا شخص خطر يجب الاحتراس ويخبرها أستاذها الدكتور بيرلوف بأن مريضها هذا شخص خطر يجب الاحتراس منه إذ أن

أولئك المرضى الذين يصابون بفقد الذاكرة والذين يتمسكون باعتقادهم بأنهم ارتكبوا إحدى الجرائم هم مرضى خطرون قد يقتلون غيرهم أو يقتلون أنفسهم.

ويحاول الدكتور بيرلوف أن يساعد تلميذته الدكتورة بيترسون في تحليل نفسية المريض بعد أن لمس حبها الشديد له فيسأل چون براون إن كان قد حلم حلماً في أثناء نومه فيجيبه براون بالإيجاب ويبدأ في قص الحلم. "لقد حلم بأنه ذهب إلى مكان ما تحيط به رسوم عيون من كل" "جانب وأنه رأي رجلا يقطع هذه العيون بالمقص، ولما انتهي" "من ذلك، دخل چون بروان هذا المكان فوجده نادياً للقمار." "يجلس چون بروان إلى إحدى المناضد وتأتى فتاة تقبله" "ثم تقبل كل الموجودين بالنادى. ويرى بعد ذلك أجنحة" "كبيرة تحلق فوق المكان ثم يطلب إله رجل ذو لحية أن يلعب" "معه بالورق لعبة تسمى لعبة ٢١. يكشف چون بروان أن يكشف" "له أوراقه تظهر هذه الأوراق بيضاء، فيأتى صاحب النادى" "ويتهم الرجل الملتحى بالغش في اللعب ويطرده من النادى." "ويتهم الرجل الملتحى بالغش في اللعب ويطرده من النادى." "ويتغير مكان الحلم بعد ذلك فيحلم چون بروان بأنه في أحد" "الوديان المنتبثرة بين الجبال وأن الرجل الملتحى قد ظهر" "مرة أخرى في هذا المكان ولكنه سقط من أعلى الجبل إلى" "أسفل ثم يرى چون بروان بعد ذلك صاحب النادي وهو" "يرمى إلى قاع الوادى عجلة كانت في يده." ويحاول الدكتور بيراوف أن يحلل فيقول ل چون بروان إن الفتاة التي حلم أنها تقبل الموجودين بالنادى هي الدكتورة بيترسون وهذا دليل على حبها له

غذ أنها قبلته أولا. ويكمل الدكتور بيرلوف تفسيره للحلم فيقول إن الأجنحة التي رآها چون بروان تحلق فوق المكان ترمز إلى اسم الوادى. وهنا سألته پيترسون هل يذكر أن المكان الذي ذهب إليه مع الدكتور إدواردز يسمى وادى الملاك فيجبيها چون بروان بالنفي ولكنه يحاول أن يتذكر اسم المكان فيقول لها بعد جهد إن الوادى يسمى "وادى جبرائيل" – (ويلاحظ أن جبرائيل هو اسم الملاك الذي ترمز إليه الأجنحة).

وتذهب پيترسون بعد ذلك مع چون بروان إلى وادى جبرائيل محاولة بذلك أن ترد له ذاكرته المفقودة عن طريق التواجد في نفس المكان وإعادة تمثيل نفس الحوادث التي حدثت مع چون بروان والدكتور إدواردز، فتتزحلق معه على الجليد في وادى جبرائيل وقبل أن يصلا إلى حافة الجبل المشرف على الوادى يتذكر چون بروان أنه في طفولته كان يتزحلق على الجليد مع أخيه الصغير وفي أثناء ذلك ارتطمت قدمه بأخيه في ظهره فهوى أخوه من حافة الجبل فسقط ميتاً. وهنا يصيح چون بروان: "لقد مات أخى نتيجة حادث دبره القضاء والقدر. أنا إذن لم أقتل أخى". وعندئذ تتأكد پيترسون من أن عقدة الأثم عنده قد سببها اعتقاده بأنه قتل أخاه في طفولته. وقد ظلت هذه العقدة حبيسة زمناً طويلا في اللاشعور حتى جعلته يعتقد أنه قتل أيضاً الدكتور إدواردز في أثناء ممارستهما سوياً رياضة التزحلق على الجليد.

أما الآن فقد انحلت هذه العقدة بعد أن تأكد چون بروان من خطأ معتقداته.

وتعلم پيترسون بعد ذلك أن البوليس قد عثر على جثة الدكتور إدواردز وبها رصاصة، فعليها الآن أن تبحث عن القاتل حتى تتم تبرئة صديقها چون بروان أمام القضاء.

وتذهب پيترسون إلى المستشفى حيث تقابل الدكتور ميرشيسون ويدور بينهما حديث عن إدواردز يقول لها ميرشيسون في أثنائه إنه كان يعرف إدواردز، ثم تنصرف پيترسون من غرفته، ولكت اعتراف ميرشيسون بأنه كان يعرف إدواردز أوحى لها بفكرة غريبة. وتعود پيترسون مرة أخرى إلى ميرشيسون في غرفته وتحدثه عن الحلم الذي رآه چون بروان فيقول ميرشيسون إن العيون التي رآها چون بروان في المنام هم حراس المستشفى وإن نادى القمار الذي لعب فيه لعبة ٢١ هو نادى الواحد والعشرين الموجود في نيويورك، وإن الرجل الملتحى هو الدكتور إدواردز الذي كان قد رافقه ميرشيسون إلى هذا النادى، وإن صاحب النادى الذي طرد إدواردز لابد أن يكون هو ميرشيسون نفسه. ثم تقص پيترسون بعد ذلك بقية الحلم الخاصة بصاحب النادى الذي ألقى العجلة من يده من فوق الجبل فيعجز ميرشيسون عن تفسير هذا الجزء من الحلم ولكن پيترسون تخبره في جسارة بأن العجلة هي المسدس الذي رماه ميرشيسون بعد أن قتل إدواردز.

الدكتورة بيترسون ومعها جون براون أمام عامل التذاكر وهو يحاول تذكر اسم بلدة "روما" في فيلم "المأخوذ" (إنتاج سلزنبك وتوزيع يونيتد ارتستس)

وفي تؤدة وثبات يخرج ميرشيسون من درج مكتبه مسدساً يوجهه نحو پيترسون قائلا لها إن هذا هو مسدسه وإنه يعلم أنها بدأت تشك في أنه قاتل إدواردز حين أفلت لسانه فقال لها عفواً أنه كان يعرف إدواردز، ثم يهددها بقتله ولكنها تخبره بأنه يمكنه أن يفلت من جريمة قتل إدواردز ولكنه لا يمكنه الإفلات من تهمة قتلها هي، ثم تدير له ظهرها وتغادر الحجرة، وبعد لحظات يسمع صوت إطلاق الرصاص. لقد انتحر ميرشيسون. وتذهب بيترسون إلى صديقها چون بروان وقد شفي من مرضه لكي يقضيا معاً شهر العسل بعيداً عن الناس.

الباب الثاني

الأمراض النفسية

الفصل الأول
بين النفس والعقل

مقدمة عن الأمراض النفسية والعقلية:

للنفس الآدمية جانبان أحدهما أنانى مادى يكون من الغرائز والشهوات المشتركة بيننا وبين الحيوانات، وهذا الجانب بطبيعته ينشد إرضاء رغباته وشهواته بصفة مطلقة. أما الجانب الآخر فهو الذي فضلنا الله به على الحيوانات وهو روحانى اجتماعي ينشد المثل العليا للأخلاق والفضيلة وحب الخير.

ورغم التناقض الواضح بين هذين الجانبين فإنه لا غنى للجنس البشري عنهما إذ أن الأول يساعد على بقاء الجنس وتكاثره كما يعمل الآخر على تقدمه ورفاهيته. وما دام أنهما لازمالن للآدمي فلابد من حل يلافي احتمال التصادم الحاد بينهما نتيجة لاختلافهما الشديد في الأغراض والمقاصد. وهذا الحل يتخلص في تنازل كل منها عن الصفة المطلقة لارضاء رغباته والاكتفاء بالارضاء النسبى وبذا يحصل التراضي والتوفيق بين الجانبين. وهذا التوفيق وذاك التراضى يجريان بعمليات غاية في الدقة، وعلى خطوات تمتد بين الطفولة وسن المراهقة وينتهيان بأن يسود السلام والهدوء نفسية الشخصالتي تصبح متزنة متكاملة فتستطيع بذلك مواجهة الصعوبات واجتيازها والتكيف حسب ظروف البيئة المحيطة بها. ولكن إذا لم يحدث– لسبب أو لآخر– هذا التوافق الكافي في شخصية

الإنسان فإنه لن يحتمل بسهولة الصدمات النفسية أو الصعوبات أو حتى الأمراض الجسمية العادية التي لا بد أن يصادفها الآدمى في حياته، ونتيجة لذلاك يحدث الاضطراب في الشخصية ويظهر بشكل مرض نفسى إذا كان خفيفاً وبشكل مرض عقلي إذا كان شديداً.

الفروق بين الأمراض النفسية والعقلية:

وهناك فوارق عديدة بين المرض النفسي أو ما يسمونه العصاب، والمرض العقلي أو ما يسمونه الذهان. ولكن يكفي أن نذكر لأن المصاب بمرض نفسى تكون عنده بصيرة بحالته أي أنه يشعر بحقيقتها وبأنها غير طبيعية، فإذا كان مصاباً بقلق نفسى مثلا نراه يشعر بأن هذا القلق غير عادى ولا يستند إلى أساس ظاهر، وإذا كان مصاباً بالمرض النفسي التسلطى أو القهوى فإنه يدرى أن الأعراض التي يعانيها هي أعراض غير طبيعية، وما دام المصاب بمرض نفسى يدرك أن حالته غير طبيعية فإنه يكون شديد الاهتمام بها وبالبرء منها، ولذا نراه كثير التردد على الأطباء بقصد الحصول على العلاج الشافي.

أما المصاب بالمرض العقلي فلا توحد عنده هذه البصيرة بحالته فهو لا يشعر بأنه غير طبيعى ولا يرى داعياً إلى عرض نفسه على الأطباء للعلاج بل ويعترض على أهله إذا اقترحوا عليه شيئاً من هذا القبيل، ويستنكر فكرة استشارة الإخصائى بشأن حالته ويرفض مقابلته إذا حضر إلى المنزل ليعوده. ونظراً لضرورة علاج هذا النوع من المرض فقد سنت القوانين في أغلب بلاد العالم لمواجهة امتناع المرضى عن العلاج وذلك

بإدخالهم مستشفيات الأمراض العقلية ضد إرادتهم وبناء على طلب أقاربهم ما دامت حالتهم تستدعي ذلك.

والمريض بالعصاب أي بالمرض النفسي لا تتغير شخصيته، وإذا تغيرت فإن التغير يكون طفيفاً في بعض اتجاهات نفسيته، فهو شخص يعيش في دنيا الواقع والحقيقة ولكنه يفشل في تكييف نفسه تكييفاً طبيعيا بالنسبة للبيئة المحيطة به.

وأما المريض بمرض عقلي فإن شخصيته تتغير تغيراً كبيراً، وبالتالى تتغير أعماله وتصرفاته بالنسبة للبيئة المحيطة به، وتقدير هؤلاء المرضى للأشياء تقدير غير طبيعي، ومن ثم فهم يعيشون في دنيا خاصة بهم ينسجها خيالهم. إن النفس المتزنة المتكاملة تعمل ككل مكون من نواحيها الإدراكية والوجدانية والنزوعية وتتكيف في تصرفاتها طبقاً لظروف البيئة المحيطة بها، فإذا ما أصيبت بالذهان أو المرض العقلي فإنها تصبح نفساً مبعثرة لا توافق بين جانبيها الوجداني والشهواني، ولا تناسق بين نواحيها الثلاث المشار إليها، أي بين التفكير والانفعال والسلوك. وهذه الحالة تشبة إلى حد كبير ما يشاهد في الأطفال بحيث يصح النظر إلى المرض العقلي على أنه ارتداد إلى الوراء أو نكسة إلى مستوى الطفولة.

أسباب الأمراض والاضطرابات النفسية والسلوكية:

في نهاية القرن التاسع عشر كان الأطباء النفسيون قد جمعوا مقداراً كبيراً من المعلومات عن أعراض ومظاهر الأمراض النفسية وتطورها وأسبابها، وكان البحث عن علل الأمراض يرد نشأة المرض إلى التكوين الوراثى وافصابات المرضية والاضطرابات الجسمية ولم يكن ينسب إلى أحداث الحياة وظروف البيئة إلا دور عارض.

ومع تقدم التحليل النفسي أصبحت السمة الأساسية المميزة لموقف التحليل النفسي هي محاولة إدراك المعنى الإجمالى لصورة المرض من حيث أنه يعبر عن علاقات المريض بالعالم الخارجي والبيئة المحيطة به ومع ذاته، وبذلك قدم لنا التحليل النفسي النظرية الوظيفية لاضطرابات السلوك.

تفترض هذه النظرية أن المرض النفسي إنما هو محاولة للتوافق ومجهود لتسوية المشاكل التي لم ينجح المريض في تسويتها بطرق أخرى. ومن هذه الطرق الأحلام وطريق الابداع الفنى، إذ أن الأحلام تقوم لدينا بوظيفة التنفيس عما يضطرب في نفوسنا من الرغبات والأهواء، ولكن مرجل هذه الرغبات قد يصل إلى دررجة بالغة من الغليان فلا يفلح صمام الأحلام في تصريف ضغطها، وعندئذ لا يجد الإنسان بدا من اصطناع نوع من الحلم في أثناء اليقظة، وذاك هو المرض النفسي، هذا إلا غذا أتاحت له مواهبه أن يفرغ أحلامه في لون من ألوان الابداع الفنى كالشعر أو الموسيقى أو التصوير أو التمثيل إلخ... والحياة في نظر العالم الفسيولوجي وعالم النفس يتناوبها التوازن والاختلال، وتتابع فيها المحاولات والأخطاء لاستعادة عند

اختلاله. فإذا نجحت هذه المحاولات، وإذا اتجه هذا التوافق نحو تحقيقعام لإمكانيات الكائن الحي مع توازن أفضل بينه وبين بيئته جاز لنا ان نتكلم في ذهه الحالة عن تكامل نموذجى... أما إذا لم يتوصل الكائن الحى إلى حل الصراع بينه وبين البيئة، نشأت لديه حالة من اثنتين: فإما أن يظل التوتر والتفكك باقيين، أو يلجأ الكائن الحى إلى حلول غير موفقة كالكبت وغيره من الوسائل الدفاعية التي اكتشفها التحليل النفسي. وفي كلتا الحالتين لا ينتهي الصراع بل يظل قائماً ويصبح شذوذاً عندما يغدو قاعدة السلوك.

وقد استحدثت أخيراً نظرية أخرى لتفسير الأمراض النفسية وعلاجها تسمى نظرية الانعكاسات المكيفة. ولكي يمكننا أن نفهم هذه النظرية يحسن بنا أن نذكر شيئاً الأفعال المنعكسة والأفعال المنعكسة الشرطية.

الفعل المنعكس: هو أبسط أنواع السلوك الفطرى ويتمثل في الحركة الآلية الاضطرارية السريعة التي يبتعد بها الأصبع إذا ما لامس جسما ملتهباً، كما يتمثل كذلك في حركة الجفن إذا ما اوشك جسم غريب أن يؤذي العين.

وعماد هذه الحركة الأعصاب الحسية والحركية المتصلة بمراكز الحبل الشوكي (وهو الحبل العصبي الذي يمتد من اسفل الرأس داخل قناة في العمود الفقرى). أما غايتها فهي حماية الأعضاء أو أجزائها من الخطر.

الفعل المنعكس الشرطي: **كان العالم الروسي الشهير إيڤان باڤلوف أول من استحدث نظرية "الفعل المنعكس الشرطى" التي استندت إلى نتائج تجاربه التي أجراها على الحيوانات. وأهم هذه التجارب هي تجربته المشهورة التي أجراها على أحد الكلاب الذي كان قد عوده على إعطائه قطعة من اللحم بعد أن يدق جرساً بالقرب منه. ولم يلبث الكلب بعد تكرار هذه التجربة أياماً معدودات، أن اصبح حساساً للجرس وحده بمعنى أن مجرد سماعه للجرس يسبب له زيادة كبيرة في إفراز لعابه بدون الحصول على قطعة اللحم. وهكذا حل صوت الجرس محل قطعة اللحم في تنبيه شهية الكلب للطعام وزيادة إفراز لعابه، وذلك للارتباط الوثيق الذي نشأ في عقله بين قطعة اللحم ورنين الجرس نتيجة لكثرة التكرار. وعلى ذلك يمكننا القول بأن الكلب قد تكيف تكيفاً انعكاسيا نحو صوت الجرس.**

***

ولنترك الآن هذه التجربة، ولننتقل إلى تجربة أخرى تاريخية قام بها الدكتور وطسن[1] مع ابنه الطفل البالغ من العمر عشرة شهور. فقد أحضر له أرنباً صغيراً سر به الطفل وأخذ يلعب به ويمرح. وبعد بضعة أيام أخذ الدكتور وطسن يدق بآلة حادة على لوح معدنى محدثاً مزعجاً شديداً (وذلك دون أن يرى الطفل مصدر الصوت) فانزعج الطفل وظهرت عليه علامات الفزع والخوف والاضطراب وأخذ يبكى متألماً وطرح الأرنب

---

[1] الدكتور وطسن عالم نفسانى يتمتع بشهرة واسعة في أمريكا، وهو زعيم المدرسة السلوكية التي ترد السلوك للأفعال المنعكسة وما تقوم عليه من ترابط عصبي.

جانباً. وبعد أن كرر الدكتور وطسن هذه التجربة عدة مرات وفي عدة أيام متتالية، أصبح الطفل حساساً بالخوف من الأرنب فكان مجرد لمسه يسبب له أعراض الفزع والخوف (وذلك بدون إحداث الصوت المزعج). ومعنى ذلك أن الطفل قد تكيف بطريقة انعكاسية فأصبح يخاف من الأرنب. ولكن الطريف في هذه التجربة أن هذا التكيف تطور فيما بعد وتشعب فأصبح الطفل يخاف من ملمس ومرأي الدمى الوبرية ثم من القطن، ثم من شعر أمه... أي من كل شيء مرتبط بالشعر أو ما يشبه الأرنب. هذا هو التكيف أو التحول أو التحريف الانعكاسى وهو أساس النظرية التي يفسر بها الدكتور أندروز سولتر جميع الأمراض النفسية ويعالج هذه الأمراض بواسطتها.

والآن لنطبق هذه النظرية على ما يحدث في نشأة أحد الأمراض النفسية، وليكن هذا المرض أحد أنواع المخاوف المرضية وهو المعروف بالخوف من الأماكن الفسيحة أو الأماكن المفتوحة.

لنفرض أن شخصاً أشرف في طفولته على الغرق في بحر أو نهر ثم أنقذ، فإن الخوف والفزع اللذين يستوليان في مثل هذه الحالة يبقيان في ذاكرته فيعاودانه في مستقبل حياته كلما ذهب إلى البحر للاستحمام، وقد يتطور هذا الخوف تدريجياً فيصبح خوفاً من مجرد رؤية البحر ومن عبور الكبارى وركوب السفن، ثم من كل مكان فسيح متسع (لأنه يشبه البحر في اتساعه) فيخاف المريض من عبور الميادين ثم من السير في الشوارع ثم من التواجد في الصالات والغرف الفسيحة وهكذا.

ومثل آخر يظهر في حالة الجندى الذي يعود من الحرب بعد أن تعرض لغارات القنابل واصوات المدافع، فإن هذا الجندى قد ينزعج ويشعر بخوف وفزع شديدين من أي صوت يسمعه مهما يكن مصدره. وفي جميع هذه الحالات يحدث التكيف الانعكاسي على نفس النحو الذي حدث في حالة ابن الدكتور وطسن.

الفصل الثاني
أقسام الأمراض النفسية

يحسن لفهم طبيعة الأمراض النفسية أن نميز بينها وبين الأعراض الناتجة عن منبهات خارجية كالصدمة، أو منبهات داخلة كالنوراستانيا.

العصاب الصدمى "SHOCK NEUROSIS"

هو الحالة المرضية المتسببة عن صدمة (أي عن تدفق بالغ القوة للمنبهات الخارجية) أو موقف حرج يتطلب حلا عاجلا بحيث يجد المرء نفسه عاجزاً عن السيطرة على ذهه المنبهات والمواقف. ونجد الأمثلة التقليدية لهذا العصاب في الأعراض التي تعقب التعرض للغارات الجوية والانفجارات والكوارث، كما نشاهد مثالا مألوفاً في حالة الطفل الذي يذله رفاقه ولا يأنس في نفسه القوة الكافية لقتاهم فيعود إلى بيته في حالة من الغضب المكبوت ولا يستطيع أن يشغل نفسه بشيء آخر سوى اللطمات يكيلها لمن يصادفه والهجمات يشنها على من يقابله حتى تعود الأمور إلى نصابها.

والنتائج المباشرة للصدمة هي أحاسيس بالتوتر المؤلم واضطرابات في النوم واضطرابات في الانفعالات، كما تتكرر أعراض الصدمة في أثناء النوم وتأتي على شكل أحلام تسمى أحلام العصاب الصدمى حيث يستعيد الحالم بلا انقطاع صورة الصدمة التي تسببت في مرضه. ويرى فرويد أن

ذهه الأحلام تخضع لآلية التكرار حيث يكون الغرض منه "أن تولد لدى الشخص حالة من القلق تسمح له بالهروب من قبضة الإثارة التي عاناها، ذلك القلق الذي أدى غيابه إلى ظهور العصاب الصدمي). وقد تكرر الصدمة في حالة اليقظة كذلك؛ وهو تكرار وظيفته السيطرة على الصراع وأخيراً تظهر بعض الأمراض النفسية التي تتفاوت طبيعتها تبعاً لعوامل الوراثة والخبرات السابقة لشخص.

النوراستانيا أو الضعف العصبي "NEURASTHENIA"

وفي هذه الحالة يتولد الصراع بتأثير المنبهات الداخلية وتوتر الحاجات التي لا تنتهي بتفريغ مناسب. ويرى فرويد أن هذا المرض إنما هو نتيجة مباشرة لممارسة العادة السرية وما تحدثه هذه العادة من ضرر للأعصاب، بيد أن الكثيرين من علماء النفس لا يؤيدون هذا الرأي.

وأهم أعراض النوراستانيا هو الشعور الدائم بالتعب والاضطراب الشديد وعدم القدرة على التركيز. وقد يشكو المريض من ضعف الشهية وشعور بالخور والضعف وعدم القدرلاة على النوم وآلام في المفاصل وفي ناحية القلب أو الظهر أو الصدر أو اجزاء أخرى أخرى من الجسم، وكثيراً ما يحس بالمريض بعدم قدرته على تحمل المسئولفية مكما يميل كثيراً إلى النوم والراحة بعد الظهر ويحس بالتعب الشديد عند استيقاظه من النوم في الصباح كما يشكو المريض غالباً من الضعف الجنسى.

أقسام الأمراض النفسية:

للأمراض النفسية صور كثيرة متعددة، وإذا حاولنا تقسيمها إلى فصائل محددة من الأمراض فيجب أن يتم هذا التقسيم بحذر شديد إذ أن العراض تتداخل بين مختلف الأمراض بدرجة يصعب معها ان نحدد بوجه الدقة نوع المرض من دراسة عرض معين. ويمكننا أن نبسط الموضوع فنقسم الأمراض النفسية على الوجه التالى:

أولا: حالات القلق النفسي.

ثانياً: السيكاستينا أو الضعف النفسي.

ثالثاً: الهستريا.

وسنتكلم فيما يلى عن كل ذهه الأقسام بشيء من التفصيل.

أولا – حالات القلق النفسي ANXIETY STATES

القلق هو الإحساس بخوف مبهم وشعور مقبض بأن شيئاً غير سار سيحدث في المستقبل، فهو حالة انتظار لخطر يتوقع الشخص حدوثه. والحالات التي يظهر فيها القلق كثيرة جداً منها ما يلى:

١– قد يظهر القلق نتيجة لتعاطى بعض العقاقير المهيجة للجهاز العصبى السمبثاوى (وهو جزء من الجهاز العصبى اللاإرادى)، ومن هذه العقاقير الأدرينالين والأفيدرين والبنزدرين والنيكوتين والثيروكسين.

٢- كثيراً ما يظهر القلق عند المصابين بأمراض جسمية وخاصة إصابات الرأس.

٣- قد يكون القلق أحد الأعراض في بعض حالات الأمراض العقلية كالملاخوليا (السوداء)، وفي ذهه الحالة يظهر القلق نتيجة للتصورات وألوان الهلوسة المفزوعة التي يعانيها المريض.

٤- تظهر حالة القلق النفسي بشكل واضح على المتهمين بتهم خطيرة، وخصوصاً في الساعات الأخيرة التي تسبق النطق بالحكم عليهم، فنجدهم وهم في قفص الإتهام في حالة من الخوف وعدم الاستقرار عندما يحين وقت دخول المستشارين إلى قاعة الجلسة. أما حركاتهم فتتميز بالعصبية، وأغلبهم يفرك يديه في حركات لا إرادية، وقد يرفعهما في عصبية ظاهرة لينتزع نظارته الطبية أو ليضعهما على جبهته ضاغطا عليها حتى لا تتمزق رأسه من الخوف والقلق وملل الانتظار وترقب الحكم عليه. وقد يمسك أحياناً بمنديل في يديه لا ينفك يعصره عصراً. فغذا جاء منطوق الحكم في مصلحته فقد يصاب بنهوع عن الإغماء نتيجة للاسترخاء الذي يحل به فجأة بعد القلق العنيف الذي ظل يعانيه ساعات طوالا؛ أو ق يصاب مؤقتاً بنوع من الهستريا الانفعالية فيبكى معبراً بذلك عن شدة فرحه (دموع الفرح).

٥- ومن الذين يتعرضون لحالات القلق الشديد خلال مدة قد تطول أو تقصر أولئك المرضي الميئوس من شفائهم (كالمصابين بالسرطان أو

أمراض القلب) والذين يعملون أن الموت سيدق بابهم بعد بضعة أشهر. وقد تناول أحد الأفلام الأمريكية وهو فيلم دعوة Invitation مشكلة فتاة علمت أنها مريضة بداء القلب وأن شفاءها ميئوس منه وأن فرصتها في الحياة الحياة لا تزيد على ستة أشهر فأصيبت، نتيجة لإحساسها بالخوف من الموت، بنوع من القلق العنيف بدا واضحاً في سلوكها وتصرفاتها حتى إذا حدثت المعجزة وشفيت من مرضها انزاح عنها كابوس القلق واستأنفت حياتها العادية من جديد وقد دارت أيضاً قصة احد أفلامنا المصرية (موعد مع الحياة) حول نفس الموضوع.

٦- كثيرا ما يكون القلق مظهراً بارزاً من مظاهر أحد الأمراض النفسية الأخرى مثل العصاب القهرى أو الهستريا (هستريا القلق)

٧- قد يظهر القلق نتيجة لصراع نفسى داخلى ويطاق على هذه الحالات اسم عصاب القلق وهو ينشأ عادة عند الأشخاص الذين يصبحون مستعدين للإصابة بالاضطرابات النفسية إذا وجدوا في بيئة يصعب عليهم التكيف بالنسبة لها. وتظهر عليهم الأعراض عادة نتيجة لأزمات مالية أو عاطفية أو فشل في العمل أو متاعب في الحياة العائلية.

أعراض حالة القلق:

وأهمها الشعور بالخوف من خطر كبير يتوقع الشخص حدوثه، والإحساس بالاكتئاب مع شيء كثير من التوتر العصبى والتهيج. فالمريض يخاف وقد يشعر بالرعب والفزع من شيء مجهول يرغب في الابتعاد عنه؛

فهو يخاف مثلا من أصابته بالجنون أو من إقدامه على الانتحار، ويصاحب هذا الشعور ضعف في قوة التركيز وصعوبة في الإقدام على أي شيء.

كثرة المخاوف والقلق تفقد هؤلاء الأشخاص الطاقة الحيوية والمثابرة على العمل وتجعلهم يحسون بعدم قدرتهم على إنجاز أية مهمة. وتظهر على هؤلاء الأشخاص بعض الاضطرابات الجسمية نتيجة لعدم توازن الجهاز العصبى اللاإرادى وأهمها وجود توتر عام بالعضلات مع حركة زائدة في الأيدى والأصابع تظهر على شكل ضغط شديد دورثي ماكجوير تعاني حالة حادة من القلق النفسي عند ما علمت بمرضها الميئوس من شفائه في فيلم "دعوة" (كترو جولدوين ماير) على منديل اليد مثلا، ويصاحب ذلك رعشة خفيفة بالأصابع وعرق زائد براحة اليد. أما التنفس فيكون سريعاً والنوم سريعاً كما قد يضاف إلى ذلك بعض الآلام بمنطقة القلب مع ازدياد ضرباته وصداع وضغط بالرأس وشعور بالتعب. وكثيراً ما يحلم المريض أحلاماً مزعجة وكثيراً ما يضايقيه الكابوس.

شخصية هملت:

والآن هل يمكن تطبيق حالة القلق النفسي على شخصية هملت كما رسمها شكسبير؟

إن مسرحية هملت تعتبر من أعظم المسرحيات العالمية وبعد بطلها هملت من أدق الشخصيات في تاريخ الآداب الإنسانية وأكثرها غموضاً واختلافاً في الفهم والتفسير.

وتدور هذه المسرحية حول رجل يقتل شقيقه الملك ويتزوج امرأته الملكة.

ويعلم الأمير هملت ابن الملك المقتول بهذه الجريمة من شبح أبيه الذي يطالبه بالانتقام له، ولكن هملت يتردد في ذلك تردا طويلا غير مفهوم. ولقد تناول شخصية هملت بالتحليل كثير من النقاد أمثال هازلت الذي وضع خطوطاً عاما لشخصية هملت ولكنه لم يضع يدنا على المفتاح النفسي الخفي الذي يلعب الدور الهام في هذه الشخصية.

وفي بداية هذا القرن كان رأي الناقد الإنجيلزى برادلى أن هملت شاب رقيق موهوب دفعته صدمة خيانة أمه إلى شفا هاوية الجنون من فرط الحزن. ولكن هل كان هملت مجنوناً كما وصفه عمه؟ كلا، لم يكن كذلك ولكنهخ كان يصطنع الجنون الجنون أحياناً كمخرج من مأزقه الدقيق. وطلع علينا الأستاذ أرنست چونز مطبقاً نظرية فرويد في اللاشعور ومركب أوديب. لقد ارتكب الملك كلوديس عم هملت جريمتين شنيعيتين إحداهما

قتل الوالد الأخ والأخرى إفساد الزوجة الأم فما بال هملت يتردد في الانتقام بعد أن أكدت له المسرحية التي هيأها في القصر إجرام عمه؟ يقول أرنست چونز إن الحقيقة كامنة في مركب أوديب. لقد كان هملت خلال حياة أبيه مرتبطاً بأمه ططفل يحبها حبًا آثماً لا يقره المجتمع ولذلك كان يغار من أبيه ويشعر بالإثم شعوراً عميقاً. وكانت النتيجة تغطية مصطنعة تبدو في إعجابه الشديد بخلال أبيه. ولما قتل أبوه أحس اللاشعور بفرح واغتياظ إذ تخلص هملت من غريمه الذي كان يشاركه في حب أمه، ومن هنا حال اللاشعور بينه وبين قتل غمه الذي خلصه منمنافسد العتيد. ولكن ألم يأخذ عمه أمه كما أخذها أبوه من قبل؟ العم هنا بديل عن الأب في عرف المجتمع الذي يعيش فيه وما دام قد عجز عن التخلص من أبيه من قبل فهو اليوم أعجز عن تنحية العم لنفس الأسباب... فهملت إذن ضحية لذلك الرباط الذي لم ينقطع بينه وبين أمه منذ الطفولة، ومما زاد في مقاساته موت شخصى عزيز عليه ونعنى به والده وتحطيم مثل أعلى وحلم جميل هو أمه التي تردت في الإثم. ولقد كان في الإمكان أن يكون سعيداً ومنتجاً ولكن الصراع الذي اضطرم في نفسه منذ الصغر وتفاقم أمره أخيراً مزق طاقته وبددها. ولو قد عاش والده ولم تخطيء أمه لأمكن لهملت لأن يتخلص رويداً رويداً من عاطفته المنحرفة نحو أمه ولاتجه نحو أوفيليا بقلب سليم.

ويرى كل من جوت وكولردج أن همت يمثل نموذجاً للعقل اللامع والذكاء المتوقد، ولكن هيمن عليهما الضعف البشري والإرادة المشلولة.

ولقد شاع هذا التفسير وانتشر أح.قاياً طويلة وأصبح هملت مثالا للعقل الأكاديمي الذي يغوص ويحلق ولايكاد يفعل شيئاً.

ومهما يكن رأي النقاد في تحليلهم لشخصية هملت فلاشك أن هذه الشخصية تتصف بطابع عام هو القلق. ةوفي اعتقادى أن الصراع النفسي العنيف الذي كان يعتمل في داخل هملت، ونفسه التي كانت تتنازعها عوامل عدة يناقض بعضها البعض، وهذه المتاعب في حياته العائلية والصدمات التي تلقاها من مقتل أبيه إلى تحطيم مثله الأعلى الذي كانت أمه رمزاً له- كل ذلك جعله يحس بقلق نفسى كبير أشاع في نفسه الخوف والتشاؤم والتردد، كما بذر فيه الشك في النساء عامة ففقد ثقته فيهن جميعاً حتى حبيبته أوفيليا التي قسا في معاملتها في معاملتها إلى حد ساعد على جنونها وموتها غرقاً، بل إن هذا التشاؤم وفقدان الثقة امتدا إلى الوجود عامة فغدت في نظره قبة السماء الرائعة مجموعة أبخره دنسة كريهة موبوءة.

ومنذ اللحظة التي عاهد فيها شبح والده على الانتقام لة يبدأ القلق في التسرب إلى نفسه فنجده في نهاية الفصل الأول من المسرحية يقول[1]: "سكوناً. سكوناً أيتها النفس المغلقة". ثم يوجه الكلام بعد ذلك إلى هوارشيو ومرسلس قائلا: "على هذا أيها السيدان انني أستشفع إليكما بكل ما أعتده من المودة لديكما، ومهما يستطيع رحل مسكين "كهملت" – ليثبت لكما بعد ذلك معرفته للجميل- فلن يخطئكما شكره بإذن الله.

---

[1] مسرحية هملت ترجمة خليل مطران الفصل الأول صفحة ٥٤.

لننصرف جميعاً، ولكن أبداً أصابعنا على شفاهنا هكذا، أرجو ذلك منكما، إن الزمن لفي اعتدلال واختلال. ومن نكد طالعى أن أكون أنا المنوط به علاجه، والعودة به إلى النظام. هيا بنا ".

وهملت هنا يشفق على نفسه من الاضطلاع بالمهمة التي ألقيت على عاتقه، لأنه يحس بالخوف من عدم إمكانه تنفيذها، ومن هنا يأتيه القلق– هذا القلق الذي يؤثر على طاقته الحيوية ويجعله يحس بأنه ليس قادراً على فعل أي شيء.

وقد كان إحساس هملت بذلك واضحاً عندما أنب نفسه محاولا أن يستحثها على الحركة والعمل قائلا:

"[٢]أنا وتباً لى من أثيم وضيع وشجاع دعى، فغاية ما دافعت به عن أب"

"حبيب وملك عزيز نكب أشد النكبات هو أنني أهذي هذيان الحالم مع أن "شاغل الانتقام مالئ نفسي. أجبان أنا؟ ...."

"أكذا لإقدام الوالد الذي قتل أبوه فاستصرخه لأخذ الثأر واستفزه بعوامل السماء. "وجهنم؟ أفبى حاجة كحاجة البغى المومس؟، أو الأجبرة القعيدة في "المطبخ إلى تبديد ما في قلبى من الحقد بالألفاظ والثرثرات؟ حراكاً يادماغي،"حراكاً، وأماما يا عزمى،أماما".

---

[٢] مسرحية هملت– ترجمة خليل مطران– الفصل الثانى صفحة٦١.

وفي مونولوجه الشهير الذي يتحدث فيه عن الكينونة والموت يتبدى ذلك الخوف الرهيب الذي يلاحقه والذي يسبب له قلقلاً كبيراً حيث يقول:

"أكائن[1] أنا، أم غير كائن؟ تلك هي المشكلة، أي الحالتين أمثل "بالنفس؟ أتحمل الرجم بالمقاليع، وتلقى سهام الحظ الأنكد؟ أم النهوض "لمكافحة المصائب ولو كانت بحرا عجاجا، وبعد جهد الصراع إقامة حد "دونها. الموت! وما هو الموت؟ نوم، ثم لاشيء. نوم نستقر به من آلام "القلب وآلاف الحطوب التي تصاب بها الأجسام..إننا نخشاه على أنه "حقيق بأن نرجوه. الموت رقاد. رقاد وقد تكون به أحلام. آها هذه عقدة "المشكلة، إذ أن الخوف من تلك الأحلام التي قد تتخلل رقاد الموت بعد "النجاة من آفات الحياة، هو الذي يقف دونه العزم ، وهو الذي يسومنا "عذاب العيش، وما أطول مداه، إذ لولا هذا الخوف، لما صبر أحد على "المذلات، والمشقات الراهنة، ولا على بغى الباغى، ولا على تطاول الرجل "المتكبر، ولا على شقاء الحب المزدول ولا على على إبطاءات العدل، ولا على "سلاطة السلطة، وقحة القدرة، ولا على الكوارث التي يبتلى بها الحسب "الصحيح، والمجد الصريح بفعل الجهلة، وتهجم السفلة. وفي وسع المرء أن "أن يترخص في الابتعاد فيسلم من كل هذه الرزايا بطعنة واحدة من خنجر في "يده. من الذي كان يرضى بالبقاء رازحا تحت الحمل دائم الأنين، مستنزفا "ماء الجبهة من الإعياء لولا أنه يتقى أمراً وراء الحياة؟ إن

[1] مسرحية هملت– ترجمة خليل مطرن– الفصل الثانى صفحة٦٣.

ذلك البلد المجهول "الذي لم يستكشفه باحث، ولم تتخط تخومه قدم سائح هو الذي يحدونا "الضمير وجعلنا كلما جبناء، من ثم تحول الزهو في لون العزيمة إلى شحوب "بفعل القلق والتفكير، من ثم توقف التصميم على كل أمر عظيم،. فانحرف "عن طريقه ثم بطل ولم يجدر باسم العمل".

وهناك أدلة أخرى. تتناثر خلال المسرحية، على حالة القلق النفسي الذي كان يعانيه هملت، ولكنى أكتفي بما ذكرت.

ثانياً: السيكاستينيا "PSYCHASTHENIA"

السيكاستينيا نوع من اضطرابات السلوك، تلك الاضطرابات التي تتفق في صفة عامة مؤداها أن الأفراد الذن يعانونها يجدون أنفسهم مضطرين إلى التفكير أو التصرف بطرق يعلمون أنها ليست طبيعية. وأهم أنواع السيكاستينيا:

١ - **عصاب الحصار والقهر** "Obsessive- Compulsive Neurosis"

الحصار بضم الحاء كلمة اختارتها جماعة علم النفس بجامعة القاهرة ترجمة لكلمة "Obsession". والحصار مرض نفسى يتسم بطابع الوسواس ولذلك يطلق عليه بعض علماء النفس اسم "العصاب الوسواسي". وهو يصيب بدرجات متفاوتة الكثيرين من مرضى النفوس. ويتميز المرض بتسلط بعض الأفكار المقلقة الخاطئة على عقول المرضى الذين رغم علمهم بخطئها وسخفها فإنهم لا يستطيعون التخلص منها، فهي تلاحقهم أينما كانوا وتضيق عليهم الخناق وتنغص عليهم حياتهم.

ومن أهم مظاهر الحصار خور العزيمة وصعوبة التركيز والتوهان وأحياناً عد النوم. ويبلغ الأمر درجة من الخطورة عندما يحس المريض بمرضه ويحاول التخلص من الأفكار التي تقلقه فيفشل، وحينئذ يسلم نفسه كلية لهذه الأفكار تتصرف فيه كيفما شاء لها الهوى.

ومن الأمثلة على ذلك أن يقلق المريض باله ليل نهار بالتفكير في معنى الحياة أو فكرة الموت أو الانتحار أو الانتقام أو مشكلة الخير والشر وغير ذلك من الآراء والمشاكل الدينية والفلسفية وغيرها.

وقد تتكون الأفكار من صور أو مقاطع من جمل أو كلمات تدور بفكر الشخصى دائماًبدون انقطاع على الرغم من مقاومته لها وعلى الرغم من علمه بأنها لا تعهنى شيئاً. ويسمى هذا النوع، "حصار الأفكار والخواطر"

ويوجد نوع آخر من الحصار يسمى "حصار الدوافع أو الأفعال القهرية". وفي هذا النوع يشعر المريض بدافع قوى يدفعه لإتيان عمل من الأعمال وغالباً ما يقاوم المريض هذا الدافع بكل ما يملك من قوة. ومن الأمثلة على ذلك أن تتسلط على المريض رغبة قوية في إلقاء نفسه من النافذة إذا أطل منها، أو يحس بدافع قوى يدفعه لإلقاء نفسه من مكان عال أو أمام قطار. وقد يحس المريض في بعض الأحوال بالرغبة الملحة في إيذاء غيره من الناس، وقد تصل الحال أن تتسلط على الأم فكرة قتل وليدها. وقد ذكرنا أن هذا الشعور لا يتعدى الرغبة في معظم الأحيان وأن المريض لا ينفذ من هذه الرغبات شيئاً، بل يحاول أن يبتعد عن كل ما من شأنه أن يثير هذه الرغبة في نفسه فيمتنع عن الاقتراب من النوافذ أو من محطات السكة الحديدية، إلا أنه توجد بعض الأفعال القهرية التي ينفذها المريض كأن يعد مصابيح النور إذا سار في أحد الشوارع، وإذا أخطأ في العد فإنه يعود أدراجه ويبدأ عدها من جديد. وقد يفرض الشخص على نفسه القيام ببعض المناسك أو الفروض بطريقة معينة وفي أوقات معينة كأن يغسل يديه خمسين مرة كل يوم مثلا أو يقرإأ بعض الأدعية حتى الساعة الثانية صباحاً كل ليلة، أو يمر على جميع أبواب ونوافذ منزله قبل النوم سبع مرات ليتأكد من انها موصدة. وهذه الأعراض كثيراً ما يختلط بعضها بالبعض وفي بعض الأحيان تبلغ درجة من الخطورة حتى إنها تعوق النشاط الاعتيادى للشخص، ومثال ذلك أن مبيض منازل وقف مرة ثلاث ساعات أمام شرخ في الحائط إلى ان خطرت له الفكرة الصحيحة إتمام عمله، وزوجة لم يكن لها هم سوى غسل يديها خوفاً من أن قد تلوثت بشيء ما، وقد

استغرق ذلك كل وقتها حتى إنها لم تفعل شيئاً سواه طول النهار، وتسمى هذه الحالات "بالحصار المعطل". وهؤلاء المرضى غالباً ما يشعرون باكتئاب وهبوط وليس أن يقدموا على الانتحار.

ويجب ألا يغرب عن البال أن كل إنسان مهما كان سليما لا يخلو من أثر من آثار الوسوسة أو الحصار ولكن بشكل مخفف، فبعضنا يشعر أحياناً إذا جلس إلى مائدة الطعام برغبة ملحة في ترتيب الشوكة والسكين والملعقة ووضعها بنظام معين حول طبقه، ومنا من لا يخلو من شعور بالتشاؤم في بعض الأحيان، ومنا من يحس بالخجل أو العار أو تأنيب الضمير لحوادث تافهة مرت من سنوات عديدة. ولكن الفرق بين السليم والمريض أن الأول يسهل عليه التغلب على هذه الوساوس بينما يقع الثانى فريسة لا يستطيع منها فكاكاً رغم علمه بتفاهتها وسخفها.

ومعظم مرضى الحصار يتصفون بالوداعة والهدوء وحب النظام والترتيب، ولكنهم في دخيلة نفوسهم أشخاص تملأ قلوبهم الكراهية والحقد والغيرة والأنانية مع ميلهم إلى الانتقام وإيذاء الغير وغذلال الناس والتسلط عليهم. وهذه الرغبة في إيذاء الغير وفرض الإرادة على الآخرين تكون خافية على المريض نفسه فهي لا توجد إلا في عقله الباطن فقط وهي التي تجعل أعراض المرض قهرية وتفرضها فرضاً على المريض. ومن ناحية أخرى، يتميز هؤلاء المرضى بأن لهم ضميراً قوياً يحاسبهم عصيراً على أخطائهم، ونتيجة لذلك ينشأ صراع داخلى بين الرغبات الشريرة التي يريد العقل الباطن أن يحققها وبين قوة الضمير التي تجعلهم يخافون من

نتائج هذه الرغبات ويحاولون دائماً أن يكتبوها. والخوف الذي يلازم مرضى الحصار هو في الواقع خوف من نتائج تنفيذ رغباتهم الجامحة التي ترمى إلى إيذاء الناس وإلحاق الضرر بهم، فهو إذن الخوف من تحقيق رغباتهم المحرمة، وبالرغم من أن هذه الرغبات مكبوتة لدى مرضى الحصار، إلا أنها تعمل دائما في الخفاء ولا يهدأ لها بال، وفي كل مرة تحاول الإفصاح عن نفسها ينتاب المريض القلق والمخاوف وأعراض المرض الأخرى. ويرى بعض علماء النفس أنه في كثير من الحالات يكون سبب الحصار صراعاً جنسياً داخلياً ولو أن المريض لا يستطيع أن يربط الناحية الجنسية بالأفكار التي تقلقه.

والمرضى بعصاب الحصار يهتمون دائماً بالدقة والتفاصيل في كل أمورهم، ولكن هذا لا يؤدى إلى أن تتميز أعمالهم بمستوى عال نظراً لأن كثرة التفاتهم إلى التفاصيل الدقيقة تجعلهم ينحرفون عن التيار الرئيسى لعملهم، كما أن كثرة عنايتهم بدرس كل كبيرة وصغيرة تجعلهم قاصرين عن الوصول إلى نتائج أو تصميمات معينة في أي موقف من المواقف فنجدهم دائماً مترددين متخاذلين، وهذه الخصائص تجعل مزاج المريض سريع الانحراف.

ويقتنع المريض غالباً بأنه تافه لا قيمة له، وكثيراً ما يفقد احترامه لنفسه، ويزيد الطين بلة فشله في استبعاد هذه الأفكار، فيفقدج الثقة بنفسه ويزداد اعتقاده بضعفه وقصوره.

وأمثال هؤلاء الأشخاص يبحثون دائماً عن الكمال، كذلك الفتى المتدين الذي يريد أن يحيا حياة روحية سامية، ومع ذلك يتعذب تحت وطأة أفكار يعلم تماماً أنها شريرة، وكذلك الفتى المرتهق الذي يضع لنفسه معايير خلقية رائعة ولا يستطيع أن يسامح نفسه إذا أخطأ أو يسامح غيره لأقل حيدة عن الفضيلة، ومع ذلك تقلقله هذه الأفكار التي تراوده متعارضة مع ما يؤمن به من معايير خلقية.

وإذا انتقلنا إلى عالم المسرح، وجدنا أن مرض الحصار أو العصاب الوسواسى ينطبق على شخصية الضابط "أدولف" في مسرحية "االأب" للكاتب السويدى الشهير أوجست سترندبرج.

مسرحية الأب

تأليف: أوجست سترندبرج
ترجمة ":لأستاذ وديع فلسطين

يمهد الكاتب للمأساة التي تناولتها المسرحية بعرض مشكلة أحد جنود المراسلة الذي ارتكب الإثم مع خادمة رئيسه الضابط أدولف. ويحاول الضابط بدوره أن يزوج هذا الجندى من الخادمة وأن يجعله يتكفل بتربية الطفل الذي ولدته، فيعترض الجندى قائلا إن الخادة قد اقترفت افثم أيضاً مع رجل آخر، وهذا يعنى أن أبوته للطفل ليست مؤكدة، ولا يمكن التأكد منها، وهو لذلك لا يرى معنى لأن يربط حياته بحياة طفل يشك في بنوته له.

ثم يبدأ المؤلف بعد ذلك في عرض القصة الأساسية، فنعلم أن أدولف، الضابط المهتم بالبحوث العلمية، متزوج من "لورا" منذ عشرين عاماً، وله منها طفلة تدعى "برتا". ويدور حديث بين الضابط وبين صهره القس نفهم منه أن هناك شقاقاً بين الضابط وزوجه التي تريد أن تتبقى ابنتها إلى جانبها في المنزل لتوجهها نحو دراسة الفن، بينما يرى هو أنه يملك الحق الأول في تكوين شخصية ابنته التي يريد إبعادها عن المنزل وإلحاقها بمدرسة داخلية في المدينة وتوجيهها نحو الاشتغال بمهنة التدريس بعد إتمام تعليمها. ونعلم ايضاً أن الضابط لا يستريح كذلك إلى حماته التي تعارضه دائماً في كل شيء. وينصحه القس. (أخو لورا) بأن يكبح جماح

النساء فية منزله جيداً ولا يترك لهن تصريف الأمور خاصة وان لورا تتميز، منذ كانت طفلة، بأسلوب خاص في معاملاتها فهي شديدة التعصب لآرائها، قوية الإرادة، إذا اعتزمت أمراً نفذته بالحيلة، أما إذا زهدت فيه فإنها ترجع عنه بحجة أنها لم تكن تبغيه.

وينصرف القس، وتدخل لورا التي تناقش زوجها بخصوص تعليم ابنتهما برتا، ونفهم من المناقشة أن شقة الخلاف بينهما واسعة وأن كلا منهما مصمم على رأيه. وتتطرق لورا إلى الحديث عن مشكلة جندى المراسلة ويجرى بينهما حوار نقتطف منه ما يلى:

الضابط: فأنت إذن تعرفين سر الجندي

لورا: نعم أعرفه

الضابط: وهل اصدرت حكمك؟

لورا: حكمى هو حكم القانون.

الضابط: ولكن القانون لم يعين والد الطفل.

لورا: كلا، ولكن ذلك يكون عادة معروفاً.

الضابط: يدعى الحكماء أن أحداً لا يمكنه أن يعرف ذلك.

لورا: عجيب هذا! ألا يمكن معرفة والد الطفل؟

الضابط: كلا، هكذا يدعون

لورا: ما أغرب ذلك! وكيف يستطيع الوالد إذن أن يتولى أمور أطفاله؟

لضابط: يتولى أمورهم في حالة ما إذا سلم بمسئولياته نحو الطفل، أو إذا فرض الطفل عليه فرضاً، ولكن لا شك في الأبوة وعلاقة الزواج قائمة.

لورا: فلا مجال للشك إذن؟

الضابط: أعتقد ذلك.

لورا: ولكن إذا لم تكن الزوجة وفية؟

الضابط: هذا بحث آخر. هل لك شيء آخر تبغين قوله؟

لورا: لاشيء.

وكان هذا الحديث بمثابة البوصلة التي وجهت تفكير لورا نحو تدبير مؤامرة جهنمية للتخلص من زوجها بمساعدة الطبيب الذي سكن في منزلهم حديثاً.

ويتحدث الضابط بعد ذلك مع مربيته مرجريت التي ترعرع في أحضانها فيشكو لها سوء معاملة زوجه له، كما يخبرها باعتقاده بأن زوجه تدبر له مكيدة- لا يدرى كنهها- بالاشتراك مع الطبيب، ويطلب إليها أن

تقف في صفه وأن تساعده إذ أنه لا يوجد شخص سواها في هذا المنزل يرجو له خيراً.

وتعود لورا لمحادثة زوجها بخصوص ابنتهما برتا، ويدور الحديث في هذه المرة على النحو التالى:

لورا: هل ترحل برتا عنا؟

الضابط: نعم بعد أسبوعين

لورا: إذن يجب أن أحاول منع هذا

الضابط: لا تستطعين

لورا: لا أستطيع؟ هل تظن حقاً أنى أستودع ابنتى قوماً أشرارا يعلمونها أن امها كانت حمقاء في طريقة تعليمها؟

الضابط: وهل تظنين أن أباً يدع ابنته تتعلم بين أيدى نساء جاهلات مغرورات يلقنها أنه دجال؟

لورا: هذا لا يهيم الوالد كثيراً.

الضابط: ولم؟

لورتا: لأن الأم أقرب الوالدين للطفل. وقد اتضح أنه لا يمكن لأحد أن يقطع بصحة أبوة الرجل لطفل ما

الضابط: وكيف ينطبق كلامك على هذه الحالة؟

لورا: كلا! إن كل مستور لا يمكنك إماطة اللثام عنه.

الضابط: أتهزلين؟

لورا: كلا! إني إنما أستعين بمنطقك، فكيف تثبت في هذه الحالة أني لم أكن خائنة لك؟

الضابط: أعتقد أنك تصلحين لكل شيء تقريباً، إلا هذا، ولو كان صحيحاً لما تحدثت عنه.

لورا: هب أني مستعدة لأن أتحمل كل شيء في سبيل الاحتفاظ بطفلتي؟، حتى ولو طردت أو نبذت، وهب أني أعلن صادقة أن برتا هي طفلتي وليست طفلتك!

الضابط: كفي! كفي!

لورا: هب ذلك صحيحاً فبذلك تنتهي سلطتك.

الضابط: لن يكون ذلك إن لم تثبتي أني لست والدها.

لورا: ليس هذا عسيراً! أتريدني أن أفعل ذلك؟

الضابط: كفي!

لورا: لا يعوزني طبعاً إلا أن أعلن اسم والدها الحقيقي، وأذكر التفاصيل عن المكان والزمان. فمثلا، متى ولدت برتا؟ في السنة الثالثة لزواجنا.

الضابط: كفي الآن، وإلا....

لورا: وإلا...؟ أتلتزم الصمت الآن؟ تمهل وترو في كل ما تعمل وتقرر، ولا تكن أحمق فيما تفعل.

الضابط: أعتقد أن كل هذا يستحق الرثاء

لورا: إنك أحمق

الضابط: وأنت؟

لورا: إننا معشر النساء ذكيات حقاً

الضابط: لعل هذا هو السبب في أن أحداً لا يجرؤ على مناظرتكن.

لورا: ولم إذن تنازل عدوا يفوقك؟

الضابط: يفوقني؟

لورا: نعم، وهذا عجيب. فما نظرت إلى رجل قط إلا وأنا واثقة بأني أفضله.

وعلى هذا النحو، بدأت لورا تنفذ خطتها بالحيلة– كما اعتادت دائماً– فهي تنفث سمومها في عقل زوجها بأن تدخل في روعة الشك في أبوته لطفلته ثم تتركه بعد ذلك للوساوس تصارعه وللشكوك والأوهام تحاصره وللأفكار المقلقة تسيطر عليه.

وتكمل لورا نسيج مؤامراتها بأن تخبر الطبيب كيف أن زوجها يهذى كالوحش، وتتملكه آراء غريبة ومعتقدات خاطئة فيتخيل مثلا أنه ليس والداً

لبرتا. وهكذا أخذت لورا تسخر الطبيب لخدمة أغراضها الخاصة التي تهدف إلى امتلاكها وحدها لطفلتها برتا بعد أن تتخلص من زوجها بتلفيق تهمة الجنون له، وخاصة بعد أن علمت من الطبيب أن المجنون يفقد حقوقه المدنية وحقوقه العائلية كذلك.

وتتسلط الوساوس والأفكار المقلقة على الضابط فلا يملك منها فكاكا.

ويصور المؤلف نفسية الضابط الذي أصيب بمرض الحصار أو العصاب الوسواسى تصويراً بديعاً في مشهد بين الضابط والمربية مرجريت والطبيب. وسننقل إلى القارىء جزءاً من هذا المشهد في السطور التالية:

الضابط: مرجريت. من كان والد طفلك؟المربية: آه، لقد قلت لك ذلك مراراً. إنه النصاب جونسون

الضابط: أواثقة أنت من أبوته؟

المربية: ما أشبهك بالأطفال. إني طبعاً واثقة من أنه الشخص الوحيد.

الضابط: نعم. ولكن أكان هو واثقاً من أنه الشخص الوحيد؟ كلا، لا يمكنه ذلك. ولكنك أنت تستطعين واثقة. أما ترين أن هناك فرقاً بلين الحالتين؟

المربية: انني لا أرى فرقاً.

الضابط: إنك لا ترين، ولكن الفرق رغم ذلك موجود (يقلب صفحات البوم صور على الكتب) هل تظنين أن "برتا" تشبهنى؟

المربية: طبعاً! إنكما كحبتين من البازلاء

الضابط: هل أعترف جونسون أنه الوالد؟

المربية: لقد أرغم على ذلك!

الضابط: ياللهول!.. هاهو الطبيب (يدخل الطبيب) مساء الخير. اجلس أيها الطبيب

الطبيب: شكراً

الضابط: هل صحيح أنك إذا جمعت بين حمار وحشي وفرس، تحصل على مهر أرقط؟

الطبيب: (مذهولا) صحيح.

الضابط: وهل صحيح أن المهر يستمر محتفظاً بجلده الأرقط إذا تربى في كنف حصان فحل؟

الطبيب: نعم، هذا صحيح أيضاً.

الضابط: أعنى أنه في بعض الحالات الخاصة، يمكن أن يكون فحل الخيل أبا لمهر أرقط أو العكس؟.

الطبيب: نعم. هذا ما يبدو

الضابط: إذن، لا يدل شبه الابن لأبيه على شيء؟

الطبيب: حسناً...

الضابط: أي أنه الأبوة لا يمكن إثباتها.

الطبيب: حسناً...

الضابط: نعم.

الضابط: ألم تشعر قط بسخرية كأب؟ أنني لم أر شيئاً أكثر سخرية من أن أرى والدا يقود أطفاله من أيديهم في الطرقات، أو أن أسمع أباً يتحدث عن أولاده. كان يجب أن يقولى "أولاد زوجتي"! ألم تشعر قط بزيف مركزك؟ ألم تخامرك الشكوك قط، ولا أقول الظنون، لأنى أسلم أن زوجتك، وأنت رجل شريف، منزهة عن الظنون؟

الطبيب: كلا، لم أكن. ولكنني أعتقد أيها الضابط أن الشاعر "جوتيه" قال إن الرجل يجب أن يقبل أبناءه بإيمان صحيح.

الضابط: إنها مغامرة أن تقبل أي شيء بإيمان صحيح، وخاصة فيما يتعلق بالنساء. وتختمر الفكرة في ذهن المربية والطبيب بأن الضابط مصاب بنوع من الجنون يطلق عليه "جنون المعتقدات الخاطئة الثابتة" إذ أنهما لا يدريان السر الحقيقي في تسلط تلك الأفكار الغريبة عليه.

ويخرج الطبب، ثم تدخل لورا، ويدور بينها وبين زوجها حوار نقتطف بعضاً منه فيما يلى:

الضابط: يمكننى أن أقول إن لك فكرة سامية عنى! يبدو من هذه الرسائل التي استحضرتها الليلة من مكتب البريد أنك كنت من زمن مضى تحرضين أصدقائى القدماء ضدى بنشر تقارير عن حالتي العقلية. وقد نجحت في محاولتك هذه، إذ أنه لا يوجد شخص

واحد، من رتبة الكولونيل إلى الطباخ، يثق بأنى عاقل. والآن. هناك حقائق عن مرضى: عقل سليم، كما تعلمين، حتى أنى أستطيع أن أقوم بواجباتى كضابط وواجباتنى كوالد، إحساساتى تحت إمرى، حيث أن إرادتى لم تقوض بعد، ولكنك أخذت تنهشين وتقرضين محاولة أن يفلت ومام الإرادة من بيدى، وإذ ذاك ينهار البنيان كله ويتحطم. لن أستميل عواطفك لأنه ليس لك عواطف، وهذه أجل قوتك، ولكنى سوف أستميل مصالحك

لورا: أسمعنى

الضابط: لقد نجحت في إثارة شكوكى إلى حد أصبح حكمى فيه غير واضح، وابتدأت أفكارى تسبح، وذلك قد يفاجىء في أي وقت. فأنت الآن أمام مسألة هامة. هل مصلحتك في أن أكون عاقلا أم مجنوناً؟ فكرى. إذا ساءت حالتي، فسوف أفقد خدمتى في الحكومة، وأين تصبحين بعد ذلك؟ وإذا مت، فسوف يكون صك التأمين ملكاًلك. أما إذا سلبت حياتى بيدى فلن تنالى شيئاً. فالآن هل من مصلحتك أن أعيش أم أن أموت؟

لورا: أهذا فخ؟

الضابط: بالتأكيد. ولكن لك أن تختارى بين أن تدورى حول الفخ أو أن تضعى رأسك فيه.

لورا: أتقول أنك تقتل نفسك؟ لن تفعل!

الضابط: اواثقة أنت؟ هل تظنين أن رجلا يرغب في الحياة ما دام لا يجد من يعيش لأجله؟

لورا: هل تطلب التسليم إذن.

الضابط: كلا. إني أعرض الصلح

لورا: وما شروطك؟

الضابط: أن أحتفظ بعقلي، وأن تدحضى شكوكي، وإذ ذاك أوقف القتال.

لورا: أي شكوك؟

الضابط: حول أصول برتا

لورا: هل هناك شك في ذلك؟

الضابط: حول أصب برتا

لورا: هل هناك شك في ذلك؟

الضابط: نعم. لي شكوك، وقد حركتها أنت.

لورا: أنا؟

الضابط: نعم. لقد أصابتها في أذنى كالسيكران(١)، وقد جسمتها الحوادث.

خلصينى من الظنون، قولى لى صراحة أنك أخطأت وسوف أغفر لك سلفاً.

لورا: كيف أعترف بجرم لم أرتكبه؟

الضابط: ماذا تخشين طالما أنى وعدتك بعدم إفشائه؟ هل تظنين أن رجلا يخرج إلى الدنيا ينشر عاره؟

لورا: إذا قلت إن هذا كذب لم تصدقني، وإذا قلت إنه صدق اقتنعت ويظهر أنك ترجو أن يكون صدقاً.

الضابط: نعم، وياللعجب!! لابد أن تكوني خاطئة لأن الزعم الأول لا يمكن إثباته، أما الآخر فيمكن.

لورا: هل لديك وقائع تؤيد شكوكك

الضابط: نعم ولا.

لورا: أعتقد أنك تريد انتثبت جرمى كي تتخلص منى وتتحكم في الطفلة ولكنك لن تبلغ بغيتك.

---

(١) السيكران نبات قاتل للدجاج

الضابط: وهل تظنين، إذا اقتنعت بجرمك، أني أرغب في أن أتحمل مسئولية طفل رجل غيرى؟

لورا: كلا. إني واثقة أنك لن تقتنع، وهذا ما يجعلني أومن بأنك كذبت الآن حينما قلت أنك تغفر لي سلفاً.

الضابط: لورا. أنقذيني، وأنقذي صوابي. يبدو أنك لا تفهمين ما أقول. إذا لم يكن الطفل طفلي، فليست لى سلطة عليه، ولا أرغب فيها، وهذا ما تبغينه حقًّا، أليس كذلك؟ ولكن يظهر أنك تطعمين في أكثر من ذلك– أن تكون لك سلطة على الطفل، وأن تحميلنى على إعالتك أيضاً.

لورا: سلطة؟ نعم! فلماذا إذن هذا الكفاح في الحياة؟ أليس للحصول على السلطة؟

الضابط: الحياة فلا نظرى تعنى أكثر من هذا، لأني لا أعتقد في حياة أخرى. كان طفلي حياتي الأخرى، وذلك هو اعتقادي في الخلود.
وغذا جردتني من طفلي فقد أنهيت حياتي.

لورا: ولم لم ننفصل من قبل

الضابط: لأن الطفل ربط بيننا، ثم أصبحت الحلقة سلسلة. وكيف حدث ذلك. كيف؟ لم أفكر قط من قبل في هذا الموضوع، ولكن

الذكريات تثور الآن مشتكية بل ديانة. لقد مضى على زواجنا عامان لم نرزق خلالهما بطفل، وأنت تعرفين السبب، فقد مرضت وأوشكت على الموت. وفي لحظة وعى من لحظات الحمى، سمعت أصواتاً منبعثة من حجرة الضيوف. لقد كنت أنت والمحامى تتحدثان عن الثروة التي أمتلكتها، وشرح المحامي لك أنك لا تستطعين أنترثى شيئاً لأننا بلا نسل، ثم سألك إذا كنت تتوقعين مولوداً، ولم أسمع جواباً، ولما شفيت رزقت طفلة فمن هو أبوها؟

لورا: أنت

الضابط: كلا. لست أنا. تلك جريمة مدفونة بدأت تبعث. جريمة شيطانية! لقد اشتغلت واستعبدت لأجلك ولأجل طفلك وأمك وخدمك. لقد ضحيت بمستقبلي ومجدي. لقد تحملت كى تعيشى حياة رغدة. ولكي تفرحى بطفلك عندما تتقدم بك السن. وهذه البهجة وحدها حياة حياة أخرى.. لقد تحملت كل شيء دون ضجر لأني حسبت نفسي أبا لطفلك، وذاك أشرف أنواع اللصوية منك وأقسى أنواع العبودية لى. لقد عشت سبعة عشر عاماً مسخراً في الأشغال الشاقة وكنت أميناً فماذا عساك أن تقدمى جزاء لى؟

لورا: لقد بلغت الآن من الجنون منتهاه.

الضابط: هذا ما تبغينه!

ويتضح من هذا الحوار أن الضابط أدرك تماماً خطة زوجه الجهنمية التي تهدف إلى إثبات حالة الجنون عليه فيفقد بذلك سلطته على الطفلة "برتا" كما يتجرد من حقوقه المدنية وتصبح لورا هي وحدها صاحبة الحق المطلق في التصرف في أموال زوجها وفي السيطرة على طفلتها. وعلى الرغم من علمه بالخطة التي تدبرهازوجه فإنهلم يستطع التخلص من ذلك العصاب الوسواسى الذي سيطر عليه وملك قياده تماماً لدرجة أنه أصبح يتلمس ذكرياته القديمة لتبرير الشكوك والأوهام التي تقض عليه مضجعه.

ويتطور النقاش بعد ذلك بين الضابط وزوجه لورا على الوجه التالي:

الضابط: أعتقد أن أحدنا يجب أن يلين في الصراع.

لورا: أينا؟

الضابط: الأضعف طبعاً

لورا: وسيكون الحق مع القوى؟

الضابط: دائماً، ما دام متمتعاً بالقوة.

لورا: إذن فالحق معي

الضابط: وهل لك القوة إذن؟

لورا: نعم. وهي قوة شرعية أضعك بها تحت رعاية وصى.

الضابط: تحت رعاية وصى؟

لورا: وحينئذ أستطيع أن أعلم طفلتى دون أن أصغى إلى تلميحاتك الخيالية.

الضابط: ومن سيتكفل بمصاريف تعليمها حينما أصبح في معزل؟
لورا: معاشك سوف يتكفل بذلك

الضابط: وكيف تجعلينى تحت رعاية وصى؟

لورا: بهذا الخطاب الذي يحتفظ مجلس البيمارستان بصورة منه.

الضابط: أي خطاب؟

لورا: خطابك! اعترافك للطبيب بأنك كجنون. والآن قد أديت رسالتك كوالد تعس وكاسب قوت. لا حاجة إليك الآن فيجب أن تمضى.
يجب أن تمضى ما دمت قد أدركت أن عقلي قوى كإرادتي، وما دمت لن تمكث حتى تعترف بمقدرتي

وهكذا كشفت لورا بنفسها عن خطتها كاملة واضحة، وهكذا أفلحت في أن تخرج زوجها عن طوره، ذلك المسكين الذي لم يجد أمامه سوى المصباح المضيء يقذف به في وجه تلك المرأة الشريرة، ولكنها سرعان ما اختفت وراء الباب.

ويتضح في الفصل الأخير من المسرحية كيف اتخذت لورا من حادثة قذف زوجها لها بالمصباح ذريعة لإثبات حالة الجنون عليه، فتتفق مع أخيها القس ومع الطبيب "على الرغم من عدم اعتقاده في جنون الضابط" على إرسال زوجها لمستشفي الأمراض العقلية وإقامة أخيها القس وصياً عليه. ويستحضر الطبيب الإزاز على الضابط من خلفه بغاية اللطف، بعد أن يصدرلها الطبيب الأمر بذلك.

وبعد قليل يفتح الضابط باب الحجرة قسراً، ثم تدخل ابنته "برتا" فلا يتمالك الضابط نفسه من أن يقر بها منه ويخاطبها قائلا: "برتا، يا عزيزتى، أيتها الطفلة العزيزة، إنك طفلتى نعم. نعم. لا يمكن أن يكون سوى ذلك . إنه كذلك، وكل ما عداه أفكار مريضة تحملها الرياح كالحمى والطاعون. أنظرى إلى كي أرى روحي في عينيك! ولكنى أرى روحها أيضاً! إن لك روحين، تحبينى بأحداهما وتبغضينى بالأخرى، ولكن يجب أن تكون لك روح واحدة فقط، وإلا فلن تكونى في سلام. ولن أكون أنا في سلام أيضاً. يجب أن يكون لك فكر واحد فقط، هو وليد فكرى، ويجب أن تكون لك إرادة واحدة فقط، هي إرادتى.

ويتضح جليا من كلام الضابط لابنته أنه يعلم تماماً أن الأفكار للقلقة التي تسيطر عليه إنما هي أفكار سخيفة من صنع زوجته التي تمقه، ومع ذلك فإنه لم يقدر على التخلص من هذه الأفكار.

وتتحايل المربية على الضابط حتى تلبسه رداء المجانين حسب أمر الطبيب، فيثور الابط ولكن ما من رحيم. وتقضى هذه الصدمة على كيانه. وقبل أن يسلم الروح يدور بينه وبين زوجته ومربيته الحوار التالى:
لورا:هل تحب أن ترى طفلتك يا أدولف؟

الضابط: طفلتى؟ ليس للرجال أطفال. النساء فقط لهن أطفال، ولذا فالمستقبل لهن. أما نحن فنموت بلا نسل. أواه يا ربى، يا من تعنى بأطفالك.

المربية: أنصتى، إنه يصلى لله.

الضابط: إنى متعب جداً. أريد أن أنام. مساء الخير يا مرجريت. مباركة أنت بين النساء.

وما يكاد أدولف يبارك مربيته مرجريت حتى يلفظ آخر أنفاسه. أما "برتا" فتدخل جارؤية نحو والدتها وهي تقول: "أمي" فترد عليها "لورا" : **ابنتي**، ابنتي وحدي**!!**

٢- المخاوف المرضية أو الفوبيا "Phobia":

يطلق هذا المرض على انفعالات الخوف الشديدة تجاه مؤثر خارجي ثابت أو موقف معين لا يستدعى ذلك الخوف، وكثيراً ما يحس المريض بأنه مخطيء في إحساسه ومع ذلك فلا يتمالك نفسه من الخوف. وهو لا يخاف باستمرار، ولكن يأتيه الخوف في مواقف خاصة، وفي أحوال كثيرة ترتبط حالات المخاوف المرضية مع حالات الحصار.

وكل فرد منا يخاف، وبعضنا قد يخاف من أشياء لا تخيف غيره من الناس، فكثيرات من النساء يخفن من الفيران والصراصير ولكن هذا النوع من الخوف ليس هو المقصود وإنما نقصد بالمخاوف المرضية (أو الفوبيا) تلك الحالات التي يحس فيها الشخص بخوف كبير غير عادى لأمر لا يستدعى الخوف مما يدفع بالفرد إلى أنماط من السلوك الشاذ. وأهم أنواع المخاوف هي:

الخوف من الأماكن المتسعة والميادين	(أجورافوبيا)
الخوف من المرتفعات والأماكن العالية	(أكروفوبيا)
الخوف من الأماكن المغلقة	(كلوستروفوبيا)
الخوف من الألم	(الجوفوبيا)
الخوف من رؤية الدم	(هيموفوبيا)
الخوف من الماء	(هايدروفوبيا)
الخوف من الظلام	(نكتوفوبيا)

الخوف من الضوء الساطع	(فوتوفوبيا)
الخوف من التسمم	(توكسوفوبيا)
الخوف من الحيوانات	(زوفوبيا)

وهناك نظريتان لتفسير المخاوف المرضية:

(ا) إما أن يكون الفرد قد خاف في طفولته خوفاً كبيراً من أمر ما ثم نسى هذا الخوف وأسبابه (نظرية سولتر والانعكاسات المكيفة)

(ب) أوقد تكون الفوبيا رمزاً لصراع في نفس الفرد بين اللاشعور والضمير من نوع الصراع الذي يحدث في حالات الحار فينشأ خوف لدى المريض من نتائج تحقيق الرغبات المحرمة المكبوتة في اللاشعور. وسرعان ما يسقط المريض هذا الخوف على شيء خارج نفسه كالأماكن الضيقة المقفلة مثلا (نظرية فرويد والتحليل النفسي).

وبالرغم من شذوذ هذه المخاوف المرضية فإنها تكون بمثابة حصن يعتصم به المريض تجاة غواية ذات الشهوة التي تلح عليه إلحاحاً متواصلا لتحقيق أغراضها المحرمة، والنفس أمارة بالسوء كما هو معروف، وكأن المريض يخاف من نفسه على نفسه فيضرب حولها سياجاً من الأعراض النفسية يقيها شر عواقب الزلل. ولزيادة الإيضاح نورد فيما يلى بعض التحليلات لحالتين من حالات المخاوف المرضية.

حالة حوف من الأماكن المقفلة أو الضيقة(١) :

كان ثمة ضابط في أثناء الحرب يخاف من التواجد في الخنادق، وبعد التحليل النفسي ظهر أنه في طفولته كان قد ذهب إلى ممر مظلم وهناك أخافه كلب كبير الجثة فأصيب بذعر شديد، ثم نسيت هذه الحادثة بعد ذلك ولكنه ظل يخاف من الخنادق لأن ضيقها كان يرتبط في عقله بضيق الممر المظلم.

حالة خوف من الماء(١) :

ظهرت هذه الحالة عند فتاة مصابة بشلل وفقدان الإحساس نتيجة لإصابتها بالهستريا. وبالتحليل النفسي ظهر أنها كانت ذات مرة في طفولتها تشعر بعطش شديد فأعطتها مربيتها كوباً لتشرب منه، ولكنها تقززت منه لأنه سبق لها أن رأت كلباً يلعق الكوب، ولما كانت تخاف من مربيتها الإنجليزية خوفاً شديداً فإنها لم تستطع أن تعرفض الشرب من الكوب واضطرت لشرب الماء متأفقة متألمة ثم نسيت الحادثة تماماً بعد ذلك. ولكن منظر الماء ظل يثير في أعماق لاشعورها تلك الحادثة القديمة فأصبحت تخاف من الماء ولا تجرؤ على شربه دون أن تدرى السبب في ذلك.

---

(١) أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصى.

(١) المصدر السابق.

٣- اللوازم Tics

وهي اضطرابات حركية تشابه الأفكار المقلقة التي تسيطر على الشخص، ولكن هدفها لا يتعدى القيام بحركة معينة لذاتها. وهذه تصيب مجموعة قليلة من العضلات كعضلات الذراع أو اليد أو الوجه. وتحدث هذه الحركات والشخص متمالك لكامل وعيه. ويفكر المريض في الحركة التي يكره القيام بها ولكنه لا يستطيع مقاومتها.

٤- الهوس أو اللوثة العقلية Mania

في هذا النوع من المرض تتسلط على المريض دوافع قوية تدفعه للقيام ببعض أعمال ذات طابع إجرامى، ويظل واقعاً تحت وطأة القلق حتى يقوم بتنفيذ هذه الأعمال فتستريح نفسه ويطمئن باله. ومن الأمثلة على ذلك:

أولا: هوس السرقة "**Kleptomanin**"

وهنا يجد المريض نفسه مدفوعاً بقوة قاهرة إلى السرقة دون أن يكون محتاجاً إلى ما يسرقه. وكثيراً ما نقرأفي الجرائد عن أولئك السيدات المحترمات اللواتى يسرقن الملابس من المتاجر.

ثانياً: هوس القتل"**Homici Dal mania**"

وفي هذه الحالة يجد المريض نفسه مدفوعاً إلى ارتكاب جرائم القتل ويجد في ارتكابها لذة وسرورا.

ثالثاً: هوس إشعال النيران "Pyromania"

وفي هذه الحالة يندفع المريض بقوة قاهرة إلى إشعال النيران.

رابعاً: هوس الشراب "Dipsomania"

وفيه تحدث للمريض نوبات من الهوس يحس في أثنائها برغبة جامحة لا يمكن مقاومتها إلى شرب الخمر. وسنتكلم عن هذا النوع من الهوس في الفصل الخاص بالخمور.

ويلاحظ أن المريض بهوس السرقة لا يسرق لأنه محتاج إلى ما يسرقه، ولكنه يجد نفسه مدفوعاً إلى ذلك تحت وطأة إحساسه بالاضطهاد من الآخرين أو شعوره بالحرمان في ناحية معينة. ولذلك فإن السرقة (وهي سلب الآخرين ما عندهم) تعطيه شعوراً بالقوة، وإحساسا بالسعادة في حرمان الآخرين من بعض ما يمتلكون.

ومثل هذا الإحساس بالاضطهاد أو الذل أو العجز أو الضعف أو النقص قد يدفع بعض الأفراد إلى إشعال النيران أو إلى ارتكاب جرائم القتل في أحوال خاصة.

والتاريخ مليء بالكثير من الشخصيات التي كانت تعاني نوعاً أو أكثر من أنواع الهوس نذكر منها على سبيل المثال "نيرون" طاغية روما. شخصية نيرون: ظهرت هذه الشخصية في فيلم "كوڤاديس" الذي تدور قصته حول الاضطهاد الذي لاقته المسيحية في عهد الملك نيرون. وقد

شاهدنا المذابح الرهيبة التي استعملت فيها مختلف أساليب التعذيب والتنكيل، والتي استشهد بسببها آلاف المسحيين، كما أظهر لنا الفيلم كيف أن نيرون أمر بحرق روما ثم أخذ يتلذذ بمشاهدة النيران المشتعلة وهو يعزف على قيثارته.

ويتضح من هذا الفيلم أن نيرون كان مريضاً بهوس القتل وبهوس إشعال النيران.

وإذا رجعنا إلى التاريخ، وجدنا أن فيلم "كوڤاديس" قد تحرى الصدق والأمانة في عرضه لشخصية هذا الإمبراطور الطاغية. وسنذكر فيما يلى بعضاً من جوانب حياته التي لمسها الفيلم لمساً خفيفاً والتي تعطينا أدلة جديدة على إصابة نيرون بهوس القتل وإشعال النيران.

شخصية نيرون من الوجهة التاريخية

ولد نيرون سنة ٣٨ ميلادية، وقد بدأ حكمه وهو في السابعة عشرة من عمره بداية طيبة، إذ أن الحكومة ظلت تدار بيد مربيه ومعلمه الفليسوف "سنكا" بالاشتراك مع قائد الحرس "بورروس". وظلت الحال كذلك مدة خمس سنوات هادئة تعرف في التاريخ باسم "الخمس سنين النيرونية". ولكن نيرون لم يكد يبلغ رشدجه حتى أحس بعجزه وضعفه إزاء أستاذه ومستشاريه فتمرد عليهم، بل وحتى على أمه "أجربينا" التي عز عز عليها أن يتمرد عليها ابنها وهي صاحبة الفضل في توليته العرش، فراحت تهدده بأن تضيع عليه سلطانه بأن ترد إلى "بريتانيكوس" — ابن زوجها

الإمبراطور السابق– عرشه المغتصب. فما كان من نيرون إلا أن تخلص من غريمه بريتانيكوس بدس السم له في الطعام.

وكانت هذه الجريمة فاتحة سلسة من الجرائم البشعة، فقد انقلب نيرون إلى وحش تتوق لإراقة الدماء فتتابعت ضحاياه، وغدت كل تصرفاته تتسم بطابع البطش والوحشية وسلب الأرواح.

وكان لا يفتأ يوق. "إن أسلافي كانوا يجهلون حقوق السلطان... وقد يكرهنى الشعب، ولكنه سيرهبنى ويخاف منى".

وعندما انتقد تصرفاته أستاذه الفليسوف "سنيكا"، ولم يتورع عن قتله. وإلى هجاه الشاعر "لوكان" لاقى على يديه نفس المصير. ثم اشتد الجفاء بينه وبين أمه "أجريبنا" فسعى حتى أوردها حتفها ولما تنقض خمس سنوات على رفعها إياه إلى عرش الإمبراطورية الرومانية.

ثم التقى "بپوپيا" الفاتنة التي ملكت قلبه وحواسه، فلم يتردد في أن يطلق زوجته "أوكتاڤيا" من أجلها، ثم ألحق المطلقة المسكينة بأمه وبضحاياه العديدن. وبذلك خلاله الجو مع عشيقته، فتتزوج منها.

وعلى قدر ما كان نيرون متيما بپوپيا، فإنه لم يتورع عن أن يركلها في بطنها بقدمه ذات يوم، فإذا بها تصاب بنزيف داخلى أدى إلى موتها. وبالإضافة إلى هوس القتل، فإنه أصيب بهوس إشعال النيران، حتى ليعزى إليه أنه دبر الحريق الذي اجتاح روما في عام ٦٤ ميلادية. وقد ظل هذا

الحريق مشتعلا مدة سبعة أيام وسبع ليالى دمر خلالها معالم المدنية وقضى على أعز تحفها الفنية والتاريخية. وقيل إنه فعل ذلك لتتمثل له صورة حية للحريق الذي قضى على "طروادة"! كما قيل إنه لم يستبشع الجرم الذي ارتكبه، ولم يحفل بآلام الشعب، بل أحس بلذة شديدة لمرأي النيران فراح يرقبها وهو يعزف على قيثارته.

وقد رمى نيرون رعاياه الذين اعتقدوا الدينالمسيحى بأنهم مدبرو الحريق، فأوقع بهم افظع اضطهاد عرفه التاريخ وأخذ في التنكيل بهم في جميع أرجاء إمبراطوريته.

وكان نيرون نهما مفرطاً في الطعام ينفق على الولائم بغير حساب. وكان غريب الأطوار شاذ التصرفات فقد كان يتخفي ويزور المواخير ويتردد على الحانات بالليل في صحبة أمثاله من رفاق السوء، يسطون على الحوانيت، ويسيئون إلى النساء، ويجردون من يقابلونهم من كل شيء معهم ويضربونهم ويقتلونهم.

ويتضح من هذا أنه بالإضافة إلى هوس القتل وإشعال النيران، كان يعاني أيضاً من هوس السرقة.

ولكن أهم ما كان يرغب فيه هذا المخلوق الغريب هو أن يكون فناناً عظيما. ومما يذكر أنه جد في دراسة فنون النقش والتصوير والنحت والموسيقى والشعر. وبلغ من غرامه بالفن أن ظهر في ملهي يمى العظيم في روما وهو يعزف على القيثارة ويغنى قصائد من تأليفه. ولم يكفه هذا التنوع

في مواهبه، فظهر على المسرح ممثلا أدوار أوديب، هرقل ، وأورست. واغتبط النظارة غذ شاهدوا إمبراطوراً يعنى بتسليتهم ويركع على المسرح أمامهم، ويطلب إليهم أن يصفقوا له حسب مألوف عادتهم. وتلقف الشعب الأغانى التي كان ينشدها نيرون وأخذ يرددها في الحانات والطرقات.

وارتاع مجلس الشيوخ لهذه الظاهرة فأصدر حكمه على نيرون بالموت.

ولكن الإمبراطور بادر إلى الفرار، حتى إذا أدرك أن مطارديه وأشكو أن يلحقوا به، قضى بسيف أحد تابعيه، على حياته التعسة التي لم تطل لأكثر من واحد وثلاثين عاماً، وكان ذلك في عام ٦٨ ميلادية.

***

وإذا رجعنا إلى الأساطير، وجدنا في قصة "ألف ليلة وليلة" وهي ثمرة من ثمار الفكر الشرقى، مثلا بارزاً لهوس القتل يتجلى في شخصية الملك الفارسى شهريار.

ولقد كانت أسطورة "ألف ليلة وليلة" وهي ثمرة من ثمار الفكر الشرقى، مثلا بارزاً لهوس القتل يتجلى في شخصية الملك الفارسى شهريار.

ولقد كانت أسطورة "ألف ليلة وليلة" ولا تزال، منهلا يستقى منه كتاب السينما والمسرح أعذب القصص وأبدع الروايات.

ولقد تناول هذه الأسطورة ثلاثة من طليعة مؤلفينا المسرحيين العظام هم توفيق الحكيم في مسرحيته "شهر زاد"، وعلى أحمد باكثير في روايته "سر شهر زاد"، وعزيز أباظة في تمثيليته الشعرية "شهريار". وقد استقى هؤلاء الثلاثة مسرحياتهم من الأسطورة المعروفة التي تقول بأن الملك شهريار الطاغية كان يستقدم إلى بلاطه كل ليلة إحدى الحسان من بنات الشعب، فيتزوجها لليلة واحدة، ثم يأمر بقتلها قبل أن ترى نور الصباح.

وقد أصيب شهريار بهذا النوع من هوس قتل النساء على اثر عقدة نفسية رسبت في أغوار نفسه بعد أن اكتشف خيانة زوجته له مع عبد أسود.

واستمرت هذه الحال حتى قدمت ععليه ذات ليلة "شهر زاد" ابنة وزيرة الأول "نور الدين" لتقضى معها ليلتها الوحيدة، ثم تمضى بعد ذلك لتلحق بمن سبقها إلى الموت. ولكن "شهر زاد" استطاعت أن تستبقى حياتها بقصة مثيرة أخذت تسردها على الملك، الذي أصبح مشغوفاً بتتبع حةادثها، ملهوفاً إلى معرفة خاتمتها التي ظلت تؤجلها ليلة بعد ليلة حتى بلغت الليالى "ألف ليلة وليلة" الممثل الكبير بيتر أستينوف في دور الطاغية نيرون في فيلم "كوفاديوس" (مترو جولدوين ماير)

كان الملك خلالها قد انطفأ ظمأه نحو الدماء رويداً رويداً، وسكنت رغبته الجامحة في قتل الحسان، ةارتد في نهاية الأمر رجلا طيب الحلال دمث الأخلاق.

وسنتناول في السطور التالية مسرحيات الحكيم وباكثير وأباظة بشى من التحليل.

مسرحية شهر زاد

تأليف الأستاذ توفيق الحكيم في هذه المسرحية الرمزية لم يحاول المؤلف أن يعطينا تحليلا لنفسية شهريار وسلوكه الشاذ ولكنه أعطاناً صورة من تفكيره الملتاث. ونفهم من سياق الرواية أن ذها الملك كان مولعاً بأجساد النساء وأنه بعد خيانة زوجه الأولى له مع أحد العبيد، أصر على الانتقام من بنات حواء، فصار يتزوج كل يللة عذراء ليزفها إلى الموت في الصباح.

ولما تزوج من شهر زاد تأثر بسحر قصصها العذب لدرجة أنه لم ير فيها امرأة كسائر الناس، بل بدت أمامه سراً مغلقاً من أسرار الطبيعة، فأبقى على حياتها على أمل أن يكتشف سرها في يوم من الأيام. ومضت ألف ليلة وليلة على زواج شهريار من شهر زاد وما زال يتخبط في إدراك حقيقتها، فحاول أن يستدرجها– دون طائل– إلى الاعتراف بسرها في ذلك المشهد الممتع الذي أنقله للقارىء فيما يلى:

شهريار: من أنت؟

شهر زاد: أنا شهر زاد

شهريار: كفي عن اللف والدوران! أعرف أن اسمك شهر زاد، ولكن من من تكون شهر زاد؟

شهر زاد: ابنة وزيرك السابق

شهريار: أعرف كذلك أن وزيرى السابق أنجب شهر زاد، كما أعرف أن أن الله خلق الطبيعة. ولكنك تعلمين أنى لست ممن تقنعهم هذه الأنساب.

شهر زاد: لماذا؟ لم لا تريد أن ترى في امرأة ككل النساء ذات أب وأم وماض معروف؟

شهريار: أنت لست امرأة ككل النساء.

شهر زاد: أتمدحنى أم تذمنى؟

شهريار: لست أدرى، بل قد لا تكونين امرأة.

شهر زاد: أرأيت إلى حد أصابعك الحبل؟

شهريار: قد لا تكون امرأة. من تكون؟ إنى أسألك من تكون؟ هي السجينة في خدرها طول حياتها، تعلم بكل ما في الأرض كأنها الأرض!هي التي ما غادرت خميلتها قط تعرف مصر والهند والصين! هي البكر تعرف

الرجال كامرأة عاشت ألف عام بين الرجال، وتدرك طبائع الإنسان من سامية وسافلة. هي الصغيرة لم يكفها علم الأرض فصعدت إلى السماء، تحدث عن تدبيرها وغيبها كأنها ربيبة الملائكة، وهبطت إلى أعماق الأرض تحكى عن مردتها وشياطينها وممالكهم السفلى العجيبة كأنها بنت الجن. من تكون تلك التي لم تبلغ العشرين، قضتها كأترابها في حجرة مسدلة السجف! ما سرها؟ أعمرها عشرون عاماً، أم ليس لها عمر؟ أكانت محبوسة في كل مكان؟ إنم عقلي ليغلى في وعائه يريد أن يعرف... أهي امرأة تلك التي تعلم ما في الطبيعة كأنها الطبيعة؟!، وهكذا أفلحت شهر زاد في أن تحول شهريار من سفاح لا تعنيه إلا أجساد النساء وتسيطر عليه شهوة القتل، إلى حكيم تموت فيه شهوة الجسد وتستيقظ فيه أكثر آيات الفكر تعقيداً ويصبح ولا شاغل له إلا الجرى وراء الكشف عن أسرار الكون.

ويعطينا المؤلف صورة للانقلاب الغريب الذي حدث لنفسية شهريار في ذلك المشهد الذي يضبط فيه شهريار أحمد العبيد في خدر شهر زاد فلا يعبر ذلك أي اهتمام، بل ينصرف في سكون وهو يقول: "وداعاً إذن يا شهر زاد!"

إن توفيق الحكيم قد أعطانا مسرحية رمزية مثلت فيها شهر زاد دور الطبيعة المغلقة الأسرار، واكتفي فيها شهريار بدور الإنسان الضعيف العاجز أمامها، ذلك الإنسان الذي تغريه الطبيعة المغلقة الأسرار، واكتفي فيها شهريار بدور الإنسان الضعيف العاجز أمامها، ذلك الإنسان الذي تغريه الطبيعة فيندفع لاجتلاء سرها حتى يدرك أخيراً أنه إنما يجرى وراء سراب.

مسرحية "سر شهر زاد"

للأستاذ على أحمد باكثير

يظهر الملك شهريار في هذه المسرحية شخصاً عن القيام بواجباته الزوجية نحو زوجته بدور التي تتوهم أن زوجها لا يقربها لأنه لم يعد يحبها. وتعتقد بدور أن خير وسيلة لاسترجاع حب زوجها لها هي أن تثير في نفسية الغيرة عليها فتستأجر لهذا الغرض عبداً أسودا حصياًليقوم بدور عشيقها ويعلم شهريار بخطتها هذه. فيجدها فرصة سانحة للتخلص من زوجه التي كان يعتقد أنها تسخر دائماً منه ومن رجولته الناقصة.

ويفاجىء شهريار زوجه ومعها العبد فيقتلهما معا على الرغم من علمه بأن زوجه بريئة من خيانته مع ذلك العبد الخصى. ويدفعه إحساسه بضعفه الجنسى إلى الإنتقام من جنس عامة، فنراه يتزوج كل ليلة عذراء من بنات شعبه ليقتلها في الصباح دون أن يقربها. ويظل شهريار على هذه الحال مدة ثلاثة شهور إلى أن يخطب لنفسه "شهر زاد" ابنة وزيره الأول "نور الدين".

وفي ليلة الزفاف. تحاول شهر زاد أن تستميل إليها شهريار عن طريق تملق صفات الرجولة فيه، فتقول له إنها لا تخشى سيف الجلاد الذي تعلم إنه سيطبح برأسها في الصباح، ولكنها تخشى ما هو أهول من سيف الجلاد.

إنها إنها تخشى نار رجولته الساخنة– تلك النار التي تهفو إليها نفسها، ومع ذلك فهي لا تقوى عليها بعد. وتطلب إليه أن يمهلها عاماً كاملاً تأنس فيه بقربه دون أن تمسها ناره، وهي كفيلة بأن تؤنسه وتبهجه بأغنياتها ورقصاتها وقصصها العذبة التي تطربه وتسليه، وبذلك ينقضى العام دون أن يشعر.

ولأول مرة يجد شهريار نفسه أمام عذراء تشيد برجولته وتظهر خوفها من قوته، فيمتلكه الزهو وتمتلىء نفسه بالثقة التي فقدها منذ أمد طويل، فيوافقها على طلبها. وتبدأ شهر زاد في سرد أولى قصصها طوال الليل حتى يدركها الصباح.

ويستعذب شهريار قصص شهر زاد، وتعود إليه بالتدريج قوته الجنسية بعد أن عادت إليه ثقته بنفسه، فيدخل بشهر زاد في الليلة الحادية والسبعين.

أما شهر زاد فلا تفرغ جعبتها من القصص طوال الف ليلة وليلة بعد زفافها إلى شهريار.

ولا تجىء الليلة الثانية بعد الألف إلا وقد اضمرت شهر زاد أمراً. ففي تلك الليلة تأمر جاريتها السوداء بأنها تتنكر في ثياب عبد وأن تختفي في مخدعها الملكي.

وما يكتد شهريار يعود من الصيد ويدخل إلى مخدع شهر زاد حتى يفاجأ بوجود ذلك العبد،÷ فيهم بقتله لولا أن شهر زاد تدفع إليه الجارية وقد خلعت عنها ثياب العبد وعمامته فيذهل شهريار بينما تندفع شهر زاد في الضحك والقهقهة قائلة له إنما أرادت أن تمزح معه لترى كيف يغار عليها.

وتتدافع الذكريات إلى رأس– شهريار– ذكرياته البعيدة عندما حاولت بدور زوجه الأولى أن تبعث الغيرة في قلبه بحيلة مشابهة لحيلة شهر زاد، فلا يتمالك نفسه من أن ينتحب كالطفل وهو يقول: "قتلتها وهي بريئة. قتلتها وأنا أعلم أنها بريئة!".

ويعلم شهريار بعد ذلك أن شهر زاد قد قد أرادت بهذه الحيلة أن تشفيه من علي كانت تلح عليه فتجعله يقوم من فراشه كل ليلة وهو نائم فيجرد سيفه ويذهب إلى الجناح الذي كانت تقيم به بدور زوجه الأولى حيث يقتل شبحها وشبح العبد هناك ثم يعود إلى مضجعه وكأن شيئاً لم يكن. وقد ظل يقوم بهذه الفعلة طوال الألف ليلة وليلة التي قضاها مع شهر زاد.

ويأخذ الندم بتلابيب شهريار على كل ما أقدم عليه من جرائم قتل النساء ولكنه يكفر عن ذنوبه بدفع تعويض إلى عائلات العذارى اللواتى قتلهن وبالإعلان في شعبه بأن عليه مهر كل فتاة تتزوج في مملكته.

***

وقد حاول الأستاذ باكثير أن يبني مسرحيته وأن يحل مشكلات أبطالها على أسس علم النفس المرضى فوفق في ذلك إلى حد كبير. شخصية شهريار هي شخصية رجل يعانى مركباً من مركبات النقص تولد عنده نتيجة لشعوره بنقص رجولته. وقد أوجد هذا المركب لديه حساسية شديدة لكل كلمة يشتم منها مساساً بصفات الرجولة فيه من قريب أو بعيد.

فكلما خاطبته زوجة "بدور" بقولها "يا رجل" أخذ هذه الكلمة محمل السخرية منه وجعل يدخل في روع نفسه بأن زوجه ليس لها هم سوى التهكم عليه. ولما علم من قهرمان القصر بالخطة التي دبرتها بدور بأن يفاجئها شهريار وهي متكئة مع العبد الحصى في مخدعها، اعتقد تماماً بأن بدور قد أمنعت في السخرية به إلى حد لم يعد يطيقه، فلم يتوان عن قتل العبد وقتلها على الرغم من علمه ببراءتها من تهمة الخيانة الزوجية. وتزداد عقدة النقص فيه وتمتد جذورها عندما يتزوج كل ليلة عذراء لا يستطيع معاشرتها معاشرة الأزواج فلا يجد مناصاً من قتلها في الصباحخ ليظل سر ضعفه الجنسى خافياً على الجميع.

وهكذا اندفع شهريار في تيار هوس القتل نتيجة لتسلط دوافع وقوى لاشعورية لم يقدر على كبح جماحها، وكانت تهدف هذه القوى إلى إثبات رجولته بأي شكل كان. وما دامت رجولته قد عجزت عن إثبات وجودها في حضرة النساء، إذن فلتثبتن وجودها عن طريق آخر– عن طريق قتل هؤلاء النساء!

ويتضح من هذا أن إصابة شهريار بهوس القتل إنما كانت نوعاً من السلوك العدوانى تسبب عن الضعف الذي كان يحس به في قوته الجنسية. وقد دفعه هذا النقص إلى الانتقام من النساء اللواتى كان يحس بالعجز إزاءهن.

وكان أول ما فعلته شهر زاد أنها أخذت تتملق صفات الرجولة في شهريار، فلم يحس من معاملتها له بعجزه وقصوره، بل على العكس أحس بالزهو والرضا عن نفسه وازدياد الثقة فيها فأخذت قوته الجنسية تعود إليه بالتدريج حتى إنه دخل بشهر زاد في الليلة الحادية والسبعين بعد الزواج على الرغم من وعده لها في ليلة الزفاف بأن يمهلها عاماً كاملا لا يقر بها فيه.

وهكذا عادت إليه قوته الجنية، التي كان قد فقدها لأسباب لم يوضحها مؤلف المسرحية، كما شفي من مرض السلوك العدوانى نحو النساء. ولكنه على الرغم من ذلك، ظل تلح عليه الدوافع اللاشعورية التي كانت قد تسببت في إصابته بهوس القتل، فجعلته بعد زواجه من شهر زاد ينهض كل ليلة من فراشه فيجرد سيفه ويقتل شبح زوجه بدور شبح العبد ثم يعود إلى مضجعه، وبهذه الوسيلة أمكن لعقله الباطن أن ينفس عن رغبته في القتل ولكن بطريقة لا شعورية لا يدركها العقل الواعي الذي يكون غافلا في أثناء النوم.

ومن المعروف في علم النفس أن الحيل والوسائل التي يلجأ إليها العقل الباطن أو اللاشعور للتنفيس عن رغباته يبطل مفعولها إذا أدركها العقل الواعي.

ونتيجة لهذه القاعدة، فإن شهريار، بعد أن كشفت له شهر زاد عما كان يفعله في أثناء نومه وبعد أن أدرك عقله الواعي الوسيلة التي كان يلجأ إليها عقلها الباطن لإرضاء شهوة القتل، شفي من علته التي كانت تلح عليه في أثناء نومه بعد أن كان قد تخلص من نفس العلة (هوس القتل) التي كانت تدفعه لارتكاب القتل في أثناء يقظته وهو متمالك لكامل وعيه. وهكذا انتظمت العلاقة بين العقل الواعي لشهريار وبين عقله الباطن، ولكن بقى ضميره الذي استيقظ فجعله يشعر بفداحة الآثام التي ارتكبها ضد بدور البريئة البريئة وضد العذارى الطاهرات، وكان لابد له من التكفيؤر، على النحو الذي أوضحناه في تلخصينا للمسرحية، لبيصفي علاقته السيئة مع الضمير.

وهكذا عادت إلى شهريار نفسيته السوية الطبيعية بعد أن شفيت من شذوذها نتيجة لانتظام العلاقات وعودة التوازن بين منظماتها الثلاث وهي العقل الباطن والعقل الواعي والضمير.

مسرحية "شهريار"

تأليف الشاعر عزيز أباظة

تبدأ المسرحية وشهريار الملك مصابل بهوس القتل فتصفه إحدى فتيات الكورس بأنه:!الذئب أين الذئبُ من شهرياڑ لا يثب الوثبةُ إلا بدمْ وتصفه فتاة أخرى بقولها: وطاغياً يلتج فيه السعار وتلتظى لذاته الجامحات ذا فطرة كاللبؤات الحرار[1] تُرْوَى بأسراب الدم السافحاتْ ويتهم المؤلف "بدور" زوج شهريار الأولى بخيانة لا تقبل الشك مع أحد العبيد، كما يجعل المؤلف من ذهه الخيانة سبباً مباشراً لإصابة شهريار باللوثة العقلية وبشهوته الجارفة نحو قتل العذارى اللواتى يتزوجهن، وفي هذا الصدد يقول شهريار:

داهمتهـــا في حضـــنَ عبـــد لفهـــا ... كالشـمس تحـت غَمامـة دكنـاء

فقتلتها ووددت لوَ بعثتْ لأقتلها ... وأقتلهــــا فَـــــثم شــــفائى

وبل لها سدت على منافذ الخلق ... الكــريم، ودنســت حَـوْبائى[2]

وتتطوع شهر زاد للزواج من شهريار الملك لتشفيه من علته ولتفتدى بنات جنسها، وينهاها أبوها "نور الدين" عن القيام بهذه المخاطرة، ولكنها لا تنتصح.

---

[1] الحرار: العطاش

[2] الحوباء: النفس أو الروح.

ويتم زواج شهريار من شهر زاد التي تفننه بسحر قصها فيؤجل قتلها من ليلة إلى أخرى. ولكن أختها دنيا زاد لا تلبث أن تتسلط على قلب الملك وتحاول إغراءه بقتل شهر زاد.

ويميل المؤلف في مسرحيته إلى اعتبار شهريار شخصاً مجنوناً يندفع في شهوة القتل بدون تمييز بين النساء والرجال، فما أن بلغه بأن أمير الجيش قد توانى عن مقاومة الفتنة التي شبت بشهرستان حتى اندفع يقتل أفراد جيشه دون وعى أو تفكير أو تغليب للحكمة.، وتستمر شهر زاد تحكى قصصها طوال الف ليلة على أسماع شهريرار، ولكن الضجر يبدأ في التسرب إلى نفسه من تلك القصص التي يراها سخفاً في سخف فيعلنها بتصميمه على قتلها في الغد.

وتبعث قبائل فارس إلى ملكها شهريار بوفود مزودة بالنفائس والهدايا لتقدم له آيات الطاعة وفروض الولاء. ويصف الوزير نور الدين ماذا فعل شهريار بهذه الوفود فيقول لابنتيه شهرزاد ونيا زاد:

طالعته الوفود وهو قريرُ العين راض والوجهُ ضَحيانُ سَمْحُ فانبرى منهمو خطيبٌ فقال: الملكُ عدلٌ فضلٌ وصفحُ هاجت "الصفح" هذه كلبَ الداء بنفس نضنْاضَة[1] شريره َتنزى غيظاً وحقداً، فكان الجلدُ والحرق والمدى المطروه ما ثوانا هنا! هلما فقد خلفته! الآن يحرقُ القصرَ

[1] نضناضة: التي إذا نهنتمتلت من ساعتها

حرقا[٢]، يضيف المؤلف هنا إلى شهريار علة أخرى هي هوس إشعال النيران.

ويخشى نور الدين على نفسه وعلى ابنتيه من انتقام الملك منهم في إحدى لحظات جنونه فيطلب إلى شهر زاد أن تهرب من القصر ولكنها ترفض قائلة إنها زوج شهريار الشرعية وليس للزوج موضع سوى منزل زوجها وإنها ما زالت تؤمل في أن تشفي زوجها من مرضه في أمد قريب. وتلتقى شهر زاد بزوجها فتعاتبه على ثورته العارمة ضد الوفود وعلى إزعامه حرق القصر ويدور بينهما الحديث التالى:

شهريار: دعينى من الخير الذي تنشدينه .. فما أتغيا الخيرَ والروحُ أعوجُ
تحاميت حرق القصر، لكن بى ههوى.. إلى حرق غير القصر ينزو فيلهج
نوازِع تعرونى فما لى مذهبٌ. . إذا تراغى بى ولا لى مخرجُ

شهر زاد: وما تلكَ يا مولاي؟

شهريار: إعصار نقمة على هذه الدنيا بصدر تحشرج

شهرزاد:لك الله يا مولأي تلك وساوسٌ.. تثور فتغرى غيرها وتثير
وإن شفاء النفس منها تجردٌ.. إلى الله يجلو شكها وينير

شهريار:

---

[٢] المطرورة: المشحوذة.

عَرضْت لحرق القصر ذاك أطيقه ... ولكــن مــا أهفــو إليــه عســير

تمنيت لـو حرقـت نفساً يقـودني ... هواهـــا فـــألقى مقـــودى وأســـيرُ

تمنيـت لـو حرقـت عقـلا يحضـني ... علـى بـدوات الجهـل وهـو بصـيرٌ

تمنيـت لـو حرقـتُ ذكـرى أثيمـةٌ ... يجـــيش بنفســـى هَولُهـــا ويمـــور

خيانـــة زوج جُـــن قلـــبي بحبهـــا ... فزلـتْ. فعرضـى مـا حييـت عقـير[1]

تمنيــت لوحرقتــك اليــومَ حيــةَ ... فـــإن مـــت لم يفـــرط علـــى أمـــيرُ

تنقصـــتى في عـــين نفســـى فلـــم ... يـــذد صَـــغاراً طواهـــا منـــبر وســـرير

ويعطينا المؤلف في هذه الحديث صورة لتلك النوازع والدوافع التي تدفع شهريار دفعاً إلى ارتكاب الجرائم، انتقاماً لشرفة المثلوم، دون أن يملك إزاءها إلا الرضوخ والاستسلام، كما يعطينا صورة لبدء استقياظ الضمير عند شهريار عندما يعلن ثورته ضد نفسه المريضة التي تقوده إلى الجريمة، وضد عقله الذي يدفعه لارتكاب الحماقات. وتبتهج شهر زاد إذ لمحت في كلام شهريار رغبة صادقة في الخلاص من مرضه فتقول له:لينهك يا مولأي**!!** هذا الذي شبا ... بنفسك فجر بالخلاص بشيرُ

ويطلب شهريار إلى شهر زاد أن تساعده على الخلاص من تلك الدوافع الخفية التي تجعله أسيراً لها والتي تكبله بقيودها فيعطيها حنجره

---

[1] عقير: ذبيح أو جريح.

طالباً إليها أن تقتله، ولكن شهر زاد الوفية الأمينة التي تطوعت لحمل رسالتها الجليلة نجيبه قائلة:

فديتك يا مولأي ليست رسالتي — تقوم على قتل، ولكن على خلق
تغلب على شيطان يأسك واتجه — إلى ساكب من رحمة الواحد الحق

يحاول المؤلف أن يعالج شهريار من مرضه بأن يوجد متنفساً لتلك الدوافع الشريرة اللاشعورية التي تسيطر عليه فيختار لذلك طريق الأحلام. ويظهر شهريار في الفصل الأخير من المسرحية مستلقياً على فراشه، وهو يحلم بأنه في كهف مخيف فيه صخور ومسارب، وقد لبس ملبساً حقيراً وقيدت يداه ورجلاه ووسطه بالأغلال وهو يقول:

شهريار:

ربَ مـــاذا حـــل بي؟ أيـــن أنا؟ — أي قـــبر يحتـــويني وظلـــم؟.!
مـــا الـــذي أثقـــل رجـــل — لـــف كالصـــل بحقـــوى وضـــم؟!
ويَـدى! ! مـاذا حواليهـا؟ أمـا — ذاك قيـــد؟ أتـــرى هـــذا حلـــم؟
ياغـــلام، النـــورَ هـــل تســـمعنى — ويـك هـل طيـق أذنيـك الصـمم؟
إيـــه يا أحـــراس قصـــرى أقبلـــوا — انـــني أوشـــك صـــدرى يضـــطرم!
إيـه يا أهـل ولائـى مـن حشـم — وعبيـــــد وإمـــــاء وخـــــدمْ

أصرخوا[1] – ياولكم– عاهلكم قبـل أن يـذهب بالـوعى اللمـم[2]

شهر زاد:

لستَ بالعاهـل. مـا أنـت سـوى كـــائن وزاه يســـمى شـــهريار

شهريار:

كـــائنُ واه! أتهـــذى؟ انـــني مَلـــك الأرض وجبـــار البحـــار

عرشـــى العـــرش الـــذي رفرفـــهُ يســـجد الليـــل عليـــه والنهـــارْ

ســـيدُ الفـــرس. وقـــوام الـــورى ورَحـــاَا الـــدنيا علـــى قطـــبى تـــدارْ

كائنٌ واه! ! صَه

شهر زاد:

لا تغـــــــــــــــــــــــــــتر أهلـــك الإنســـان كـــبرٌ واغـــترارْ

أنت تخشى الحق! والنفس إذا خشـــيته هبطـــت شـــر قـــرارْ

هـل تـرىَ نفسـك؟ فاسـبر غورهـا [1]ينقشـع عـن ذهـب الحـق الغبـارْ

لمـــعُ الحـــق إذا آنســـتها نشـطت نفسـك مـن ربـق الأسـارْ

(ينتظر شهريار هنا وهناك كمن يريد أن يتبين مصدر الصوت)

---

(١) أصرخ: أغاث.

(٢) اللمم: الجنون.

(١) آنس: رأي

شهريار:

أي صــوت ذاك؟ قــد خيــل لي   أنــه يهتــف بي منــذ ســنين

انـــــني ألمـــــح في نبرتــــــه   ومضـة الصـدق وإسـفار اليقـين

أيهـا الهـاتف مـن أنـت؟ ومـنْ   أي صـوت جئـت تهـدى وتبـين

شهر زاد:

إنــه صــوت ضــمير مثقــل   قَــر في هَيكلــك الفــانى المهــينْ

همســهاتٌ مــن صَــدى الحَــ   ق سرت في طواياك، وللحق طنين

شهريار:

أي حـق جئـت تـدعونى لـه؟   إنمــا الحــق ســناد العــاجزين

إنـه الحـق الـذي الـذي أصـنعه   عفــــو رأيى ســـــنة للعـــــالمينْ

شهر زاد:

لم تــزل عبــدَ شــياطين الهــوى   ولقــد يأبــق منهــا بعــد حــين

(تتراءى لشهريار أطياف مختلفة لرجال ونساء وحيوانات وجوارح)

شهريار:

صَــه أيهــا الهــاتف المســتكن   ألســت تــرى مــا ارى فــازدجرْ؟ !

شهر زاد:

وماذا ترى؟

شهريار:

ويك تلك الشخوصُ

شهريار:

أمـا تشـهد الأوجـه الكالحـات وأعينهـا قاذفـات الشـرر؟ !

وهـذى الكواسـر والجارحـات وتلـك الأفـاعي الـتي تنـأطر[1]

وحمـر الشـياطين. هـذا يـدب علـى قـدم مـن لظـى مسـتعر!

وذاك لـه كريمـان الجبـال رءوس تأشـب فيهـا الشـعر[2]

ألست ترى؟

شهر زاد:

لـيس هـذا الـذي تـراه سـوى مـائلات العـبرْ

كبـائرُ قارفتهـا فـانطوت بأغـوار نفسـك فيمـا غـبرْ

فلمـا تماقـل منـك الضـميرُ وأوشـك شـرك أن ينحسـرْ

---

(١) تنأطر : تتلوى.

(٢) تأشب: تكاثف.

طغـت فبـدت لـك دون الـورى مَرَائــى مــن نــدم منفجــرْ
تراهــا بــوهم الأثــيم المســىء قد احتشدت فانجلت في صور

شهريار:

رجـــالى وأحراســـى القـــائمين ببـــابى البـــدار إلى البـــدارا
لقــد أصــبحتْ غــرفي تســتباحُ ويــدخلها الواغلــون اقتســارا
هلمـــــوا إلى ألا تســــمعون؟ أتعصَــونَ رَبكمــو شــهريارا؟

شهر زاد:

فَهــبْ مــن دعوتهمــو أصــرخوا فمالـــك عنـــدهمو منفـــع!
أمســـــتدفع بهمـــــو ثـــورة؟ وجَنبـــاك للثـــورة المرتـــعُ!
إذا أنـــت لم تســـتطع دفعهـــا فلـــيس لهـــا أبـــداً مـــدفع

شهريار:

رب هــل هــذه طيــوفٌ تــراءى مَـدها في مســارح العـين وهــمَ
لا. فما كانت الطيوف شخوصاً معلومـات[1] لهـا كيـان وجـرمُ
يالهـــا حـــيرة تكشـــف كالليـــ ل إذا قلــت ينجلــى يــدلهم!

---

[1] دمع معلمة وهي المميزة الواضحة.

ويؤلف شاعرنا الكبير في هذا المشهد الرمزى بين شهر زاد (التي يسمع النظارة صوتها دون أن يروا وجهها) وبين شهريار والأطياف المختلفة ليعطينا صورة مجسمة لنفسية شهريار.

ففي بداية هذا المشهد نرى صراعاً بين العقل الواعي لشهريار (ممثلا في شخصه) وبين صوت ضميره(ممثلا في صوت شهر زاد) كما نرى شهريار مقيداً بالإغلال التي ترمز إلى الدوافع والنوازع اللاشعورية التي تقيده بأغلالها وتتحكم في سلوكه وتصرفاته. وتتراءى له بعد ذلك المكنونات الشريرة التي تستقر في عقله الباطن، تتراءى له على هيئة أطياف وأشباح لنساء ورجال وحيوانات وجوارح.

وما أن عرف شهريار حقيقة نفسه، وما أن أدرك العقد التي كانت تفعل فعلها في أغوار نفسه دون أن يدرى بها، ما أن أدرك شهريار كل ذلك حتى شفيت نفسه من أمراضها.

وقد عالج المؤلف بطل مسرحيته شهريار من مرضه النفسي على أسس طريقة التحليل النفسي التي البتدعها فرويد. وتهدف هذه الطريقة إلى إبراز مكنونات العقل الباطن وجعلها تطفو حتى تصل إلى مستوى الشعور أو العقل الواعي، فإذا أدركها البعقل الواعي وعلم بحقيقتها، بطل مفعولها وزالت عن النفس أمراضها.

ويشبه الكثيرون من علماء النفس العقد النفسية بالطابور الخامس الذي يفتك بالأمة في أحوال السلم أو الحرب دون أن يكشفعن

شخصيات أفراده.، وهو يفعل فعله دائماً في الخفاء، فذا سلطت عليه الأضواء واكتشف أفراده وعملاؤه، تعذر عليه البقاء. وينتهي الأمر بشهريار بعد شفائه، بتركه الملك والتكفير عن آثامه بالحج إلى بيت الله. ويوقل المؤلف إنه انتهج في عرض مسرحيته نهجاً رمزياً واقعياً، فأشخاصها ترتدى أثواباً نألفها وتتحدث بطريقة ليست غريبة عنا، ولكننا إذا تعمقنا في تحليلها، فليس من المستبعد عندئذ أن نجد آدم في صراعه الأبدى من أجل حقيقة الحياة التي يحياها. ولو ركزنا جهدنا على شخصية شهريار وتابعناه متنقلا متطوراً لألفيناه يتنازعه عاملان في وقت واحد، أحدهما مرئى يتمثل في ضجيجه وغضبه وبطشه بمن حوله، وثانيهما خفي رمزى يصعد به على مهل إلى بعض مقاوم الرقى؛ فهو أبداً في تغير، ويظل هكذا يرتقى سلم التجارب الإنسانية إلى أن ينتهي لأرفع التجارب وأسماها، تلك هي تجربة الروح والإيمان.

ثالثاً- الهستريا "HYSTERIA"

تطلق الهستيريا على نوع من الأمراض النفسية التي يتحول فيها الصراع النفسي إلى ظواهر وعوارض جسمية، وتختلف هذه الظواهر في شأنها ونوعها تبعاً للمواقف والأحوال، فقد يحس المريض بعدم القدرة على الكلام أو بفقدان البصر المفاجيء أو بشلل في أحد أعضاء الجسم كاليد أو الذراع أو كليهما أو بعدم القدرة على ابتلاع الطعام أو بالقيء المستمر إلخ...

وتتميز هذه الأعراض بأنها تحدث فجأة عقب مؤثر نفسى أو صدمة عاطفية، والمدهش أنها لا تكون مسبوقة أو مصحوبة بأي مرض جسمانى يفسر حدوثها. ومرض الهستريا له أهمية خاصة إذ أنه يزعج أهل المريض فيضطربون ويحيطون بمريضهم ويسبغون عليه الكثير من العطف والاهتمام ويصبحون ولاهم لهم إلا العمل على راحته، وهذا هو أهم هدف من أهداف الهستريا، إذ أن أعراض هذا المرض ما هي إلا وسيلة لإثارة اهتمام الناس بالمريض واجتذاب عطفهم عليه. وهذه الوسيلة يتخذها العقل الباطن للتغلب على موقف يعجز المريض عن مواجهته، أو للهروب من مأزق حرج يصعب على المريض التخلص منه. ومثال ذلك، الجندى الذي يصاب بشلل مفاجىء أو نوبات تشنجية عند ذهابه لميدان القتال فينقل من ميدان المعركة لمرضه ويوضع في أحد المستشفات لعلاجه، ولكن الكشف الطبى الدقيق وجميع الأبحاث الطبية تثبت أن أعضاء الجسم كلها سليمة ولا يوجد سبب لهذا الشلل سوى نفسية الجندى المضطربة بسبب عدم رغبته في الذهاب لميدان القتال. ومما يؤكد ذلك، أن هذا الجندى، بمجرد نقله بعيداً عن الميدان، تتحسن حالته الجسمية وترتفع روحه المعنوية ويشفي بأبسط وسائل العلاج. وتفسير هذه الحالة أن هذا الجندى جبان بطبعه أنانى بطبيعته، وهو يخشى الموت، وحينما يذهب للمعركة يزداد خوفه منه، ولكنه لا يستطيع الهرب من الجندية لشدة الأوامر العسكرية وصرامتها، فتتدافع في عقله الباطن غريزتان: غريزة حب البقاء التي تريد أن تبعده عن المعركة وغريزة الاعتداد بالنفس التي لا تريد له أن يوصف بالجبن. ونتيجة لذلك يتولد عنده الصراع النفسي العنيف. ونظراً لطبيعة

الشخص التي جبلت على الأنانية والخوف، تتغلب عنده غريزة حب البقاء فيظهر عليه ذها الشلل النفسي الذي يؤدى إلى نقله إلى المستشفى. وهكذا يحل الصراع بهروبه من الميدان وابتعاده عن خطر الموت، وفي نفس الوقت يجتذب عطف رؤسائه ويستندر عطف من حوله لمرضه، وثمة طالب يفشل في الامتحان، وعقب إعلان النتيجة تظهر عليه علامات الشلل المفاجىء، فبدلا من أن ينال ما يستحقه من اللوم والتأنيب، يستدر عطف أهله واهتمامهم به وينجو من العقاب والتقريع في نفس الوقت. فالعوارض الهسترية إذن تخدم غرضاً معينا، وهي تعبر حلا لا شعوريا للصراع النفسي وذلك بابعاد الشخص عن ميدان الصراع.

وقد كان المظنون قبلا أن الهستريا تصيب النساء فقط حتى أن اسمها مشق من اللفظ الإفرنجى المقابل لكلمة "الرحم". ولكن الحروب العالمية أثبتت أن الرجال يصابون بها في أثناء الحرب أكثر مما يصاب بها النساء. أما في وقت السلم فأغلب حالات الهستريا تحدث بين النساء.

وجميع العوامل التي تساعد على ظهور حالات القلق هي بعينها التي تساعد على ظهور الهستريا، وأهمها وجود استعداد وراثى للإنحرافات النفسية مع عدم إمكانية التكيف السليم مع البيئة المحيطة بالشخص. وقد يتعرض شخصان لنفس الظروف غير الملائمة (كالأزمات العاطفية أو المالية أو فشل في العمل) فيصاب أحدهما بعصاب القلق بينما تظهر على الآخر عوارض الهستريا. وقد شوهد في أثناء الحرب أن طبقة الضباط تصاب غالباً بعصاب القلق بينما تكثر عوارض الهستريا بين الجنود. ونذكر

على وجه التعميم أن الأشخاص الذين يتمتعون بدرجه من النمو العقلي والتعليم والإحساس بالمسئولية يكونون معرضين لعصاب القلق بينما يتعرض للهستريا الجهلة والعاطفيون والناقصو النضوج الناحية النفسية.

مظاهر الهستريا:

أولا: في كثير من الحالات تظهر الهستريا على شكل نوبات من الانفعالات العاطفية القوية التي لا سيطرة للمريض عليها، كنوبات الحزن والفزع والغضب والخوف والحسرة، أو كنوبات من الضحك تتبعها بالتبادل نوبات من البكاء، أو غير ذلك من النوبات التي تدل على عدم استقرار العاطفة. وهي كثيراً ما تصيب ذوى المزاج الرقيق والحس المرهف، كما تصيب الكثيرين ممن لم يعتادوا منذ صغرهم ضبط عواطفهم وانفعالاتهم، كما يحدث في حالة المرأة المدللة التي تنفجر باكية لأوهي الأسباب، وكما يحدث في حالة الرجل الذي يثوركالوحش لمجرد أنه لم يلحق بالقطار، أو المرأة التي تستلم لأشد أنواع الحزن إذا ماتت قطتها الصغيرة. كما أن هناك من الحالات ما يكون نتيجة لاستثارة الغريزة الجنسية بدرجة يصعب التحكم فيها فتظهر على شكل أعراض هسترية كنوبات الضحك التي تتبعها بالتبادل نوبات البكاء.

وأهم ما يميز الانفعالات العاطفية الهسترية أنها تتصف بطابع القوة والشذوذ ولفت النظر ، فالضحكة الهسترية مثلا التي غالباً ما تنطلق في موقف يستدعي البكاء تكون ضحكة عالية شاذة تستلفت انتباه المستمعين.

وما أكثر المواقف التي يتعرض فيها الممثل لتمثيل الانفعالات الهسترية في مختلف الأفلام والمسرحيات والتمثيليات الإذاعية. وتظهر نوبات الانفعال الهسترية غالباً بعد فترات من الكبت يستطيع الإنسان أن يسيطر خلالها على عواطفه ويكبح جماحها، ويستمر كذلك حتى تتجمع هذه الانفعالات الحبيسة تدريجياً،؟ ويزداد ضغطها حتى لا يقوى صاحبها بعد ذلك على كبتها، فتنفجر بشدة كما ينفجر المرجل المليء بالبخار المضغوط وتخرج على هيئة نوبات هيسترية قوية لا سيطرة لصاحبها عليها.

ولقد كان بسمارك السياسى الداهية مصاباً بهذا النوع من الهستريا فقد كانت تعتريه نوبات من الضحك والبكاء المتبادل عندما تأتيه أخبار الانتصارات على الجيوش النمسوية- ويكون في العادة قد ظل قبل ذلك أياماً وليالى يترقب نتائج هذه الحروب تحت إرهاق نفسى وتوتر شديد متفائلا تارة ومتشائماً تارة أخرى.

ثانياً: وفي بعض الحالات تظهر الهستريا على شكل تشنجات وتقلصات تعتري عضلات الجسم كله ويطلق على ذهه الحالات اسم "نوبات التوتر الهستيري" **وعندما تجيء إحدى هذه النوبات يسقط الفرد على الأرض وقد يغيب عن الوعي ثم تنتهي النوبة بعد بضع دقائق أو عدة ساعات.**

وهذه النوبة تشبه نوبات الصرع إلا أنها تختلف عنها بأن مدتها أطول، وبأن النوبة الهسترية أشبه ما تكون بمشهد تمثيلي يخرجه المريض على المسرح المناسب له، وهي لذلك تحدث دائماً ععلى مشهد ومرأي من الجماهير وبشكل تدريجي يختلف عن الشكل المفاجىء العنيف الذي تتخذه نوبات الصرع الحقيقة. فبينما يسقط المصروع على الأرض في أي مكان، فاقد الوعى (وقد تسبب له هذه السقطة إصابة في أي جزء من أجزاء الجسم) إذا بالمريض الهستيري يسقط على الأرض في كثير من الحرص، فقد يستند على الحائط مثلا في أثناء وقوعه أو قد ينزلق إلى الأرض في بطء من الكرسي الذي يجلس عليه، كما أنه لا يلقى بنفسه أبداً في مكان يؤذيه بل يختار المكان المناسب للوقوع عليه حتى لا يصاب بأذى في أثناء سقوطه.

وستتناول بشيء من التفصيل أهم الفروق بين نوبات الهستريا والصرع عندما نتكلم فيما بعد عن مرض الصرع. وعلى العموم تكثر نوبات الهستريا في الفتيات المراهقات والجنود المحاربين في جبهة القتال. ويتميز هذا النوع من الهستريا عن النوع السابق ذكره بشدة الانفعالات المكبوتة التي يكون انفجارها من القوة بحيث لا يقوى صاحبها على ملافاتها بنوبات من البكاء أو الضحك أو بمظاهر عاطفية أخرى فتظهر في هذه الحالة على هيئة تشنجات وتقلصات وانقباضات غير منتظمة.

تالثاً: وهناك نوع ثالث من الهستريا يعرف باسم "الهستريا التحولية" وهو الذي تتحول فيه الأعراض إلى مظاهر جسمية تشبه أعراض الأمراض

العضوية، والأعراض الجسمية في الهستريا التحولية قد تصيب أي جهاز من أجهزة الجسم كالجهاز العصبى أو التنفسى أو لهضمى أو البولى أو احدى الحواس الخمس، من أهم خصائص الهستريا التحولية ما يأتى:

١- أنه ليس لها سبب عضوى، أي أن الأعضاء المصابة بها تكون في الواقع سليمة من الناحية الطبية البحتة.

٢- أن أعراضها لا تتفق مع أعراض الأمراض المعروفة إذ أن المسئول عن ظهورها هو العقل الباطن الذي يكفيها بحسب المعلومات الطبية التي يعرفها الشخص عن الأعراض التي سوف يصاب بها، والمريض الهستيرى يتلقى معلوماته الطبية الى توحى له بالمرض من إحدى جهات ثلاث: فقد يكون مصاباً مثلا بالتهاب بسيط في الحنجرة يكون سبباً في الإيحاء له بفقد الصوت، وبينما يكون المرض العضوى في هذه الحالة هو التهاب الحنجرة إذا بالعارض الهستيرى وهو فقد الصوت يزيد الحالة خطورة، وفي ذلك بالطبع جذب لعطف الناس أكثر من العارض العضوى البسيط.

وقد يسمع المريض بالهستريا عن بعض الأعراض المرضية التي يذكرها أحد الأطباء أو أحد الممرضين فيتلقاهفالعقل الباطن إيحاء بتقليد هذه الأعراض.

وفي موضع ثالث قد يحاول المريض تقليد عارض عضوى لمريض آخر يكون قد رآه أو اختلط به. وفي كل من هذه الأحوال الثلاثة يتقبل العقل الباطن الإيحاء بالمرض في ارتياح وتتكون نتيجة لذلك الأعراض الهسترية.

٣- تزداد الأعراض شدة عند ملاحظة الآخرينلها، وعند إظهار العطف على المريض والاهتمام بحالته.

٤- الأعراض الهسترية تكون ملفتة للنظر أكثر من المرض العادي، فسعال المريض بالهستريا يكون عالياً ويشابه في معدنه نباح الكلب.

٥- يقاوم المريض الهستيرى بكل قوته الكشف عليه بواسطة الطبيب، فالساق المتصلبة مثلا تزداد صلابتها إذا حاول الطبيب ثنيها وذلك على عكس التصلب الناشيء من مرض عضوى.

٦- لا يبدو على المريض الهستيرى أي قلقت من أجل مرضه بل على العكس قد يحس بنوع من السعادة وراحة الذهن نتيجة لظهور حالة العجز الجسمانى لديه مما يجعله يظهر أمام الآخرين بمظهر الشخص الشجاع الذي يواجه مرضه بشيء من الاستسلام، فهو لا يشكو ولا يتضجر فيثير حوله بمسلكه هذا عاصفة من العطف عليه والاعجاب به.

٧- تختفي جميع الأعراض الهستيرية في أثناء النوم أو عند حدوث خطر مباغت أو حادث معين يجذب كل التفات المريض واهتمامه. فالمشلول شللا هستيريا قد تختفي أعراض مرضه إذا حدث حريق مثلا في الحجرة التي يوجد فيها فنجده يقوم ويمشى بل ويجرى ليتجنب خطر الطريق.

٨- يمكن تفسير جميع أعراض الهستريا التحويلية على أنها نتيجة لفقدان الذاكرة بالنسبة لوظيفة العضو المصاب. ففي الشلل مثلا يوجد فقدان للذاكرة بالنسبة لوظيفة العضو المصاب. ففي الشلل مثلا يوجد فقدان للذاكرة بالنسبة للوظيفة الحركية للعضو المصاب، وفي التخدير الهستيرى مثلا يوجد فقدان للذاكرة بالنسبة للوظيفة الحسية للعضو، كما أنه يوجد فقدان للذاكرة بالنسبة للعقل الواعي في حلات الإغماء الهستيرى وهلم جرا.

والمظاهر الجسمية للهستريا التحولية كثيرة متعددة أهمها:

أولا: الاضطرابات الحركية:

تحدث اضطرابات في حركات العضلات الإرادية وأهمها الرعشة والاهتزاز والتقلصات العضلية والشلل، وقد ترتعش الشفاه أو الأيدى في معظم الأحوال، وكثيراً ما تحدث التقلصات وعلى الأخص في الوجه. أما الشلل فقد يصيب الذراع أو الساق أو كلتا الذراعين أو كلتال الساقين أو جزءاً من ساق، كما قد يكون على هيئة شلل يصيب نصف الجسم. وينتج عن ذلك أعراض غريبة، فقد لا تستطيع اليد أو الساق القيام بوظيفتها الطبيعية وبذلك ينجو الفرد من مأزق حرج أو صعوبة، كالكاتب على الآلة الكاتبة أو الميكانيكى الذي يجد نفسه غير قادر على استعمال يديه. وقد يصيب الشلل الهستيرى عضلات الحنجرة فيجد المغنى مثلا نفسه عاجزاً عن الغناء بصوته الطبيعى المعتاد.

ويتميز الشلل الهستيرى بأنه لا يتفق مع أعراض الشلل الناتج عن مرض عضوى، فمشلول الساقين مثلا قد يستطيع في أثناء النوم، كما قد تستعمل الأيدى أو السواعد المشلولة استعمالا عادياً في أثناء النوم أو في لحظات الخطر المباغت. ومن خصائص الشلل الهستيرى كذلك أنه لا يكون مصحوباً باضراب في الأفعال المنعكسة أو بضمور في العضلات وذلك على عكس الشلل العضوى.

وبينما يحاول المشلول بشلل عضوى أن يستعمل العضو المصاب على قدر الإمكان إذا بالمريض الهستيرى يتجاهل تماماً العضو المشلول. أما مشية المشلول الهستيرى فهي مشية غريبة شاذة تستلفت الانتباه. ويحاول المشلول الهستيرى أن يقع على الأرض في أثناء مشيه، وقد يعجز اثنان من الأشخاص عن مساعدته في المشى، وهو يفعل كل ذلك لكي يكتسب عطف الناس واهتمامهم به.

ومن الأمثلة التي نذكرها بخصوص الشلل الهستيرى حالة فتاة اضطرت أن تترك عملها الذي تتكسب منه لكي تعتنى بصحة أمها المريضة وتقوم بخدمتها.

ولكن الفتاة لم تخدم أمها طويلا، إذ أنها أصيبت بشلل هستيرى في يدها اليمنى منعها من القيام بالشئون المنزلية. وبتحليل حالة هذه الفتاة يتضح لنا أن هذا العارض الهستيرى (وهو الشلل) قد أعفاها من القيام بواجب خدمة أمها، وهي مهمة لم تكن محببة لها، وفي نفس الوقت حافظ

على احترامها لنفسها أمام الناس الذين لم يجرؤ واحد منهم على أن يلومها على عدم القيام بواجب خدمة أمها، بل إنها، فضلا عن ذلك، أصبحت كأمها المريضة محل عطف المخالطين لها.

وإذا انتقلنا إلى عالم الشاشة البيضاء فإننا لابد أن نذكر حالة الفتاة المشلولة التي ظهرت مع شارلى شاپلن في فيلم (أضواء المسرح)– تلك الفتاة التي شفاها شاپلن بالإيحاء من شللها الهستيرى. وفي ذات ليلة وقبل أن تدخل المسرح لتؤدى رقصتها أحست بأن ساقيها لا تقويان على حملها، فإذا بشارلى شاپلن يصفعها صفعة قوية أدرك بعدها عقلها الباطن أنه ليس ثمةى فائدة من عودة أعراض الشلل الهستيرى لها، وكانت النتيجة أن أنطلقت تمشى في الحال وأدت رقصتها على أحسن وجه.

ثانياً: الاضطرابات الحسية والتخدير:

قد يحدث نوع من فقد الإحساس في أي جزء من أجزاء الجسم. وفقدان الإحساس أو التخدير يتمشى دائماً في هذه الحالات مع معلومات المريض الطبية، ولايتفق مع القواعد العلمية لفقد الإحساس الناتج من مرض عضوى.

وقد يفقد المريض بالهستريا الإحساس في نصف جسمه، أو قد لا يتعدى فقدان الاحساس منطقة اليد ويقف عند الرسغ (أي أن فقدان الإحساس يكون قاصراً على المنطقة التي يغطيها القفاز من اليد). وقد يشكو المريض من فقد الإحساس في قدمه ثم يقف عند دائرة محدودة في

الساق (أي أن فقد الإحساس يقتصر على المنطقة التي يغطيها الجوارب من القدم والساق).

وقد يكون فقد الإحساس داخلياً فلا يحس المريض بالجوع مثلا، كما قد لا يحس بالتعب، وفي جميع هذه الحالات تظل الأفعال المنعكسة في حالة طبيعية سليمة.

ثالثاً: الأعراض البصرية والسمعية:

قد يحدث أن يجد الشخص نفسه عاجزا عن الرؤية، وقد يكون سبب ذلك أنه رأي شيئا سبب له حالة هستيرية حادة أثرت على بصره فيصاب بالعمى الهستيرى فجأة حتى لا يستعمل عينيه في رؤية ما سبب له هذه الصدمة. وكما يحدث فقد الإبصار الهستيرى فجأة فإنه يشفي أيضاً فجأة. وقد يحدث للمريض بالشلل الهستيرى في نصف الجسم أن يفقد الإبصار أيضاً في عينه الموجودة في الناحية المصابة من الجسم.

وقد يحدث في بعض الأحيان أن تتقلص العضلات التي تقفل العينين. وفي بعض الأحوال يحدجث ارتخاء في الجفون العليا للعينين فيبدو المريض بعينين نصف مقفلتين.

وكما يجد المريض الهستيرى نفسه عاجزاً عن الرؤية لسبب ما، فإنه قد يجد نفسه في أحوال أخرى عاجزاً عن السمع. كما يحدث في بعض

الحالات تهيؤات بصرية وسمعية غير حقيقة، كأن يخيل للفرد أنه يسمع أصواتاً أو يرى أشياء ليس لها وجود في الواقع.

رابعاً: صعوبة البلع ةفقد النطق:

قد يحس المريض بصعوبة في البلع أو بضيق في الحلق أو بانسداد فيه، كما قد يفقد القدرة على التحكم في اللسان، ومع أنه قد يكون جائعاً لكنه لا يستطيع أن يبلع الطعام إذ يحس بكتلة صلبة تسد عليه طريق الطعام كما قد يعض لسانه في أثناء مضغ الطعام في بعض الأحيان. وتظهر عيوب النطق في غالبية كبيرة من حالات الهستريا. وأهم هذه العيوب التهتهة، وهي تنشأ من توتر ينتج عن الصراع بين رغبة الفرلد في قول شيء معين وخوفه من الناس إذا تفوه به أمامهم. وقد يصل الحال بالمريض أن يفقد صوته الطبيعى فيتكلم حينذ بصوت خافت مهموس.

خامسا: الاضطرابات التنفسية:

قد يحدث أن يزداد تنفس المريض زيادة كبيرة حتى يصبح تنفسه نهجاناً خصوصاً في حالات الاضطرابات الانفعالية كالخوف. ولكن هذا النهجان يختفي أو يقل إذا اندمج المريض بالهستريا في حديث مع شخص آخر، وذلك على النقيض من النجان الناشيء من أمراض القلب أو التنفس والذي يزداد حين يتكلم المريض، وفي أحوال أخرى قد تحدث للمريض صعوبة في التنفس وتبدو عليه أعراض تشابه أعراض مرض الربو.

سادساً: اضطرابات الأحشاء الداخلية:

وقد يبلغ الأمر في بعض الأحيان حدوث القرح المعدية، وظهور أزمات في الأحشاء الداخلية، أو فقد الشهية العصبى مما يؤدى إلى نقص كبير في الوزن وهبوط قد تنتج عنه الوفاة، وقد صادفت في حياتى العملية بعض حالات في السيدات كانت الواحدة منهن تشكو من آلامداخلية متنقلة استلزمت إجراء عمليات لهن كاستئصال الزائدة الدودية واستئصال المرارة، ومع ذلك ظلت الآلام تلح عليهن. ومن الغريب أن هذا الصنف من المريضات الهستريات يتطوع بل وقد يلح أن تجرى له العملية تلو الأخرى دون ضجر أو قلق، بل لعلهن يشعرن بسعادة كبرى في التعرض لهذه العمليات المتعددة.

سابعاً: قد تظهر أعراض الهستريا على هيئة مظاهر عقلية كفقد الذاكرة والتجوال، والتجوال في أثناء النوم، وتعدد الشخصية. وسنتكلم عن كل هذه المظاهر بعد أن نذكر شيئاً عن معالم الشخصية الهستيرية.

الشخصية الهستيرية:

يتميز الأفراد المعرضون للإصابة بالهستريا بأنهم من الشبان أو الشابات المحدودى الثقافة والذكاء. والمريض الهستيرى بوجه عام يتصف بضعف فيلا الشخصية، وبعدم نضوج من الناحية النفسية. ويمكننا القول بأن الهستريا هي استمرار لحالة الطفولة النفسية في شخص تعود على التدليل وعلى سرعة إجابة طلباته المنطوية على الأنانية وحب الذات ولم

يتعود على مجابها الحياة والتغلب على مشاكلها. فهو كلما صادفته عقبة تنتابه بعض الأعراض الهستيرية لتبعده عن ذه العقبة. ويلاحظ في هؤلاء الأفراد قابلتيهم الشديدة للاستهواء (استقبال الإيحاء)، وأنهم من النوع المنبسط (عكس المنطوى). وهم بطبيعتهم أنانيون محبون لذواتهم يتلهفون على مديح الناس واكتساب عطفهم ولكنهم لا يحبون الناس بقدر ما يهمهم حب الناس لهم.

والشخص الهستيرى لم يكمل نموه الانفعالى بعد، فهو غير ناضج، سريع التصديق لكل شيء، ولذلك فهو يصدق بسرعة إذا قال له أحد الأشخاص إنه مريض، وهذا ما يجعله فريسة سهلة للاستهواء. ونظراً لأنه يرغب في الحصول على حب الناس؟، فهو شديد الحساسية للنقد، حتى أن أي نقد يوجه إليه لتصرف معين قام به أو سلوك ظهر منه يجعله قلقاً، وسرعان ما تظهر عليه الأعراض الجسمية للهستريا لتجذب له عطف الناس واهتمامهم به ونسيانهم لأخطائه.

والشخص الهستيرى غالباً شخص طموح ولكنه لا يملك المقومات التي تحقق له أهدافه. وهو لايهمه تحقيق هذه الأهداف إلا لأنها تمنحه المركز الذي يتطلع إليه. وهو يتمنى المديح والإطراء ولكنه يود أن يساقا إليه بدون بذل مجهود أو عمل شيء يستحق عليه المديح، ولذلك كثيراً ما يلجأ إلى الكذب واختراع القصص التي يضفي فيها على نفسه نوعاً من البطولة الزائفة. وأغلب المصابين بداء "الكذاب المرضى" ينتمون في الواقع إلى طائفة المرضى الهستريين.

والخلاصة أن المريض الهستيرى شخص غير ناضج من الناحية النفسية، وهو لذلك لا يقدر على تحمل مسئوليات الراشدين.

ولنعد الآن إلى الظواهر العقلية للهستريا وهي تشمل كما قلنا سابقاً أنواعاً ثلاثة: فقد الذاكرة والتجوال– تعدد الشخصية– التجوال في أثناء النوم.

أولا: فقد الذاكرة والتجوال: Fugue

في هذه الحالة يترك الشخص منزله أو عمله ويتجول في المدينة نفسها أو في مدينة أخرى بدون هدف، ويبقى هكذا زمناً قد يصل إلى عدة أيام أو عدة شهور، وفي هذه الفترة قد يكون الشخص طبيعياً جداً ويعيش حياة عادية تختلف عن حياته الأولى، أو قد يصاب ببعض الاضطراب العقلي. وبعد أن يعود الشخص إلى بيئته الأولى لا يذكر أي شيء عن حادثة هروبه. وتفسر حالة التجوال هذه بأنها هروب من البيئة المحيطة به والتي تكون مصدراً للصراع بينها وبينحاجياته ورغباته وغرائزه. وهو هنا لا يهرب متعمداً، وإنما عقله الباطن هو الذي يدفعه إلى الهروب اللاشعورى كحل مؤقتا لتفادى الصراع مع البيئى والمجتمع.

ولقد قرأنا في الجرائد[١] عن زوجة تترك زوجها في وقت معين من كل عام وتذهب إلى مكان لا يعرفه زوجها وتبقى في هذا المكان أو بضعة أشهر ثم تعود إلى منزلها فغذا سألها زوجها: أين كنت؟ قالت لا أعرف،

---

[١] جريدة أخبار اليوم– العدد ٦٧٤– الصادر في٥/١٠/١٩٥٧.

وإذا سألها: لماذا صبغت شعرك أجابته: لا أعرف. وهي فعلا صادقة في إجابتها لأنها كانت فاقدة الذاكرة في أثناء فترة تجوالها.

ومثل آخر لسيدة كانت تهرب من منزلها عند سماعها بخبر خيانة زوجها لها، وفي أثناء فترة هروبها كانت تتسمى باسم عشيقة زوجها.

ثانياً: تعدد الشخصية: Multiple Personality

يعتبر الشخص متعدد الشخصية إذا كانت تنتابه نوبات من فقد الذاكرة لمدد طويلة في حياته يكون في أثناءها فاقداً لشخصيته التي يمتاز بها في حياته العادية، ومكتسبا صفات سلوكية مغايرة لطبيعته، ثم تمر به فترات أخرى يعود فيها إلى شخصيته الأولى بينما يكون فاقد الذاكرة بالنسبة لحالته الثانية وفاقداً كذلك للصفالت السلوكية التي تميزها. وأشهر مثل لتعدد الشخصية هو حالة السيدة بتشام التي درسها مورتون برنس بعد أن حدثت لها الحالة المرضية بست سنوات. وقد كانت لهذه السيدة ثلاث شخصيات مختلفة:

الشخصية الأولى:

كانت غير متدينة، شديدة الاعتداد بنفسها، تمتاز بالعناد وقوة الارادة كما كانت تتصف بالأنانية. وكانت تحب أن تجتمع بالناس ولكن ميلها للقراءة كان ضعيفاً كما كان من السهل إستثارة غضبها.

الشخصية الثانية:

كانت تتميز بصفات مخالفة للشخصية الأولى فقد كانت متدينة جداً متواضعة جداً قوية الضمير إلى حد كبير .

الشخصية الثالة:

كانت تسمى نفسها "سالى" وكانت تذكر جيداً بعض الحوادث التي لم تكن تذكرها الشخصية الثانية كما كانت تذكر كل الاحداث منذ ابتداء الحالة المرضية ولكنها تسترجعها على هيئة حلم غامض المعالم. وكانت سالى شخصية مرحة مملوءة ولهواً كالأطفال، ولكن لم يكن لها شيء من الصفات المميزة لكل من الشخصيتين السابقتين.

وعندما جاءت هذه السيدة إلى مورتون پرنس لأول مرة كانت كل هذه الشخصيات الثلاث قد استقرت، وكان عمرها في ذلك الوقت ثلاثة وعشرون عاماً. أما تاريخها الذي يسبق هذا التفكك النفسي والعصبى فهو مليء بالعصبية وعدم التكيف للبيئة. ففي سن الثالثة عشرة ماتت أمها، وكانت هذه صدمة قوية بالنسبة لها. وفي خلال الثلاث سنوات التالية لوفاة أمها كانت تعانى سلسلة من الصدمات العاطفية كانت تهرب بعدها من المنزل. وكانت تشكو من صداع متكرر وكابوس في أثناء النوم وكانت تمشى في أثناء نومها، وكل هذه الحالات تدل على ضعف في التكيف وضعف في تركيب الشخصية.

أما أسباب تعدد الشخصية فلا تخرج في جوهرها عن أسباب الهستريا التحولية، كما بين التاريخ المرضى لذهه الحالات وجود استعداد للضعف العصبى(النوراستانيا) مع وجود كبت سابق. ويظهر هذا بوضوح في الشخصية غير المتدينة التي كانت في صراع داخلي مستمر مع الشخصية المتدينة ومن هنا نشأ الكبت، ثم حدث تجمع في المواد المكبوتة وأصبح من الممكن أن تظهرر هذه المواد في شكل شخصية جديدة هي "سالي". أما الصدمات العاطفية التي تعتبر السبب المباشر لظهور اعراض الهستريا، هذه تظهر بوضوح في حالة السيدة بتشام.

أما عدد الشخصيات التي يمكن أن تنقسم إليها الشخصية فغير معروف تماماً، ذلك أنه وجدت حالة السيدة تسمى "درويس" انقسمت فيها الشخصية إلى خمس شخصيات، وحوادث التجوال غالباً ما يعدها بعض الباحثين أمثلة من ازدواج أو تعدد الشخصية. ومن أبرز هذه الحوادث حالة القس "أنس بورن" التي وصفها وليم چيمس. فهذا القس اختفي من بلدته فجأة وعاش لأسابيع قليلة في بلدة أخرى باسم "مستر براون" واستأجر دكاناً وملأه بالحلوى، ثم عادت إليه بعد ذلك شخصيته الأولى. وبالتعمق في دراسة هذه الحالة وجد أنه في الحالة الثانية كانت تتحكم في شخصيته تركيبات من الذكريات المفككة والدوافع أو الرغبات المكبوتة. ويمكننا الحكم على هذه الحالة بأنها ازدواج في الشخصية إلا إذا اتفقنا على أن نقصر تعبير تعدد الشخصية على الحالات التي يتمخض فيها انشقاق الشخصية عن شخصيتين أو أكثر وكل شخصية من ذهه الشخصيات تكون متماسكة تماسكاًكافياً لأن يجعلها تظهر أكثر من مرة.

وإذا اتفقنا على ذلك فإن حالة أنسل بورن تقع تحت عنوان التجوال وليس تحت بابا تعدد الشخصية.

وقد اهتمت شركات السينما بإظهار هذه الحالات المرضية في أفلامها فأنتجت أفلاماً كثيرة نذكر أربعة منها:

١ـ فيلم "دكتور چيكل ومستر هايد" :

المقتبس عن قصة للكاتب الإنجليزى روبرت لويس ستيفنسون. وهي قصة رجل تتنازعه شخصيتان: شخصية الدكتور چيكل النبيل ذى الأخلاق الفاضلة والضمير الحى، وشخصية مستر هايد المجرم الوحشى الذي لاهم له إلا إرضاء غرائزه البهيمية من سطو على الأعراض وسفك للدماء. وكانت هاتان الشخصيتان تتناوبان في الظهور فيتحول الرجل من شخصية إلى أخرى وبالعكس دزون أن يشعر في أي الحالين بما كان يرتكبه حين تتقمصه الشخصية الأخرى.

٢ـ فيلم "سيدة الأقمار السبعة):

ويدور حول قصة فتاة مراهقة كانت تعدو يوماً في حقول أبيها الشاسعة فهاجمها في الطريق شخص اعتدى على عرضها. وخلقت هذه الحادثة في نفسها عقدة مروعة أصابتها بمرض ازدواج الشخصية الذي ظهر عليها بعد زواجها .فحيناً هي زوجة طيبة مخلصة عفيفة، وحيناً آخر هي امرأة منطلقة مستهترة ترتدى زى الفجر وتضع في أذنيها قرطين طويليين

وتصبغ وجهها بأصباغ الغواني الغجر ثم تسلل من منزلها إلى أحد الأحياء الفقيرة وهو حى الأقمار السبعة، حيث ذلك وهي جاهلة بكل شيء عن شخصيتها الأولى بينما يكون زوجها في أثناء ذلك الوقت دائم البحث عنها في المدينة دون جدوى، ثم تعود إليها شخصيتها الأولى فتلجأ إلى منزلها وتعود كما كانت زوجة وفية دون أن تذكر أي شيء عن مغامرتها بل حتى دون أن تعرف أنها غابت عن منزلها وزوجها أياماً.

٣ـ فيلم (ليزى) أو "الوهم الغريب":

وفي هذه القصة نرى شخصية شابة وداعة منطوية على نفسها تسمى "إليزابيث" تعمل في أحد المتاحف في أمريكا، وتشكو دائماً من الصداع والأرق كما يشكو منها زملاؤها لعدم اختلاطها بهم.

وتعود إليزابيث إلى منزلها حيث تعيش مع خالتها وتحاول أن تنام ولكنها تقوم من فراشها ثم تجلس أمام المرآة، وفجأة تنقلب إلى غانية لعوب تسوى شعرها بطريقة خاصة وتصبغ وجهها على طريقة نساء الطريق ثم تنطلق إلى حانة وضيعة تتبذل وتشرب الخمر وتراقص الشبان الخمر وتراقص الشبان في خلاعة ومجون. وغفجأة تخرج من حقيبتها ورقة وقلما كى تكتب إلى إليزابيث خطاب تهديد بالقتل وتوقعه بإمضاء "ليزى". وبعد انتهاء السهرة الفاجرة تعود قبيل الفجر إلى بيتها ثم تنهض في الصباح وتذهب إلى عملها بشخصية "أليزابيث" الوداعة الرقيقة الخجول التي تحمل همومها بين جنبيها وتشكو من الصداع المستمر في رأسها. وهناك في المتحف تفتح حقيبة يدها فإذا هي تعثر على خطاب التهديد بالقتل

بإمضاء ليزى والذي تجهليإليزابث كل شيء عنه فينتابها الخوف وتشكو إلى زميلاتها سوء حظها وعمرها المهدد بالانتهاء بين لحظة وأخرى. وتتكرر هذه الحالة كل ليلة فهي في أثناء النهار "إليزابيث" الوديعة اللطيفة الخجول وفي أثناء الليل "ليزى" الخليعة الفاجرة.

وتشاء الظروةف أن تلجأ الفتاة لطبيب نفسانى ينومها تنويما مغناطيسيا تتكشف في أثنائه العقد النفسية التي جعلتها تصاب بازدواج الشخصية.

قد اتضح أن السبب اليانور باركر في شخصية اليزابث الوديعة المريضة الخجول في فيلم "ليزى" (مترو جولدوين ماير)

في هذا كله بضع حوادث وقعت لها وهي على عتبة المراهقة، فقد كان سلوك أمها مشينا، وفي ليلة عيد ميلاد افبنة أشعلت الصبية شموع كعكة العيد انتظرت حضور أمها التي لم تحضر إلا قرب الفجر مع عشيقها وكانت رائحة الخمر تفوح منهما. وثارت الإبنة وهجمت على أمها وأخذت تضرب صدرها قبضتيها، ولكن الأم كانت مريضة بالقلب فسقطت جثة هامدة. وبقيت اليزابث وحدها مع عشيق أمها الذي لم يتورع عن اغتصابها في نفس الليلة، وكانت صدمة مضاتعفة لإليزابيث التي لازمها الشعور بأنها قتقلت أمها كما لازمها الشعور بالإثم والعار، وعالجها الطبيب النفسانى بعد أن عرف سر مأساتها فأوحى إليها بأنها غير مسئولة

عن قتل أمها، واستطاع بذلك أن يحل العقد النفسية التي تراكمت ورسبت في أعماق عقلها الباطن على مر السنين.

اليانور باركر في شخصية ليزى المستهترة التي تتعاطى الخمر وتبتذل مع الرجال في فيلم "ليزى" (مترو جلدوين ماير) .. وعندما أفاقت الفتاة أحست بأنها أصبحت إنسانة أخرى.لقد اختفت ليزى إلى الأبد واختفت معها إليزابث المريضة البائسة الخجول، وظهرت شخصية ثالثة كانت تظهر للطبيب في جلسات التنويم، هي شخصية الفتاة الطبيعية المرحة المتفتحة للحياة. إنها إليزابث الحقيقة قبل أن تصيبها الصدمات والعقد النفسية أو هي "بث" كما كانت تسمى نفسها أحياناً في جلسة التنويم.

٤ـ فيلم "حواء المتقلبة" The Three Faces Of Eva

يعرض لنا هذا الفيلم قصة واقعية حدثت عام ١٩٥١ لسيدة من سكان ولاية چورچيا الأمريكية. وقد درس حالة هذه السيدة وعالجها اثنان من الأطباء الأمريكيين، وقد نشرا أبحاثهما عنها في إحدى المجلات الأمريكية الخاصة بالطب النفسي.

وتبدأ القصة بأن نرى السيدة الأمريكية "إيف هوايت" التي تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً ومعها زوجها "مستر هوايت" في عيادة الدكتور لوثر. وتقص مسز هوايت على الطبيب شكواها من نوبات الصداع الشديد التي تنتابها في بعض الأحيان، تتلوها نوبات من فقد الذاكرة، حتى إذا أفاقت لنفسها بعد تلك النوبات لم تذكر شيئاً عما فعلته في أثنائها.

ويصف لها الدكتور بعض الأدوية معتقداً أنها ستشفي بسهولة من هذه الحالة.

وبعد مرور بضعة أسابيع بدأت المأساة. لقد اشترت "إيف" بعض الثياب الخليعة ولما سألها زوجها عن ذلك، أنكرت أنها اشترتها، فلما اتصل بالمحل التجارى الذي باع هذه الثياب أخبرته العاملة بأن زوجته هي التي اشترت هذه الملابس الذي باع هذه الثياب أخبرته العاملة بأن زوجته هي التي اشترت هذه الملابس بنفسها وطلبت إرسالها إلى منزلها مصحوبة بفاتورة الحساب.

وفي يوم آخر، حاولت إيف خنق طفلتها الصغيرة، ولما سمع الزوج صراخ ابنته، أسرع فخلص الطفلة بعد ان طرح الزوجة أرضاً. وأفاقت الزوجة وعلمت بما فعلته ففزعت وأسرعت لاستشارة الطبيب. وفي عيادة الدكتور لوثر تنقلب الزوجة إلى شخصية أخرى جريئة ماجنة مستهترة تطلق على نفسها اسم "إيف بلاك" وتصارح الدكتور بأنها الشخصية الأخرى التي تسكن جسد "إيف هوايت". فإذا سألها الدكتور عن زوجها أجابت بأنها غير متزوجة وأنها ترفض أن تكون زوجة لهذا الرجل التافه "مستر هوايت".

وأدرك الطبيب أنه أمام إحدى حالات ازدواج الشخصية، إذ أن هذه المرأة تحمل في جسدها شخصيتين متناقضتين– أما الأولى فهي شخصية

"إيف هوايت" السيدة الهادئة الوديعة الخجول، وأما الثانية فهي شخصية "إيف بلاك" المنحلة الفاجرة السيئة السلوك.

وعلى الرغم من أن "إيف بلاك" تعلفم كل شيء عن "إيف هوايت" إلا أن "مستر هوايت" لا تعلم أي شيء عن الشخصية الأخرى التي تتقمص جسدها في بعض الأحيان والتي ترتكب أعمالا تتنافي مع قواعد الأخلاق والشرف.

ويرسلهل الدكتور لوثر، يعد أن شرح لها حالتها ، إلى إحدى المصحات النفسية للعلاج. وتتحسن حال المريضة إلى أن تبدأ شخصية "إيف بلاك" في الظهور من جديد، وعندئذ قرر الطبيب إخراجها من المصحة لتقيم في حجرة مفروشة توفيراً للنفقات.

وفي تلك الفترة تسبب "إيف بلاك" اضطراباً وإزعاجاً كبيرين لمسز هوايت، إذ ما يكاد الليل يرخى سدوله حتى تظهر إيف بلاك في ثوب فاضح وتذهب إلى أندية اللهو حيث تدخن وتشرب الخمر وتراقص الرجال. وتناثرت من الإشاعات عن فضائح مسز هوايت في أنحاء المدينة مما أدى إلى طلاقها من زوجها الذي شاهدها بنفسه في إحدى المرات، بينما كانت مسز هوايت في عيادة الطبيب ذات يوم، ظهرت عليها شخصية ثاثلى تسمى نفسها "چين" وهي شخصية الفتاة اللطيفة المهذبة المتفتحة للأمل والحياة التي تكافح من أجل تثبيت شخصيتها والقضاء على الشخصيتين الأخريين. وتتعقد الأمور عندما تقع "چين" في حب

شاب يعرض عليها الزواج ولكنها لا تستطيع أن تجيبيه إلى طلبه بسبب إصابتها بمرض "تعدد الشخصية" وفي إحدى جلسات التنويم المغناطيسى أمكن للطبيب أخيراً أن يصل إلى عقدة المأساة. لقد قصت عليه چين أنها كانت طفلة عندما توفي جدها، وأكرهتها حينذاك والدتها ععلى تقبيل جثة جدها الميت نزولا على حكم تقليد سيء من تقاليد في ذلك العهد. وقد أصيبت چين بسبب ذلك بحالة شديدة من الرعب والفزع كانت بمثابة المعول الذي حطم شخصيتها. وقد جوان ووداورد في شخصية ايف هوايت المريضة في فيلم "حواء المنتقبة" (فوكس للقرن العشرين)

أظهر التحليل النفسي أنه منذ تلك اللحظة وهي تحاول الهرب من ذلمك المشهد المرعب. فلما كبرت وترعرعت، تزوجت رجلا تافهاً لم يستطع أن ينال إعجابها واحترامها فقويت عندها نزعة الهرب من هذه البيئة. وتحققت أمنية الهرب هذه عن طريق "إيف بلاك" الشخصية الخليعة المتمردة التي تحتقر التقاليد والتي لا تؤمن بصلاحية "مستر هوايت" كزوج.

وبمجرد أن تمكن الطبيب من إظهار العقدة النفسية التي كانت تفعل فعلها منذ الطفولة اختفت الزوجة المريضة المنطوية على نفسها، واختفت كذلك الفتاة المستهترة اللعوب، وكتب البقاء "لحين" الفتاة المتفائلة المرحة الطيبة والتي سعدت أخيراً بالزواج من حبيبها بعد أن عادت إليها صحتها النفسية.جوان ودوارد في شخصية ايف بلاك وقد طرحها مستر هوايت أرضاً بعد محاولتهما خنق طفلته في فيلم "حواء المتقلبة" (فوكس للقرن العشرين)

ثالثاً: التجوال في أثناء النوم Somnambulism

هناك طائفة من الناس يقومون من أسرتهم ليلا ويعملون أعمالا غريبة وهم قائمون، فمنهم من يمشى على أفريز سطح من السطوح أو يحمل أحمالا ثقيلة لا يمكنه حملها بأي حال من الأحوال في أثناء اليقظة، ومنهم من– إذا كان فناناً– يقوم بأعمال فنية أو أدبية رائعة يدهش هو نفسه من روعتها عند ما يستيقظ. ومن الطلبة من يمكنه حل تمرين حسابي أو هندسي عجز عن حله قبل أن ينام.

وفي العادة تظهر مهارة هؤلاء الأشخاص في قيامهم بالأعمال التي لا يمكنهم القيام بها في أثناء اليقظة. وهي محاولة من العقل الباطن لتحقيق أماني ورغبات لا يمكن تحقيقها في أثناء اليقظة نظرا للكبت الذي يعانيه من العقل الواعي.

وقد لوحظ أن المصاب بالتجوال في أثناء النوم قد يطرق أماكن غريبة وبعيدة وعالية وأماكن لها خطورتها بحيث أنه لا يجسر على التفكير في الاقتراب منها في أثناء يقظته. وإذا حدث أن أيقظنا المريض في أثناء مشيه ليلا فوق سطح عال فإنه يصاب بذعر وهلع شديدين يعقبهما دوار تكون نتيجته اختلال توازنه فيسقط على الأرض من العلو الشاهق، وقد تكون سقطته مميتة.

ويمكننا تفسير حالات المشى في أثناء النوم بأن المراكز العليا للمخ تظل نائمة بينما ستيقظ المراكز الحركية لفترة من الزمن ثم تعود لحالة النوم مرة ثانية.

والمشى في أثناء النوم يعتبر دليلا على الاضطراب النفسي. وسنطبق هذه الحالة المريضة على الليدى مكبث. في مسرحية "مكبث" لشكسپير كانت الليدى مكبث تعانى من اضطرابات انفعالية شديدة نتيجة لأعمالها وخططها الشريرة التي تسبب في مقتل الملك دنكان وبنكو وزوجة مكدوف وأطفاله. وكانت نفسيتها مسرحاً لصراع انفعالى عنيف تسبب في منع استقرار حالة نومها الطبيعى، إذ أن الاسترخاء الذي يصاحب حالة النوم يعطى المشاعر المكبوتة فرصة أن تظهر وتعبر عن نفسها كما يبدو هذا في مسلك الليدى مكبث وهي تحاول غسل الدم من يديها في أثناء النوم مما يثبت إحساسها بما اقترفت من ذنوب ورغبتها اللاشعورية في التكفير عن هذه الآثام.

وزيادة في الإيضاح سنورد فيما يلى المشهد الخاص[1] بهذه الحالة.

الطبيب: من أي وقت بدأت تتمشى في نومها؟ أتذكرين؟

الوصيفة: منذ شبت هذه الحرب طفقت مولاتى تنهض في كل ليلة من سريرها فتلقى عليها رداءها، فتفتح حجرتها، فتتناول ورقاً تكتب

[1] مسرحية مكبث ترجمة خليل مطران الفصل الخامس المشهد الأول ص ٩٤.

عليه شيئاً ثم تختمه وتعود إلى مرقدها، وكل ذلك في سبات من النوم.

الطبيب: من أدلة الاختلال الشديد في الوظائف الحيوية أن تكون غافلة وهي تسعى سعى المستيقظين. ألم تسمعيها تتكلم؟

الوصيفة: سمعتها تقول أشياء لا أستطيع إعادتها يا سيدى.

الطبيب: لك، بل عليك، أن تذكرى ذلك للطبيب.

الوصيفة: لن أبوح به للطبيب ولا لغيره، إذ ما من شاهد يستطيع تأييد قولى (تدخل ليدى مكبث وبيدها مشعل تضعه على المنضدة)

الوصيفة: (متممة) انظرها. هاهي ذى آنية– شأنها، شأنها، إذ تتمشى حالمة، إنها لمستغرقة في الرقاد.

الطبيب: من أين جاءت بهذا المشعل؟

الوصيفة: كان بجانبها، وليست ترقد بلا نور. كذا هي آمرة.

الطبيب: عيناها مفتوحتان

الوصيفة: أجل، ولكن حاسة النظر مفقودة

الطبيب: ماذا نصنع الآن؟ تأملى كيف تفرك بيديها.

الوصيفة: من عادتها أن تفعل فعل من يغسل يديه، واتفق لى أن شهدتها تستمر على ذلك ربع ساعة بلا انقطاع.

ليدى مكبث: أفلا تفارقنى هذه اللطخة الدامية.

الطبيب: سمعاً، تتكلم. سأكتب ما تقول مخافة أن أنسى.

ليدى مكبث: زولى أيتها اللطخة الملعونة، واحد. اثنان. لقد حان.الظلام دامس في جهنم، عار عليك يا زوجى، وشنار. هل البطل المحارب يداخله الخوف؟ مذاا يهمنا أن يعلم الناس ما يعلمون حين نصبح من القدرة والسلطان، بحيث لا نناقش الحساب.لكن من كان يظن أن يوجد الدم بهذه الغزارة في ذلك الشيخ (تدخل)

الطبيب: أتسمعين؟

ليدى مكبث: كان لصاحب فايف امرأة. أين هي الآن؟ ألا يتسنى لى البتة تنظيف هاتين اليدين؟ كفي أيها السيد كفي. تفسد كل شيء بمخاوفك.

الطبيب: يظهر أنها تدرى أكثر مما ينبغى لها.

الوصيفة: بيقينى أنها تبوح بما لا يباح به مما يعلمه الله.

ليدى مكبث: إيةّ رائحة الدم. هذه يد على صغرها لا تطهرها جميع الأعطار العربية أوه. أوه. أوه.

الطبيب: ياله من تنهد. إن على قلبها لوقرا كبيراً.

الوصيفة: أبى الله أن أرضى بقلب كهذا في صدرى ولو أوتيت كل عظائم الملك.

الطبيب: حسن. حسن. حسن.

الوصيفة: أسأل الله يا سيدى أن يكون كل شيء حسناً.

الطبيب: هذه العلة تفوق طبى. ولقد عرفت أناساً ماتوا بها ميتة صلاح في أسرتهم. أما هذه فكيف تموت؟ لا أدرى. ولكن أجلها غير بعيد بل أقرب إليها من حبل الوريد

ليدى مكبث: اغسل يديك. البس ثياب النوم. أيد على سمعك أن "بنكو" قد دفن فلن يخرج من لحده.

الطبيب: آه. آه.

ليدى مكبث: إلى السرير. الباب يقرع. تعال. تعال. تعال. تعال أعطنى يدك ما مضى فقد انقضى. إلى السرير، إلى السرير.

(تحمل المشعل وتخرج)

الطبيب: أتعود الآن إلى سريرها؟

الوصيفة: تواً.

الطبيب: باحت بمنكرات مخالفة للطبيعة، مؤيدة للإشاعات التي تدور سراً. الضمائر العليى تبث خباياها، في حشايا وسائدها، وإنها لأحوج إلى الكاهن منها إلى الطبيب. ليغفر لنا الله.

تيقظى لها فإن ساعتها دانية. البثى بقربها. مساك الله بخير.

لقد أذهلت عقلي، وأرهبت ناظرى. أفكر ولكننى لا أجرؤ على الكلام.

الوصيفة: طاب ليلك أيها الطبيب (يخرجان).

الباب الثالث
الأمراض العقلية

الفصل الأول
مدخل في الأمراض العقلية

تعريف الأمراض العقلية:

يطلق اصطلاح "الذهان" أو المرض العقلي على أنواع اختلال السلوك التي تظهر في شكل تغييرات خطيرة بالنسبة للإدراك الواقع والسيطرة الذات تصل إلى حد يبرر حجز المريض بمستشفى الأمراض العقلية. وقد سبق أن ذكرنا عند الكلام عن الأمراض النفسية أهم الفروق بين المرض النفسي والمرض العقلي ونلخصها في النقتطين التاليتين:

١– المرض النفسي لا يغير كثيراً من شخصية من شخصية المصاب به، ولذلك فإن المريض يعيش في دنيا الواقع ولكنه يفشل في تكييف نفسه بالنسبة للبيئة المحيطة به، بينما المصاب بمرض عقلي تتغير شخصيته في ناحية أو أكثر تغيراً كبيراً وبالتالى يتغير سلوكه وتصرفاته. وتقديره للأشياء تقدير غير طبيعى فهو يعيش في دنيا خاصة به يخلقها خياله.

٢–المريض بمرض نفسي عنده تبصر بحالته فهو يدرك تماماً أن حالته غير طبيعية ويود الشفاء منها بينما المريض بمرض عقلي يفقد هذا التبصر فهو لا يحس بأنه شخص غير طبيعى بل على العكس يشعر بأن الآخرين هم المجانين أما هو فإنه أعقل العقلاء. وهو ذللك يستنكر ويقاوم بشدة عرض نفسه على الطبيب.

أسباب الأمراض العقلية:

لم يتوصل العلم بعد إلى الكشف عن حقيقة الأسباب التي تؤدى إلى ظهور الأمراض العقلية. على أن هناك مجموعة من العوامل التي تخلق الاستعداد لهذا النوع من الأمراض، وأهمها الوراثة والخلقة والتنشئة. والوراثة لاشك .

الشخص معرضاً للإصابة بالمرض العقلي في مستقبل حياته. وقد أثبتت الإحصائيات أن الجنون والشذوذ يتواجدان في أسلاف مرضى العقل من آباء وأجداد بنسبة أكبر بكثير من وجودهما في أسلاف الأشخاص العاديين.

وللخلقة أيضاً بعض الشأن في التعرض للمرض العقلي، فقد تكون الظروف مهيأة لدى الأم لأن يتكون الجنين تكويناً طبيعيا فيولد تام الخلقة قوى البنية، وقد تكون مهيأة لعكس ذلك فيولد الطفل ناقص التكوين أو ضعيف البنية.

ولكن يجب الاعتراف بأن معلوماتنا عن ماهية عاملي الوراثة والخلقة قليلة، وكل ما يمكن قوله هو أن الوراثة غير الصالحة أو الخلقة غير الطبيعية قد تؤدي إلى نوع من الضعف لا يعرف كنهه وإنما يبقى كامناً إلى أن يظهره في الوقت المناسب عامل آخر مباشر كصدمة نفسية أو مرض جسمى طارىء أو غير ذلك.

أما التنشئة فتعتبر من أهم العوامل بالنسبة للمرض العقلي، وقد لقيت جانباً وافراً من عناية العلماء الباحثين، إذ أنه من المستطاع الوقوف على ظروفها ومشاهدة تطوراتها من الطفولة إلى البلوغ، ونصيب الاستعداد في إحداث المرض النفسي يشبه نصيبه في إحداث المرض العقلي، إلا أن الآراء تميل. في حالة المرض النفسي، إلى إعطاء الأهمية الكبرى لعامل التنشئة وإهمال عاملى الوراثة والخلقة، وبجانب الاستعداد توجد أسباب مباشرة للإصابة بالأمراض العقلية وأهمها ما يأتى:

١- الزهرى: يمتد الزهرى المكتسب في نسبة من الحالات إلى الجهاز العصبي المركزي (المخ والحبل الشوكي) ويبقى كامناً هناك إلى أن يظهر بشكل مرض الشلل العام الجنوني في سن الأربعين أو أكثر. كما أن الزهرى الوراثى قد يؤدى إلى نفس هذا النوع من المرض العقلي في سن المراهقة (أي بين السادسة عشرة والعشرين)

٢- الاضطرابات في إفرازات الغدد الصماء.

٣- الأمراض المعدية: قد تكون إصابة شخص ما بمرض من الأمراض المعدية مثل التيفود أو الالتهاب الرئوى أو الحمى القرمزية سبباً مباشراً لظهور أعراض المرض العقلي عليه، وما الهلوسة التي تشاهد عند ارتفاع درجة الحرارة إلا مظهراً تأثر العقل بالحمى.

٤- الإصابات وخصوصاً إصابات الرأس والعمليات الجراحية.

٥- الانفعالات: وخصوصاً العنيفة منها كموت أحد الأقارب أو الصدمات العاطفية.

٦- الخمور: ويسبب الإدمان عليها أنواعا من الأمراض العقلية سنتناولها بالشرح فيما بعد.

٧- المخدرات: وأهم المخدرات التي قد تؤدي إلى مرض عقلي صريح هو الحشيش. أما الإدمان على المخدرات الأخرى مثل الأفيون والمورفين والهروين والكوكايين فإنهع لا يؤدي عادة إلى المرض العقلي الصريح ولكنه ينتهي بما هو أنكى وأشد ألا وهو الانحلال الخلقي والتدهور الإدراكي مع اعتلال الصحة الجسمية.

والإدمان على المخدرات والخمور ينشأ عادة عن حاجة نفسية ملحة تلجيء المدمن إلى الاستمرار في تعاطيها. وهذه هي الحاجة هي في أغلب الأحيان كناية عن نقص في توازن النفسية يدعو الشخص إلى استعمال المخدر في تهدئة نفسيته تلك التهدئة الكاذبة التي تنتهي حتما باعتياد الشخص على تعاطى المادة المخدرة أي الإدمان عليها. ويتبين من هذا أنه إذا نتج عن ذها الإدمان تدهور في الأخلاق وانحطاط في الإدراك أو نشأت عنه إصابة بالمرض العقلي فإن تعاطى المخدر يعتبر بمثابة العامل اتلمباشر في إحداث ذلك، وأما العامل المهيء والأهم فهو عدم اتزان النفسية.

٨- البلاجرا: وهو مرض ينشأ عن سوء التغذية ونقص الفيتامينات، ويساعد على حدوثه الأمراض الطفيلية كالبلهارسيا والديدان المعوية والملاريا التي تصيب نسبة كبيرة من الفلاحين المصريين.

الفصل الثاني
أقسام الأمراض العقلية

الأمراض العقلية لها أنواع كثيرة معقدة متشعبة، ولما كان من الصعب أن نحصرها كلها، لذلك سنقتصر على ذكر بعض الأنواع الشائعةمنها.

أولا: جنون الهوس الاكتئابى أو الذهان الدورى: Manic Depressive Psychosis Or Circular Insanity يمثل هذا المرض ١٥% من حالات الأمراض العقلية، وهو مرض قابل لبلشفاء بدون حدوث انحلال عقلي كما أنه قابل للعودة أي للنكسات.

وجنون الهوس الاكتئابى يصيب عادة ذوى الشخصية المنبسطة. وصاحب هذه الشخصية يكون اجتماعياً مرحاً انفعاليا قانعاً بالحالة الواقعية كما يتميز بالاندفاع وحدة المزاج والعاطفة. وهو شخص عطوف على الآخرين، ولكنه قد يصاب في بعض الأحيان بنوع من الحزن والاكتئاب.

والأشخاص الذين يوجد عندهم استعداد لهذا المرض يتميزون بشدة الحساسية إزاء شعورهم بالحرمان من تقدير ومحبة الآخرين وإزاء كل ما يثير فيهم عقدة الإثم سواء أكان ذلك على هيئة صدمات واضحة أو على شكل أحداث تافهة. ومثاتل ذلك أن إحدى المريضات بدأت عندها نوبة الاكتئاي في يوم عيد ميلاد المسيح لأنها لم تكن ضمن المدعوين إلى وليمة الأسرة. وقد كشف كثير من العلماء (فرويد– أبراهام– لاجاش) عن الدور

الذي يقوم به الحداد– ولاسيما إذا كان قاسياً– في إحداث استجابات هوسية أو سوداوية.

ولهذا المرض ثلاثة أشكال. فقد تكون الصورة الغالبة هي الهوس أو اللوثة العقلية، وقد تكون الصورة الغالبة هي الاكتئاب أو السوداء، وهناك نوع مختلط يأتى في صورة نوبات دورية متعاقبة تكون إحداها نوبة هوس تعقبها نوبة سوداء أو اكتئاب، وقد تعقب هذه النوبات الحادة فترات هادئة يكون الشخص في أثنائها في حالة طبيعية.

١ـ الهوس: Mania

ويصاب به الإنسان بعد سن البلوغ (١٤ سنة فما فوق). وفي هذه الحالة يحس المريض بأنه في أحسن حالات الصحة والنشاط وأنه قادر على القيام بالمستحيل من الأعمال.

منظر الوجه: **يكون الوجه محتقناً، وتظهر العينان براقتين، ويبدو على الشخص أنه مملوء بالحياة وفي حالة من المرح المرضي (أي المرح الزائد عن الحد الطبيعي)**

الحركة: **يبدو المريض في حركة دائمة وشغل مستمر، وتبدو قوته العضلية أكبر مما هي في الواقع، ويكون المريض دائماً في حالة من الانفعال والحركة والكلام والحيوية والنشاط بدرجة لا يمكن أن يتحملها الشخص السليم. وقد يستمر المريض في حركة مستمرة وانفعال دائم لعدة أيام.**

وحركات الشخص المهووس لها طابعها الخاص فهي تصدر كلها من حركة المفاصل الكبرى كمفصل الذراع والكوع والحق والركبة أو مكن حركة مفاصل العمود الفقرى أكثر مما تصدر من حركة مفاصل الرسغ أو أصابع اليد أو مفاصل القدم. ونتيجة لذلك، يحرك المريض ذراعيه وجزعه وأردافه أكثر مما يحرك يديه أو قدميه. وتكون الذراع مبتعدة عن الجذع وتتحرك حركات انبساطية. وهذا على عكس حالات الاكتئاب حيث تكون الذراع ملاصقة للجذع.

الإحساس: **يضعف الإحساس بالألم، فالمهوس لا يحس بالإصابات أو الكدمات أو الجروح لأنه يكون دائماً في حالة مرح جنونى يلهيه عن إحساسه بالألم.**

الحواس: **يزداد نشاط الحواس نشاطاً كبيراً، ونتيجة لذلك فإن المهووس يسمع الأصوات الخافتة ويشم الروائح التي لا يشمها الشخص العادى، وتكون عنده حاسة الإبصار وقوة الملاحظة في غاية الحدة لدرجة أنه يلاحظ كل شيء حتى الأشياء الدقيقة.**

حالة النوم: **ينام المريض أول الليل، ثم يصحو ويظل مستيقظا طول الليل؛ فهو إذن في حالة أرق يصعب علاجها.**

تصرفات المريض: **يتميز المهووس بأنه يتصدر لأعمال ليست له المقدرة على إنجازها وهو يتدخل في كل شيء ويتكلم كثيراً عن نفسه وعن خصوصياته، ويبدو في حالة سرور وتفاؤل غير طبيعيين، ويقوم بالكثير من**

الحركات البهلوانية. وحكمه على الأشياء خاطيء. وهو لا يدرك مطلقاً خطورة حالته أو بعدها عن الشيء الطبيعى المألوف. وقد يقوم أحياناً ببعض التصرفات التي تتسم بطابع السلوك السيىء كان يسرق ما تقع عليه يداه دون أن يحس بالخجل لذلك.

المظهر الخارجي: **لا يهتم المهووس بمظهره الخارجي فملابسه غالباً ما تكون في حالة من الفوضى وعدم الترتيب وكثيراً ما يلبس الجاكتة مقلفوبة أو يظهر في أزياء مضحكة.**

الأكل: **أما شهيته فتكون زائدة عن الحد المعقول، كما أنه لا يراعى آداب المائدة أو قواعد الذوق.**

ولا أنسى ذلك المهووس الذي أكل مرة في إحدى الوجبات أوزة كاملة بريشها، وكانت حالته ضمن الحالات التي شاهدتها عندما كنت أدرس الأمراض العقلية في مستشفي الأمراض العقلية بالعباسية.

الكتابة: **يكتب المهووس دائماً حروفاً كبيرة ضخمة.**

الكلام: **وقد تزداد الأعراض في حدتها فيصبح كلام المريض غير مرتب، وينتقل المريض بسهولة من موضوع لآخر دون أن يتم الحديث عن أي موضوع يتكلم فيه.**

سلوك المريض: **وقد يحدث المريض بالهوس الكثير من الجلبة والضوضاء، كما قد يمزق ملابسه، وقد يزاول أعمالا عدوانية فيقذف**

الناس بما يتصل إليه يداه، وكثيراً ما يحس بأن قوته لا حد لها فيعتقد مثلا أنه يمكنه أن يكسر الحائط أإو يطير كالطائر.

وقد يقتل غيره أو يقتل نفسه في إحدى النوبات. وفي بعض الحالات الشديدة قد يموت من اإعياء إذا لم يسعف بالعلاج، وتستمر هذه الحالة بعض الوقت ثم ينتقل المريض إلى الطور اآخر من أطوار هذا المرض وهو الملاخوليا أو الاكتئاب.

٢ـ الملاخوليا أو الاكتئاب أو السوداء: "Melancholia"

منظر الوجه: يبدو الوجه شاحباً كثير الغضون والتجاعيد حتى ليبدو المريض أكبر سناً من عمره الحقيقي. تفقد العين بريقها ويبدو مظهر القلق والانقباض واضحاً على الوجه حتى أن نظرات المريض تكون دائماً موجهة ناحية الأرض، وكل هذه الأشياء تعطى المريض شكل البائس المسكين الذي لا حول له ولا قوة.

شكل الجسم: يفقد المريض الكثير من وزن جسمه ويبدو في حالة شديدة من الهزال، ويفقد شهيته للطعام. وأغلب هذه الحالات تصاب بالسل الرئوي. وغالباً ما ينزوى المريض في ركن من أركان الغرفة منكمشاً على نفسه حتى ليخيل للرائى أنم المريض إنما يتعمد أن يشغل أقل حيز ممكن من المكان الذي يجلس فيه. وهو في أغلب الأحوال شخص صامت ساكن لا يهش ولا ينش ولا يحس الإنسان بوجوده.

الحركة: **لا يصدر عن المريض بالاكتئاب إلا أقل حركة ممكنة. ويبدو ظهره دائم الانحناء، وتتوجه نظراته دائماً إلى أسفل، وتكون ذراعاه ملاصقتين لجذعه، ويداه متقاربتين، ولا يحرك سوى المفاصل الصغرى من جسمه كأصابع اليد أو أصابع القدم. وهو لا يمل الجلوس في مكان واحد جلسة خالية من الحركة عدة أيام.**

النوم: **لا يتمتع المريض بنوم هاديء بل يكون نومه متقطعاً تتخلله الأحلام المزعجة والكابوس. ونتيجة لذلك يغلب عليه الأرق والشكوى الدائمة من صداع مستمر وآلام غير محددة في أطرافه.**

الحالة العقلية: **وكما سبق أن ذكرنا يتسم المريض بطابع الاكتئاب العام، ويظهر دائماً في أشد حالات البؤس والشقاء والتشاؤم، وهو يعلم أنه مريض ولكن ليس عنده أمل في الشفاء، ويمكننا أن نقول إن المريض يكون في حالة ألم عقلي أو انقباض تزداد شدته في الساعات الأولى من الصباح،وهو لذلك يستقبل يومه الجديد ولسان حاله يقول في ألم وحزن: "أوه– أهذا الصباح يوم آخر يقبل على فيزيد من آلامى؟ !".**

أما قوة الذاكرة فلا تتأثر كثيراً.

وقد يتولد عند بعض المرضى اعتقاد خاطىء بأنهم ارتكبوا خطايا وآثام كثيرة وأنهم هالكون أو محطمون أو مجرمون أو مضطهدون أو أنهم على وشك الموت، وقد تسمع من أحدهم أن عنده إمساكاً منذ شهرين أو أنه مصاب بمرض خطير خبيث.

ويصاب المريض عادة بضعف شامل في إرادته، فهو بطيء في تفكيره كما هو بطيء في مشيته وحركته وكلامه. وقد يزداد ضعف الإرادة عنده إلى حد يخيل فيه إلينا أن ذهن المريض قد مات. ويكره المريض أن يتدخل الغير في شئونه، وهو شديد الانطواء على نفسه يريد الابتعاد عن الناس بكل الوسائل.

ووجه الخطورة في هذا المرض أن المصاب به يكون معرضاً للإقدام على الانتحار في أي وقت، ووسيلته إلى ذلك قد تكون بالغرق أو بإطلاق النار على نفسه أو شنق نفسه أو الاختناق بالغاز أو بوضع منديل في الفم أو بالقفز فجأة من علو شاهق إلى الشارع.

حالات الاكتئاب في سن اليأس:

تكون دائماً شديدة وتتميز بكثرة الهلوسة والاعتقاد الخاطىء بوجود أمراض جسمية وهمية، وهؤلاء المرضى يكونون دائماً في حالة خوف وذعر وقلق، وسنحاول تطبيق هذا النوع من الجنون على شخصية الإمبراطور كاليجولا في المسرحية التي تحمل اسمه، والتي ألفيها الكاتب الفرنسى البير كامى (Albert Camus) الحائز على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٥٧.

وقبل أن نتكلم عن المسرحية، سنستلهم الناحية التاريخية لتكشف لنا عن جوانب شخصية هذا الإمبراطور المجنون.

شخصية كاليجولا من الوجهة التاريخية

ولد "كايوس قيصر چرمانيكوس" في العام الثانى عشر للميلاد، وقد نشأ بين الجند ولبس لباسهم فلقبوه تدليلا له بقلب "كاليجولا" وهو لقب مأخوذ من اسم الحذاء (Caliga) الذي كالن يحتذيه جنود الجيش.

وكان كاليجولا يتميز بشخصية انبساطية، كما كانت تنتابه نوبات من الصرع. وكان يختفي تحت سريره إذا سمع صوت الرعد، ويفر مذعوراً إذا شاهد اللهب فوق بركان "اتنا". وكان مصاباً بالأرق الذي يجعله يطوف ليلا في جنبات قصره الواسع يصيح طالباً طلوع الفجر. والغالب أن ذها الأرق إنما هو عرض من أعراض جنون الهوس الاكتئابي الذي أصيب به كإحدى مضاعفات مرض الصرع.

وإذا ألقينا نظرة على تاريخه العائلي وجدناه حافلا بالأمراض النفسية والعصبية والعقلية، وإلى القارىء البيان التالى:

١- كانت "چوليا" جدة كاليجولا لأمه، امرأة خليعة مستهترة غير متزنة نفسياً، فنفاها أبوها "أغسطس قيصر"، وماتت وهي في المنفي.

٢- كانت "چوليا" خالة كاليجولا خليعة مستهترة كأمها "چوليا" فنفاها أيضاً جدها "أغسطس قيصر".

٣- كان "كلوديوس"، عم كاليجوالا، والذي خلف كاليجولا على عرش الإمبراطورية الرومانية، ضعيف البنية ضعيف العقل. وكانت أمه تسميه "الهولة التي لم يكتمل خلقها"، وكانت إذا أرادت أن تعير إنساناً بشدة البلاهة وصفته بأنه "أشد بلاهة من ابنى كلوديوس"

٤- كانت "أجريبينا الصغرى" أخت كاليجولا امرأة شريرة فاسدة تستخدم وسائل الإغراء والسم لنيل مطالبها وبلوغ أهدافها. وهي والدة الإمبراطور نيرون الذي سبق أن ذكرنا إصابته بهوس القتل وإشعال النيران.

٥- كانت "أجريبينا الكبرى" أم كاليجولا امرأة شريرة تدبر المؤمرات وتصل إلى أهدافها بأقذر السبل. وقد نفاها الإمبراطور "تيبريوس" لاتهامها بالاشتراك في مؤامرة ضده، ثم انتحرت في منفاها.

٦- انتحر أحد إخوة كاليجولا في أثناء وجوده في المنفي مع والدته. كما امتنع أخوه الآخر عن الطعام، وكان قد حكم عليه بالسجن، وظل ممتنعاً عنه حتى مات. ومن المعروف أن حالات الانتحار ترجع إلى عدم اتزان نفسية المنتحر.

وليس من المستغرب بعد إيضاح هذه العوامل الوراثية أن يكون كاليجولا مصاباً بنوبات من الصرع ومن الجنون.

وكان كاليجولا طويل القامة، ضخم الجسم، كثيف الشعر غذا استثنينا رأسه الأصلع.

وكان له صدغان منخفضان، وعينان غائرتان. وكانت الناس تنفر منه، ولكنه كان يسر من ذها النفور. وكان يمثل بوجهه أمام المرآة كل المناظر المخيفة. وقد ارتقى كاليجولا العرش عام ٣٧ ميلادية، وكان حينئذ في الخامسة والعشرين من عمره.

وعلى الرغم من جنونه وتجرده من الإحساس الخلقي، إلا أنه كان حاد الذكاء، فكهاً لا يراعى في فكاهته احتشاماً ولا قانوناً.

وكان يحب أخته "دروسيلا" حباً شديداً، فلما تزوجت أرغمها على أن تطلق زوجها وأخذ يعاملها كأنها زوجته الشرعية. وقد تزوج كاليجولا أرقبع مرات وكانت آخر زوجاته هي "سيزونيا" التي كانت حاملا من زوجها الأول عندما تزوج منها كاليجولا.

وتاريخ كاليجولا حافل بأعماله ومغامراته الجنونية التي يضيق المجال عن سردها. وقد كان آخر ما وصل إليه عبثه أن أعلن أنه إله معبود لا يقل شأناً عن چوبيتر نفسه، وأمر بتحطيم رؤوس التماثيل الشهيرة المقامة لچوبيتر وغيره من الأرباب، ووضع في مكانها تماثيل لرأسه هو.

وما كاد كاليجولا يبلغ التناسعة والعشرين من عمره حتى أضحى شيخاً محطماً منهوك القوى نتيجة لإفراطه في شهواته وملذاته ولإصابته ببعض الأمراض التناسلية، وكان يبدو في هذه السن ذا رأس رأس صغيرة، تستقر فوق جسم مسترخ بدينم. وكان وجهه يبدو كالحا وعيناه غائرتين ترسلان نظرات خبيثة تنم عن الخيانة والغدر.

وقد وافته المنية على حين غفلة، إذ اغتاله أحد ضباط الحرس مستعينا ببعض رفاقه، وكان ذلك في السنة الخامسة من حكمه المجنون أي في عام ٤١ بعد الميلاد.

مسرحية "كاليجولا"

تأليف ألبير كامى

ترجمة الأستاذ ميخائيل بشأي

ترفع الستار عن أشراف روما وقد اجتمعوا في بهو قصر الإمبراطور "كاليجولا" يسودهم القلق الشديد لاختفاء الإمبراطور وفشل المحاولات التي بذلت في سبيل العثور عليه. ويغلب على الأمراء الظن بأن الإمبراطور الفنى قد هام على وجهه حزنا على أخته "دروسيللا" التي ماتت، فيقول أحدهم: "لقد كان يحب دروسيللا وإذا كان قد شاركها مخدعاً واحداً، فهذا أمر حدث من قبل، أما أن يقلب روما رأساً عفلى عقب لأنها ماتت فهذا أمر لا يليق".

ولا يلبث كاليجولا أن يفد مستخفيا، قذراً، مبتل الشعر، ملطخ الساقين **بالوحل. ويدخل هيليكون– وهو أحد الأشرؤاف– ويستدرج الإمبراطور إلى الحديث، فيقول الإمبراطور** إنه سار طويلا وراء مطلب عسير، **فإذا سأله هيليكون: "وما هو"، أجابه كاليجولا: "القمر! .. إنه أحد الأشياء التي لا أملكها. أنا لست مجنوناً... كل ما هنالك أنني** شعرت فجأة بحاجة إلى المستحيل! .. **إن هذا العالم بحاله الراهنة لا يحتمل. ذللك فأنا في حاجة إلى القمر، إلى السعادة، إلى الخلود، إلى شيء قد يكون جنونا، ولكنه ليس من هذا العالم في شيء.. أعرف ما يدور بخلدك.. هناك روايات تتعلق بموت امرأة، ولكن الأمر ليس كذلك. هناك في الواقع أيام أذكر فيها أن امرأة أحببتها يوماً قد= ماتت، ولكن، ما هو الحب؟ شيء**

ضئيل.. وكذلك الموت ليس شيئاً! إنه لا يعدو أن يكون إشارة إلى وجود حقيقة معينة تجعل القمر ضروريا لى ... حقيقة جد بسيطة، وجد واضحة ... سخيفة بعض الشيء، لكن اكتشافها عسير. أما تلك الحقيقة فهي أن البشر يموتون وأنهم ليسوا سعداء" فإذا حاول هيليكون بعد ذلك أن يقنعه بأن ينال نصيباً من الراحة، قال الإمبرطور: "إذا أنا نمت، فمن الذي يعطينى القمر؟"، ويعطينا المؤلف في هذا المشهد صورة لذلك الإمبراطور الذي يهجر قصره ويسير على خير هدى جرياً وراء طلب المستحيل! ثم يخضر مبتل الشعر ملطخ الساقين بالوحل، فإذا سئل عن سبب غيابه أجاب بأنه يطلب القمر لأن البشر يموتون! !

ونفهم أيضاً أن الإمبراطور لا يأخذ نصيبه من الراحة أو النوم وهو يعلل عدم نومه بأنه يريد البحث عن القمر!!! . أما السبب الحقيقي لذلك فيرجع بالطبع إلى إصابته بالأرق.

وتدخل سيزونيا زوجة كاليجولا، ويتبعها رئيس الديوان الذي يستشير الإمبراطور في أمور الخزانة العامة، فيلتفت كاليجولا إلى سيزونيا قائلا: "أليست الخزانة شيئاً بالغ الخطر يا عزيزتى؟ ولكل شيء خطره.. مال الدولة، والأخلاق العاغمة، والسياسة الخارجية، وإمداد الجيش، وقانون الأراضى! كلها أمور أساسية . انني مطالب بأن أهتم بكل شيء، سواء في ذلك عظمة روما، والتهاب مفاصلك!".

ثم يلتفت إلى رئيس الديوان ويقول له : "سنحدث انقلاباً في الاقتصاد السياسي على مرحلتين. إن على الأشراف جميعاً أن يحرموا أولادهم من ثرواتهم ويوصوا بها الدولة في الحال.. وكلما دعت الحاجة، سيق هؤلاء الأشراف إلى الموت".

وما أن تخلو سيزونيا لزوجها حتى تراه يبكى فتقول: "إن موت دروسيللا قد بدل حاله" فيهتف بها: "أيتها الحمقاء! ألا يمكن أن تتصوري رجلا يبكي لسبب آخر غير الحب؟ إنما يبكى الرجال لأن الأمور ليست كما ينبغى أن تكون!"، ونعلم من حديت سيزونيا أن هذا التغير الذي طرأ على كاليجولا إنما بدأ بعد موت دروسيللا، ولعل القارىء يذكر ما سبق أن قلناه عن الدور الذي يقوم به الحداد– ولاسما إذا كان قاسياً– في احداث استجابات هوسية أو سوداوية.

ويسترسل كاليجولا في حديثه إلى سيزونيا قائلا: : "إنني أحس بكائنات لا أعرف لها أسماء نضطرب في داخلى، فماذا أملك حيالها؟.. كنت أعرف أن الإنسان عرضة لليأس، ولكننى كنت أجهل ما تعنى هذه الكلمة.. كنت أعتقد أن هذا مرض يصيب النفس ولكن لا، إن الجسد هو الذي يتألم.. جلدى يؤلمنى، وصدرى وأطرافي.. رأسى أجوف، وإنى لأشعر بالغثيان.. وأشد ما يضايقنى هو هذا المذاق في فمى.. إنه ليس مذاق الدم ولا الموت ولا الحمى.. وإنما هو كل هذه مجتمعة! أجوف، وإنى لأشعر بالغثيان.. وأشد ما يأجوف، وإنى لأشعرأجوف، نن"

ويبدو لنا كاليجولا في حديثه هذا شخصاً يائساً حزيناً مكتئباً يشكو من إحساسات غريبة في جسده، وكل هذه الأعراض تنطبق على نوبات الاكتئاب.، وبعد قليل، تنتابه إحدى نوبات الهوس فيقول لسيزونيا: "أنت أيضاً نعتقدين انني مجنون! إن ما أريده اليوم، بكل قوأي، لشيء يسمو على الآلهة. انني أتولى شئون مملكة صار فيها المستحيل ملكاً!. أريد أن أمزج السماء بالبحر، والجمال بالقبح. وأن أطلق الضحك من أعماق الألم!... وعندما يتحقق المستحيل على الأرض ويستقر القمر بين يدى، فاعلنى أتبدل والعالم معى، وإذ ذاك يخلد البشر– أخيراً– ويسعدون!".

وهكذا نرى كاليجولا كأي مهووس، بتصدر لأعمال ليست له المقدجرة على إنجازها ويحكم على الأشياء حكماً خاطئاً دون أن يدرك مطلقاً شذوذ تصرفاته وبعدها عن الشيء الطبيعى المألوف.

ويتطور الحديث بينه وبين زوجته فيستطرد قائلا: "الآن أوشك أن أحيا يا سيزونيا.. أحيا.. وهذا نقيض الحب.. أنا الذي أقول لك هذا، وأنا الذي أدعوك إلى احتفال.. إلى محاكمة عامة.. إلى أجمل المشاهد!"، ويروح• يدق الطبل طالباً المذنبين ومن قضى عليهم بالموت، والجمهور... "أريد جمهور شعبى، قضاة، وشهود، ومتهمين.. كلهم قد حكم عليهم مقدماً! أواه يا سيزونيا. سأريهم مالم يروا قط.. سأريهم الإنسان الحر الوحيدة في الدولة! .. ستكونين قاسية، باردة، شديدة الغضب.. وستتألمين أيضاً!" فترد عليه زوجه قائلة: "أجل يا كاليجولا... ولكننى سأصبح مجنونة".

ويفد الأشرؤاف ورجال القصر مذهولين، فيدعوهم للاقتراب، وتشتد نوبة الهوس حدة، فيأخذ بيد سيزونيا ويقودها إلى المرآة، وبضربة مجنونة بالمقرعة يمحو صورتها من المرأة، ويوقول وهو يضحك ضحكة جنونية فظيعة:

"ها أنت ذى ترين أنه لم يعد هناك شيء.. لم تعد هناك ذكريات.. هل تعرفين ما الذي بقى؟" وتذعر زوجه من مظهره الجنونى فتهتف "كاليجولا"! ، ولكنه يضع أصبعه على المرآة، وتجمد حدقتاه فجأة ويهتف انتصار: "نعم كاليجولا، كاليجولا، كاليجولا"

وقد أعطانا المؤلف في هذا الفصل صورة علمية صحيحة عن جنون الهوس الاكتئابى، اخذت تتطور حتى أسدل ستار الفصل الأول وكاليجولا في ذروة إحدى نوبات الهوس التي تجعله يحس بقدرته على المستحيل وتدفعه إلى القيام بأعمال التخريب.

***

وتنقضى ثلاث سنوات على حوادث الفصل الأول ويجتمع الأشراف لدى "شيريا" الأديب، ليتبادلوا الشكوى من أفعال الإمبراطور المجنون الذي أخذ يقتل الرجال ومن ضمنهم والد سيبيون (أحد الأشراف)، ويغتصب أملاك الأشراف ونساءهم. وتشتد حمية القوم وثورتهم ويهمون بالانطلاق لاقتحام القصر والفتك بالإمبراطور "النذل السفيه.. وأكثر الطغاة جنونا".

ولكن شيريا يهدىء من غضبهم وثورتهم قائلا لهم: "انني لا أقبل أن يعمل كاليجولا على تحقيق أحلامه.. فهو يحول فلسفته إلى جثث. ينبغى أن نعمل. ولكنكم لن تحطموا هذا الظالم عندما تواجهونه وهو في عنفوان بأسه.. بل لابد من التدرع بالحيلة أمام إرادة الشر المطلقة. ليس الذي يدفعنى إلى العمل هو الطموح ولكنه الخوف.. الخوف من ذلك الخيال الجامح المستبد الذي لا يقيم لحياتى وزناً! أجل، لنترك لكاليجولا الحبل على الغارب، بل لندفعه في هذا الطريق، حتى نجعل من جنونه حقيقة ملموسة، ولن يلبث إن يحين يوم يصبح فيه وحيداً تجاه دولة مليئة بالموتى وأبناء الموتى!"

ويكف القوم عن الكلام، إذ يدخل كاليجولا وسيزونيا يتبعهما هيليكون. ويتوجه كاليجولا بالحديث إلى الأشراف المجتمعين في منزل شيريا فيقول: "إن عملا بنتظرنى أيها السادة، لكنى قررت أن آخذ قسطاً من الراحة أولا عندك يا شيريا، وأمرت بإعداد الطعام.. وقد سمحت لنفسى بدعوة امرأتك يا "موسيوس".. أما "روفيوس" فمن حظه أنني أحسست بجوع ملح..، ٭مه الفارس الذي ينبغى موته.. ألا تسألونى لماذا ينبغى موته؟ .. (وتعد المائدة في تلك الأثناء فيقبل على الطعام).. ستدركون في النهاية أنه ليس من الضرورى أن يقترف المرء شيئاً لكي يستحق الموت! ".

ويضطر الآخروةن إلى أن يتناولوا الطعام معه، وهو غير مكترث لآداب المائدة ولا لقواعد الذوق، ولا يلبث أن يلتفت إلى "ليبدوس" قائلا: "إنك تبدو منحرف المزاج، فهل يكون هذا لانني قتلت ولدك؟"

ويبادر الشريف إلى إنكار هذا، فيقول الإمبراطور: "آه! لكم أود أن يكذب الوجه شجون القلب.. فليس هناك من هو أعز إلى نفسى منك... لنضحك معاً.. اسمع الآن .. كان هناك إمبراطور مسكين لا يحظى يحب أحد، في حين أنه كان يحب لبيدوس، فقتل ولده ليتلاشى هذا الحب! شيء مضحك.. ألا يضحك أحد؟ .. (في غضب محتدم) أريد أن يضحك الجميع، وأنت يالبيدوس" وينهض الجميع وهم يتحركون كالدمى، وينهض الجميع وهم يتحركون كالدمى، بينما يتمرغ كاليجولا في مقعده متن شدة الضحك،ثم يقول لموسيوس: "حدثنا عن امرأتك".. وتبدو الحيرة على أسارير الرجل، بينما يربت الإمبراطور على كتف امرأة موسيوس ثم يقول: "لقد كنتم تتآمرون على، عندما أقبلت.. آه؟ لا أهمية لهذا، فأنتم عاجزون عن القيام بعمل يحتاج إلى شجاعة .. إنما خطر لى أن هناك من شئون الدولة ما يحتاج إلى أن ننظر فيه.. ولكن لنعرف أوبلا كيف نستجيب للرغبات الملحة التي تخلقها فينا الطبيعة"، ثم يجذب زوجة موسيوس إلى مكان مجاور!

ويلاحظ القارىء أن المؤلف قد حاول أن يكمل لنا صورة هذا النوع من الجنون الذي يعانيه كاليجولا فرسم هذا المشهد الذي يدور حول المائدة الطعام لنرى كيف تكون شهية المهووس زائدة عن الحد المألوف إلى الطعام الذي يلتهمه التهاماً دون مراعاة لقواعد الذوق والآداب، ثم يبين لنا المؤلف كيف يكون المهووس غير مرتب، وكيف ينتقل المريض بالهوس في سهولة ويسر من موضوع لآخر دون أن يتم الحديث عن أي موضوع يتكلم فيه. فها هوذا كاليجولا يبدأ حديثه عن إعداد الطعام ثم ينتقل إلى

دعوة امرأة موسيوس ثم إلى اعتزامه قتل روفيوس، ثم يوجه الحديث بعد ذلك إلى حادثة قتل ابن لبيدوس ثم يأمر الجميع بأن يضحكوا دون أن يسمح الموقف بذلك، ثم ينتقل بالحديث إلى زوجة موسيوس ثم يتحدث بعد ذلك عن المؤامرة التي يدبرها الأشراف ضده ثم ينتقل إلى ذكر شئون الدولة ويستقر به المطاف أخيراً بإعلانه الاستجابة للرغبات الملحة التي قد خلقتها فينا الطبيعة!!

وبعد حديث بين سيزونيا والأشراف، يعود كاليجولا فيقول لموسيوس: "ها أنذا أعيد إليك زوجتك!" ثم يخرج ولكنه سرعان ما يعود فيعلن أنه أمر بإغلاق مخازن الغلال، لتسود المجاعة في اليوم التالى. ويهم رئيس الديوان بالاعتراض، ولكن الأمبراطور يصيح: "أقول إنه ستكون ثمة مجاعة غدا... العالم كله يعرف المجاعة.. إنها محنة .. وسأضع للمحنة حدا عندما يروق لى... لنأكل يا سادة!" ثم يعود إلى الأكل مرة أخرى.

ويتطور الحديث بين كاليجولا والأشراف، وفجأة ينظر كاليجولا إلى أحد الأشراف ويقول له: "ماذا تشرب ياميريا؟" فيجيبه ميريا: "إنه دواء للربو يا مولأي..، ولكن كاليجولا يرد عليه قائلا: "بل هو ترياق للسم!.. إنك تخشى أن أدرس لك السم.. إذا كنت تتعاطى ترياقاً، فأنت ترى أن عندى نية تسميمك!"

وعبثاً يحاول الرجل أن ينفي عن نفسه هذا الاتهام، وإذا بالإمبراطور يدفع إليه بقنينة السم ويأمره بأن يشرب ما فيها. وعندما يأبى الرجل

ويعارض يطرحه الأمبراطور على مقعد منخفض، ويدس قنينة السم بين فكى ميريبا الذي يموت بعد ذلك ووجهه ينضح ماء ودماً!

ويخرج كاليجولا ويدور بين سيبيون وسيزونيا نفهم منه أن سيبيون مصمم على الانتقام من الإمبراطور الذي قتل والده.

ويلتقى بعد ذلك الإمبراطور وسيبيون ويدور بينهما حديث عن الشعر والحب، فإذا قال سيبيوهن إن كل شيء يتخذ في نفسه صورة الحب، أجابه كاليجولا: "هذه فضيلة القلوب الكبيرة.. إنك نقى في الخير، وأنا تقى في الشر!.. إن شعرك ولابد حميل، ولكن ، ينقصه الدم". ويتراجع سيبيون مذعهوراً في كاليجولا ويقول: "أي قلب نتن، دام!.. أي شر وأي حقد يعذبانك! واية عولة مدنسة عزلتك!.. لشد ما أرثى لك... ولشد ما أبغضك!"

وما يكاد كاليجولا تطرق سمعه كلمة العزلة، حتى تنتابه حالة من الاكتئاب فيجيب على كلام سيبيون قائلا:

"العزلة؟ أو تظن أنك تعرفها أنت تلك العزلة؟ لعلك تعرف عزلة الشعراء والعاجزين. إنك لا تعلم أن الإنسان لا يمكنه أن يكون وحيداً على الإطلاق.

إن أثقال المستقبل والماضى معاً ترافقنا رغم أنوفنا! الذين قتلناهم يعيشون معنا، وهؤلاء أمرهم يسير. أما أولئك الذين أحببناهم، والذين لم

نحبهم ولكنهم أحبونا، والشجى والرغبة، والمرارة والحلاوة، والغوانى والآلهة.. آه لو أستطيع أن أتذوق العزلة الحقيقة. سكون تام وحفيف شجرة خاملة، بدلا من العزلة المريرة التي تضمنى وحدى. إنها عزلة تغص بصرير الأسنان وأصداء الضجيج والصيحات المكروبة."

ويبدو عليه الإنهاك، فيتقدم سيبيون من خلفه ويضع يده على كتفه ويقول: "ولكن مع ذلك فحياة كل إنسان لا تخلو من شيء عذب رقيق. قد يكون هذا الشيء ترقرق الدمع في العين أو الالتجاء إلى خلوة هادئة أو أي شيء آخر يكون بمثابة الواحة الوارفة الظلال. يستظل بها كلما قسا عليه الهجير. ألا يوجد في حياتك إذن شيء يشبه هذا؟" فيرد عليه كاليجولا: "إنه موجود... (في بطء) ..إنه ..الازدراء!"

وقد صور المؤلف في هذا المشهد التغير الذي يطرأ على حالة الإمبراطور عندما تجتاحه نهوبة الاكتئاب. فنرى كاليجولا حينمئذ في حالة من الألم العقلي والانقباض والقلق والبؤس والازدراء. ويظهر عليه حبه للعزلة والابتعاد عن الناس، كما يبدو عليه الإنهاك والبطء في الكلام.

وترتفع الستار في الفصل الثالث عما يشبه العرض المسرحي... دفوف تدق وهيليكون ينادي في الناس أن الآلهة قد عادت إلى النزول على الأرض إذ أعارها "جايوس القيصر والإله الملقب بكاليجولا "صورته البشرية".

ويسجد الأشراف جميعاً، ما عدا سيبيون، ويرددون وراء سيزونيا صلاة "كاليجولا– ڤينوس"، وعندما يفرغون من الصلاة، يهتف كاليجولا: "أحسنتم يا أبنائى... ستجاب دعواتكم... أذيعوا في المدينة أنباء المعجزة الرائعة... لقد رأيتم ڤينوس بأعينكم... ولقد تحدثت إليكم ڤينوس ".

ويدور حديث بين سيبيون وكاليجولا تظهر على الأخير فيه شطحات الهوس إذ يقول: "إن القدر عسير على الفهم، وهذا هو السبب في انني جعلت من نفسى قدرا!". وإذ يجيبه سيبيون بأن هذا هو التجديف بعينه، يقول كاليجولا: "كلا... هذا هو الفن الدرامى!. إن خطأ أولئك الناس جميعاً، هو عدم الإيمان الكافي بالمسرح، ولولا ذلك لعرفوا أن من المباح لكل إنسان أن يمثل الفواجع السماوية، وإن يصبح إلهاً!!"

ثم يطلب كاليجولا استدعاء "شيريا" وما أن يخلو إلى نفسه، حتى يخاطب صورته في المرآة قائلا: "لقد قررت أن تكون منطقيا أيها الأبله، فحسبك أن ترى إلى أين يقودك هذا؟ ... لو أنهم جاءوك بالقمر، لتغير كل شيء... لأصبح المتحيل ممكناً..."

ويأتى شيريا، فلا يحسن الإمبراطور استقباله، ويدور بينهما حديث حول المؤامرة التي يدبرها شيريا مع الأشراف لقتله، ويعرض عليه كاليجولا وثيقة المؤامرة التي وقعت بين يديه فيقول شيريا. "انني كنت أعلم أنها في حوزتك... ما إخالك تحتاج إلى براهين لكي تسوق إنساناً إلى الموت!" فيجيبه كاليجولا: "هذا حق، ولكننى أريد– لمرة واحدة– أن أناقض

نفسي... إذ يحسن بالمرء أن يناقض نفسه بين آن وآخر، في هذا راحة من العناءّ ها هو ذا البرهان في يدي، وأريد أن أعتقد أنه ليس بوسعى أن أدفعك إلى الموت بغيره، ففي هذا راحتى"!

ويحرق كاليجولا الوثيقة وهو يقول. "ألا فلتمجد قدرتي... إن الآلهة أنفسهم يتقبلون التوبة دون عقاب يسبقها! أما إمبراطورك فلم يحتج إلا إلى لهب ليبرئك، ويشجيك! استمر يا شيريا.. واتبع منطقك الرائع إلى النهاية... إن إمبراطورك ينتظر راحته.. وهذه طريقته التي يعيش بها ويسعد."

فإذا كان الفصل الرابع والأخير، فقد اختمرت فكرة المؤامرة لقتل كاليجولا الذي يظهر وراء ستار في الصدر وقد لبس ثوباً قصيراً كثياب الراقصات، ووضع على رأسه عقداً من الأزهار وراح يرقص في حركات مضحكة. ثم تدخل سيزونيا لتعلن أن كاليجولا قد دعاهم اليوم ليشتركوا معه في مهرجان الفن وأن من لا يشترك فيه تقطع رأسه.

وبعد أن ينصرف كاليجولا، يتساءل شيريا: "أهو مريض؟" فتجيب سيزونيا: "لا، ولكنه ينام ساعتين من كل يللة، ويقضى بقية وقته متجولا في أبهاء القصر، لا يكاد يستريح. إن الذي تجهله ولم تحاول معرفته هو ما يفكر فيه ذلك الرجل طوال الساعات القاتلة التي تمضى بين منتصف الليل ومطلع الشمس.. إنكم–كجميع البلداء– لا تحتملون أولئك الذين

تستعر الحمية في أفئدتهم... مزيد من الحمية!. أهذا ما يؤذى؟.. أيدعى ذلك مرضاً؟"

وتعلن كاليجولا، وهو أشد اكتئاباً مما كان في أي وقت مضى، **ويساق الشعراء أمامه فيقول.** "الموضوع. الموت... الأجل".

ويتوالى الشعراء ومن ضمنهم "سيبيون" الذي يخبر كاليجولا بأنه راحل بعيداً. ويستولى الوجوم على كاليجولا بعد انصراف سيبيون، فينهض محاولا أن يقتل سيزونيا، ولكنه يبدل من وضع المرآة، ويدور حول نفسه، معلقاً ذراعيه في الهواء دون أن يحركهما ثم يقول لسيزونيا: "إن هذا غريب.. عندما لا أقتل أشعر بالوحدة.. إن الأحياء لا يكفون لتعمير الكون وتبديد الملل.

كذلك وجودك أمامى يجعلنى أحس بفراغ لا نهاية له يتوه فيه بصرى. انني لا أكون بخير إلا بين ضحاياي!"

وتحاول سيزونيا أن تهدى من نوبة جنونه فتعرض عليه أن يقتسم معها سعادتها في الحياة. ولكن كاليجولا يجيبها قائلا: "السعادة نوعان، وقد اخترت أنا سعادة السفاحين! لقد اعتقدت يوما انني بلغت أقصى حدود الألم، ولكن هذا لم يكن حقا! إن الضحك ليأخذنى عندما أفكر في امتناع روما بأسرها أعواماً طويلة عن النطق باسم دروسيللا، فلقد انخدعت روما طيلة هذه الأعوام!

إن الحب لا يكفيني، وهذا ما لا طاقة لى عليه. إن دروسيللا وهي ميتة لأفضل عندى من دروسيللا وهي عجوز شمطاء. إن الناس يعتقدون أن الإنسان يشقى لموت من يحب، ولكن الشقاء الحقيقي يرجع إلى ما هو أجل وأخطر؛ ذلك لأن الحزن ليس بأكثر دواماً من سواه من سواه وأن الألم نفسه سخف لا مغزى له أي سيزونيا، لقد تتبعت حتى النهاية فصول مأساة عجيبة، وقد حان الوقت لكي تسدل الستار بالنسبة إليك." ويأخذ في خنقها وهي مذعورة، أما هو فيقول لها: "ألا ترين انني أحيا وأقتل وأمارس قدرة المدمر المذهلة.. هذه القدرة المحمومة التي تبدو مقدرة الخالق إزاءها تقليداً مضحكاً! هكذا يكون المرء سعيداً، فالسعادة هي ذلك الانطلاق الثقيل الشاق.. والاحتقار الشامل للعام بأسره، والدم المسفوك، وثورة الحقد والكراهية التي تحيط بى، والعزلة الفريدة للرجل الذي لا يغفل عن حياته كلها طرفة عين، والغبطة الفائقة لدى السفاح الذي لا يناله العقاب، ثم هذا المنطق الذي لا يرحم والذي يفترس حياة البشر والذي يفترس حياتك أنت أيضا يا سيزونيا لكي تكتمل في النهاية تلك العزلة الأبدية التي أشتيها".

وتموت سيزونيا، فيدور حول نفسه في ثورة وحشية. ويتأمل صورته في المرآة قائلا: "وأنت أيضا يا كاليجولا..أنت أيضاً مذنب. ولكن، من ذا الذي يجرؤ على إدانتى في هذا العالم الذي لا قاضى فيه.. ياللقسوة أن يكون لإنسان حوافز تلزمه بالمضى إلى النهاية التي يخشاها!... قعقعة سلاح؟؟

ياله من شيء مستجن، أن أشعر- بعد ازدرائى للآخرين- بجبهم يدب في أوصالى. ولكن الخوف لا يدوم هو الآخر، وإني لعائد إلى ذلك الفراغ الكبير الذي يهدأ فيه القلب!... لو انني حصلت على القمر!.. لو أن الحب كان كافياً، لتبدل كل شيء.. ولكن من أين أروى هذا الظمأ؟.. كان يكتفي أن يتحقق المستحيل. لقد فتشت عنه في أطراف العالم، وعند حدود نفسى (يمد يديه نحو خياله في المرآة وهوة يبكى). لقد مددت يدى.. انني أمدها فلا ألقى سواك.. أنت دائماً في وجهي، لكم أبغضك.. انني أسلك الطريق الصحيح، وها أنذا لا أنتهي إلى شيء.. وليست حريتى هي الحرية الصحيحة.

أواه... إن هذا الليل ثقيل. ثقيل كآلام البشر!"

ويسمع فقعة سلاح وهمسات فيتطلع إلى صورته ثم ينهض فبقذف المرآة بمقعد وهو يضرخ: "إلى التاريخ يا كاليجولا.. إلى التاريخ!". ونتحطم المرآة. بينما يدخل المتآمرون، فيضحك وهم يطعنونه.. وتتحول الضحكات إلى شهقات.. ثم يصرخ.. صرخة تجمع بين الضحك والحشرجة.

"انني مازلت حيا".. وبلفظ مع هذه الكلمات آخر أنفاسه وقد رسم لنا ألبير كامى في مسرحيته هذه، صوره حية لجميع المراحل التي يمر فيها المصاب بجنون الهوس الاكتئابى، من نوبات الهوس التي يعتقد في أثنائها بالقدرة على المستحيل ويرتكب في خلالها أشنع جرائم القتل

واغتصاب النساء ويلتهم الطعام بشراهة وأنهم، إلى نوبات الاكتئاب التي يتحدث فيها عن حبه للعزلة وعن كراهيته للحب عن الإحساسات الغريبة التي يحس بها في جسده وعن الآثام التي ارتكبها ولم يحاكم من أجلها.
وقد اختار المؤلف موضوع مسرحيته من تلك الفترة التاريخية التي مرت في حياة كاليجولا منذ إصابته بجنون الهوس الاكتئابي (على أثر حداده القاسى بعد موت أخته دروسيللا) حتى انتهاء حياته باغتياله.

وعلى الممثل الذي يتعرض لأداء هذه الشخصية أن يلاحظ ما ذكرناه بخصوص منظر الوجه وحركة الجسم وسلوك المريض وتصرفاته ومظهره الخارجي وكلامه في كل من حالتي.

جأي روبنسون في شخصية كاليجولا الإمبراطور المجنون في فيلم "المصارعون" (فوكس للقرن العشرين)

ثانياً- جنون الخلط الذهني الحاد Acute Vonfusional Psychosis

يتميز هذا المرض باضطراب الأفكار، فالمريض لا يعرف عن نفسه شيئاً.
وهو لا يدرى إن كان في المنزل أو في المستشفى أو في السجن أو في المدرسة ولايقدر على معرفة أي شيء مما يحيط به. والخلط الذهني في هذا المرض عميقاً وثابتاً وأساسيا.

وقد يحدث الخلط الذهني كعارض ثانوى مؤقت في بعض الشديدة الحادة، كالالتهاب الرئوى أو التيفود. وفي هذه الحالات يشفي المريض من حالة الخلط الذهني بمجرد شفائه من حالة الحمى.

والمريض بهذا المرض يصاب باضطراب في الذاكرة يجعله غير قادر على استجماع الأشياء، وقد يضل المريض طريقه إلى منزله أو إلى محل عمله، وقد لا يذكر شيئاً عن نفسه وكثيراً ما نجد هؤلاء المرضى ضالين في الشوارع لا يدرون عن أنفسهم شيئاً.

ويبدو المريض كأنه يحلم في أثناء اليقظة ونراه دائماً أبدا في هذه الحالة الحالة. ويظهر على ملامح وجهه القلق والكآبة والألم والخوف واليأس. وقد يكون كلامه غير مرتب ولا مفهوم، كما قد يخطىء في تقدير الزمان والمكان ومعرفة الأشخاص وإدراك الأشياء.

وقد يصاب بهلوسات [1] سمعية وبصرية من نوع مرعب كريه، كما قد تتسلط عليه الاعتقادات الخاطئة، فيمتنع عن الطعام مثلا لأنه يعتقد أن به رائحة الكبريت، كما قد تتسلط عليه بعض الدوافع المقلقة التي قد تحفزه لقتل نفسه بالقفز من الشباك مثلا.

---

[1] الهلوسات جمع هلوسة. والهلوسة هي الإحساس بأشياء لا وجود لها في الحقيقة. وقد تكون الهلوسات بصرية، فيرى المريض أشياء غريبة، وقد تكون سمعية، فيسمع المريض أصواتاً شاذة، كما قد تصيب الهلوسات كذلك حواس الشم والذوق واللمس.

والمريض بهذا المرض يفقد شهيته للطعام، وينقص وزن جسمه، ويضطرب نومه، وقد يصاب برعشة في اليدين وفي عضلات الوجه، كما قد تتناوب عليه نوبات من الهياج الشديد والاكتئاب.

والغالب أن حالة الجنون التي أصابت "أوفيليا" في مسرحية "هملت" لشكسپير تنتمي إلى هذا النوع من الخلط الذهني الحاد الذي أصابها إثر صدمتين كبيرتين، كانت الأولى منهما هي هجر حبيبها هملت لها. ولما كانت أوفيليا شخصية رقيقة ناعمة سريعة التأثر فقد أحست بصدمة كبيرة هائلة بعد ذلك الحوار الذي دار بينها وبين هملت والذي طلب إليها في أثنائه أن تنسى حبه لها، وأن تنسى حبه لها، وأن تقضى بقية حياتها في دير، فهذا أفضل لها من أن تتزوج لتصبح بعد ذلك والدة ومرضعاً لخاطئين [٢]

وقد أعتقدت أوفيليا بعد هذا الحوار أن حبيبها هملت قد أصابه مس من الجنون، فأخذت تطلب له من الله الشفاء، وأخذت تندب حظها وتصور مصابها الكبير حيث تقول: أوفيليا[٣]: يا أيتها القوى العلوية امنحيه الشفاء. لهفي على ذلك العقل الوطيد أن يتهدم هكذا. أسفي على ذلك الفتى الذي كان رفيقاً، وشجاعا، وعالماً، وكان له اللحظ الساحر، واللسان الفصيح. والسيف البتار، وكان رجاء المللكة، وزهرة هذا البلد الجميل، ومثال الأناقة، ورمز الشباب الحسن، ومطمح أنظار الناظرين.

---

[٢] مسرحية هملت- ترجمة خليل مطران- الفصل الثانى صفحة ٦٥-٦٨.

[٣] مسرحية هملت- ترجمة خليل مطران- الفصل الثانى صفحة٦٨.

أسفي عليه أن يصير إلى هذا التلف. إني لأتعس النساء حظا، وأكبرهن مصاباً. بالأمس كنت أسمع أقواله العذاب فأرتوى منها شهدا"، واليوم أجد ذلك الذكاء العالى يتبدد في ألفاظ محتلة، كأصوات الأجراس التي صمتت فتنكرت أصواتها بعد الشجى والطرب. آها على تلك الملامح التي لا تضارع، ومذلك الشباب النضير الذي تتصعد منه الآن هذه الزفرات. يا ويلتى،واحر قلباه. أين ما رأيت مما رأي.

وهذه الصدمة أوجدت عندها استعدادا للجنون الذي وفد عليها بعد صدمتها الثانية بمقتل أبيها پولونيوس بسيف حبيبها هملت.

ولست أجد أعمق ولا أفضل من وصف شكسبير لجنون أوفيليا، ولذلك فسأنقل في السطور التالية كل ما جاء بالمسرحية من حوار يتعلق بحالتها[1]، تاركا للقارىء أن يلمس بنفسه مدى انطباق حالتها على أعراض جنون الخلط.

(تدخل الملكة وهو راشيو وأحد رجال الحاشية)

الملكة: قد سافر نجلى الآن وقلبى مفعم بالأحزان فلا أريد أن أكلمها.

هوراشيو: هي تلح في التماس مقابلتك، وبها سورة خيال، وكل ما يرى من شكلها أو يسمع من قولها يدعو إلى الشفقة.

---

[1] مسرحية هملت– ترجمة خليل مطران– الفصل الثالث صفحة ٩٩-١٠٢

الملكة: ما مرادها؟

هوراشيو: لا تفتأ تذكر أباها، ثم تبكى، ثم تضحك، تهذى بكلام بلا معنى، وتخلج بعينيها وتهز رأسها، وكتفيها، والذين تقع أبصارهم عليها، أو ترن في مسامعهم كلماتها، يؤولون تلك الإشارات والألفاظ بما تشاء الأهواء والأغراض.

الملكة: خير لنا أن أكلمها لئلا تلقى بذور الفتنة في قلوب الذين لا يخلصون لنا الحب أدخلها (يخرج هوراشيو) هكذا النفوس التي أمرضتها الخطيئة، ترى كل قليل كثيراً، وتخشى من كل طيف حساباً وتظن في كل حساب عقاباً، تتولى هي كشف خطاياها من حيث تتغالى في ستر خباياها

(يدخل هوراشيو وأوفيليا)

أوفيليا: أين المليكة الجميلة صاحبة الدانمرك؟

الملكة: ما تبغين يا أوفيليا؟

أوفيليا: (منشدة) كيف أتبين صديقك الصادق من الآخر الماذق قد زان قبعته بأصداف البحخر، ومعلق نعليه بعصاه.

الملكة: واحزنا... أيتها السيدة الرقيقة ما معنى هذا الكلام.
أوفيليا: أصغى متفضلة وتبينى

مات وانصرف مات وانصرف على رأسه عشب أخضر ورجلاه مشدودتان بحجر آها. أها.

الملكة: لكن يا أوفيليا

أوفيليا: أصغى متفضلة وتبينى (منشدة) كفنه أبيض كثلج الجبال

(يدخل الملك)

الملكة: وا أسفاه. انظر يامولأي.

أوفيليا: (منشدة ومتممة) مدبج بالأزهار الرقيقة، الندية بالدموع، التي ذهبت معه إلى القبر، خالصة كندى الحب.

الملك: كيف أنت أيتها الآنسة الجميلة؟

أوفيليا: بخير حماك الله، نعرف ما نحن ولكن لا نعرف ما إليه نصير، كان الله على مائدتك.

الملك: تفكر في أبيها... منذ كم هي هكذا؟

أوفيليا: أرجو أن يتحسن كل شيء الصبر واجب، لكنني لا أستطيع الامتناع من البكاء، حين أذكؤر أنهم غيبوه في وحشة الأرض. سيعلم أخى هذا. وإني لأشكر لكم حسن العزاء. إلى مركبتى.

أمسيتم بخير يا سيداتي. بخير يا سيداتى العزيزات بخير. بخير. أسعدتم مساء (تخرج)

الملك: أدركها عن كثب وأحسن حراستها. (يخرج هو راشيو) هذا ما جره عليها موت أبيها. أي جرترودغذا جاءت المصائب لم تجيء فردى كالطلائع، بل جماعات كلجيوزش؛ أبوها توفي. وابنك سافر بل أقول انتفي بإرادته، والشعب أخذ يبدى ما خامره من الظنون السيئة بسبب مقتل پولونيوس. وأحسبنا لم نصب بدفننا إياه سرا.

واوفيليا فقدت تلك الجوهرة العقلية التي لا يكون الإنسان بدونها إلا شخصاً آليا أو بهيمة.

وفي موضع آخر من نفسهذا الفصل من المسرحية تدخل أوفيليا بملابس الجنون وعليها زهور وأعشاب. وسنورد في السطور التالية ما دار حينئذ من حوار :

لايرتس[1]:يا ايتها الحرارة، أحرقى رأسى، ويا أيتها الدموع السخينة، ليذهب ملحك ببصرى، تالله لأجعلن لجنونك ثمناً يميل بوقره ميزان القضاء، ألأي وردة نيسان. أي بنتى الحبيبة، أي أختى الشفيقة. أي أوفيليا الوديعة، أفي الإمكان ياربا أن يصاب عقل فتاة كما يصاب عقل الشيخ

[1] مسرحية هملت– ترجمة خليل مطران– الفصل الثالث صفحة ١٠٥–١٠٧.

الطاعن في السن؟ أم هي نار الحب تذكى الكيان وتذيبه إرباً إرباً في إثر الحبيب الراحل!

أوفيليا: (منشدة) حملوه مكشوف الوجه في النعش. ترالا. ترالا.لا.لا.

وعلى ضريحه سالت دموع غزار. ليلتك زاهرة يا عصفوري
لايرتس: لو سلم عقلك وجعلت تحرضيني على الانتقام، لما أثرت في بعض هذا التأثير.

أوفيليا: (منشدة) إلى الأرض. إلى الأرض. ألقوا به إلى الأرض.
لايرتس: في هذا الجنون ما يرجح على العقل.

أوفيليا: (إلى لايرتس) هذا أكليل الجبل، ومعناه: تفكر، ثم هذه زهرة الثالوت ومعناها: تذكر.

لابرتس: إن في جنتها لعظات.

أوفيليا: (مخاطبة الملكة) هذا ثمار لك وقليل من كف مريم. (مخاطبة الملكة) وهذه زهرة الؤلؤ لك. كان بودى أن أعطيك طاقة من البنفسج. ولكنها ذبلت كلها حين توفي أبى، يقولون: إنه مات ميتة صالحة (منشدة) لأن ذلك الفتى سرور لقلبى.

لايرتس: الوسوسة. والكآبة، والألم، واليأس، كل إحساس فيها يكتسب منها رقة وجمالا.

أوفيليا: (منشدة)لن يعود. لن يعود.لا.لا. قد مات . اذهب إلى فراش موتك. لن يعود لن يعود. لحيته كانت بيضاء كالثلج، ورأسه أشقر إلى بياض. مضى. مضى. ونحن نبكى سدى. ليرحم الله نفسه.

إلى الله أصلى. ليكن الله معكم (تخرج).

وقبل أن ينتهي هذا الفصل من المسرحية نعلم من حديث الملكة جرتورد مع لايرتس أن أخته أوفيليا ماتت غريقة.

ورب قائل يقول من أين تأتى لشكسبير أن يعطينا في مسرحياته دراسة متعمقة قائمة على أساس علمى صحيح للشخصيات التي وردت في قصصه، وخاصة المريضة منها بأمراض عقلية أو نفسية أو جسمية. لقد كان شكسبير عبقرية موهوبة لاشك في هذا، ولكن سعة إطلاعه وثقافته واجتهاده الشخصى في الدراسة النظرية والعملية للحياة في مختلف أدوارها، وللناس في مختلف مظاهرهم– كل ذلك أتاح له أن يكون في طليعة كتاب المسرحية في العالم.

وعلى الرغم من دراساته المتعمقة في مختلف العلوم والآداب والفنون فإنه لم يهمل زيارة مستشفي "بدلام" للأمراض العقلية الذي أضيف بناؤه إلى دير قديم كان قد أنشأه عمدة لندن في سنة ١٢٤٧. وقد استقبل مستشفي "بدلام" هذا اول فوج مكون من ستة من مرضى العقول في عام ١٤٠٣.

وعن طريق زيارات شكسبير العديدة لهذا المستشفى، أمكنه دراسة أنواع الجنون المختلفة دراسة عملية مستفيضة على النماذج الإنسانية الحيةو التي كان يشاهدها.

وقد برزت دراسات شكسبير لأنواع الجنون بروزاً واضحاً في مسرحية "الملك لير" التي ذكر فيها اسم "مارستان بدلام" بالذات.

مسرحية "الملك لير"

ترجمة المغفور له إبراهيم رمزي

تتلخص هذه المسرحية في أن "لير" ملك بريطانيا رأي أن يتخلى عن ملكه، بعد أن بلغ من العمرلا أرذله، فقسم مملكته بين ابنته الكبرى جونريل (Goneril) والوسطى ريجان (Regan)، هاتين الابنتين اللتين كانتا تظهران له الحب وتنافقانه بمعسول الكلام، بينما حرم ابنته الصغرى كورديليا (Cordelia) لأنها كانت لا تعرف الملق ولا غ تنطق بمعسول القول.

وما أن تنازل لير عن مملكته لابنتيه الكبرى والوسطى حتى قلبتا له ظهر المجن، ولقى منهما العقوق وسوء المعاملة، فترك لهما القصر وأخذ يهيم على وجهه في الأرض، وقد أصابه من هول صدمته في ابنتيه جنون الخلط الذهني الحاد.

وأخيراً، وبعد أن بلغ به الجنون مداه، وبعد أن وصل إلى أشد درجات الهوان، يلتقى بابنته الصغرى كورديليا التي كان قد حرمها من كل شيء، فتنزله من نفسها منزلة كريمة، وتظهر نحوه أصدق آيات الحب والعطف والحنان، ولكن هيهات هيهات! فهو لا يدرى بشيء ولا يشعر بشيء. أما ابنتاه الكبرى الوسطى، فقد أحبت كلتاهما "إدموند" وهو ابن غير شرعي "لإيرل جلوستر". وينتهي أمر هذا الحب بأن تقتل جونريل نفسها

بيدها بعد أن تقتل أختها ريجان بدس السم لها. وهكذا انتقمت العدالة الإلهية منها أشد الانتقام.

وسنذكر فيما يلى بعضاً من مشاهد المسرحية التي يتضح منها إصابة الملك لير بجنون الخلط الذهني الحاد.

في المنظر السادس من الفصل الرابع، يدخل لير لابساً ثوباً منمقاً بالأزهار البرية في صورة عجيبة وهو يقول:

لير: لا يملك أحد أن يقبض على لتزييفي النقود، لانني أنا الملك
إدجار: ما أوجع هذا المنظر لقلبى

لير: الطبيعة في هذا فوق الفن. خذ هذا عربونك. أنظر. أنظر. جرذ.صه.صه – حسبى قطعة من الجبن المحمر. ها أنذا ألقى قفاز الخصام، وأثبت صدق وعيدى حتى في مقاتلة المردة، ليتقدم حملة الفئوس.آه. أحسنت الفرار أيها الطير. في الهدف في القلب. هلم –ها– أعط كلمة الشعار.

جلوستر/: إنى أعرف نبرة هذا الصوت– أليس هذا هو الملك؟
لير: أجل– الملك. من رأسه إلى قدمه. إذا رميت بعيني فانظر كيف تضطرب لها الرعية. عفوت عنك يا رجل. عش. لك الحياة.

ما جريمتك. أعطنى أوقية من العطر أيها الصيدلى لتنبه ذهني.
إليك النقود.

جلوستر: دعنى أقبل يدك.،

لير: دعنى أمسحها أولا– إن بها رائحة الموت.

جلوستر: أسفي على تلك القطعة الحية من الطبيعة كيف تحطمت. ألا تعرفنى؟

لير: إنى لأذكر عينيك جيداً. لا تنظر إلى هكذا؟ لا تغازلنى– حقا إن إله الحب أعمى ولكنى لن أحب أحدا. إقرأ هذا الإنذار وتأمل خطه جيداً.

جلوستر: لا أستطيع قراءة حرف واحد منه، ولو كالن واضحا كالشمس.

لير: اقرأ

جلوستر: كيف. هل أقرأ بعينى المقتلعين؟

لير: أوه– أهذا ما تعنى؟ – لا عيون لك في رأسك؟ ولا نقود في جيبك؟ إن مصيبتك في عينيك ثقيلة ومصيبتك في جيبك خفيفة. ومع ذلك فأنت تستطيع أن ترى كيف تسير الدنيا.

جلوستر: أراها تحسساً.

لير: ماذا! أنت مجنون؟ إن في استطاعة الإنسان أن يرى كيف تسير الدنيا بدون أن تكون له عيون. انظر بأذنيك. انظر ذلك القاضى كيف يؤنب ذلك اللص المسكين. أنصت! أريد أن أقول لك شيئاً. ضع أحدهما مكان الآخر، ثم قل لى بعد ذلك أيهما القاضى وأيهما اللص. هل رأيت كلباً من كلاب المزارع ينبح وراء أحد المتسولين؟

جلوستر: أجل يا مولأي

لير : ورأيت كيف يفر الإنسان من الحيوان؟إن القوة هي التي تعطى السلطة. إن الكلب طالما كانت لديه السلطة. إنهم يقتلون السارق، على أنك تجد من أصدر الحكم عليه مرابيا.

إن الثوب البالى يكشف أهون الهنات، بينما الرداء الفاخر الطيلسان ذو الفراء يستران كل شيء. اطل الخطيئة بصفائح الذهب تتكسر دونها رماح– العدالة، ودرعها بأسمال بالية، تمزقها أصغر قشة. ليس في الوجود مجرم. أقول ليس هناك مجرم. سأطلق سراحهم جميعاً. خذ ذلك عنى أيها الصديق.

عنى أنا الذي أملك أن أقفل فم الذي يقيم الاتهام. هيىء لمحجريك عينين زجاجتين وتظاهر كأي سياسى حقير، بأنك تبصر ما لا ترى. والآن– الآن اخلع عنى حذائى– شد– شد بقوة. هكذا.

إدجار: (لنفسه) الرشد والخبل ممتزجان ..كم ذا في الجنون من صواب.

وفي المنظر السابع من الفصل الرابع يُرى "لير" نائماً في الفراش، ويدخل الطبيب وبصحبته كورديليا (الابنة الصغرى) وإيرل كنت، ويدور الحوار التالى:

الطبيب: كونى إلى جانبه يا سيدتى عندما نوقظه.

كورديليا: والدى العزيز! آلهة الشفاء دواءك على شفتى، ولتكن قبلتى هذه بلسماً مما أوقعت أختأي بجلال ذاتك من بالغ الأذى.

الطبيب: كلميه أنت يا مولاتى– هذا أجدى.

كورديليا: كيف حال مولأي الملك؟ بماذا تشعر يا صاحب الجلالة؟

لير: إنكم لتسيئون إلى إذ تخرجونى من القبر. إنك روح مباركة، أما أنا فمربوط في الجحيم على عجلة من نار تتساقط عليها دموعى كأنما هي رصاص مصهور.

كورديليا: مولأي. أتعرفنى؟

لير: أنت على اليقين روح. خبرينى متى كانت وفاتك؟.

كورديليا: لا يزال– بعيداً عن الرشاد!

الطبيب: إنه لم يفق بعد– دعوه وشأنه قليلا.

لير: أين كنت؟– أين أنا؟ أهذا وضح النهار البهيج! لشد ما أنا مخدوع! بل لكنت أذوب رثاء لنفسى لو رأيت أمراً على مثل هذه الحال. لست أدرى ماذا أقول. لا يمكننى أن اقسم أن هاتين هما يدأي. فلنختبر الأمر. إنى أشعر بوخز هذا الدبوس. كم أتمنى أن أتبين حالتي باليقين؟!

كورديليا: سيدى– انظر إلى، وارفع يديك وباركنى. لا، يا سيدى. لا. ليس لك أن تثور.

لير:أتوسل إليك ألا تسخرى بى. إنى شيخ شديد الحمق والغباء، في الثمانين أو أكثر، لا تنقص ساعة ولا تزيد ساعة. واقول الحق انني غير سليم العقل. يبد أنىلا أظنى انني أعرفك وأعرف هذا الرجل، ولكنى لست واثقاً من ذلك، لأنى لا أعرف أين أنا ولا تعى ذاكرتى شيئاً من هذه الثياب، ولا أدرى أين قضيت ليلة البارحة. لا تضحكوا منى إذا قلت إنى أعتقد أن ذهه السيدة هي ابنتى كورديليا، كما أعتقد انني إنسان من لحم ودم.

كورديليا: أجل أنا ابنتك. أناهي.

لير: أدموعك تسيل حقا! أجل وربى سألتك لا تبكى. لو كان عندك سماً لى، لشربته طائعاً مختاراً. لقد أساءت إلى أختاك- على ما أذكر- بغير ما سبب. أما أنت فتكرهينى لأن لديك سبباً لذلك.

كورديليا: ليس لدى سبب لأكرهك- ليس لدى سبب.

لير: هل أنا في فرنسا؟

كنت: بل في مملكتك ذاتها يا مولأي

لير: لا تغرر بى

الطبيب: هدئى روعك يا سيدتى الفاضلة. ها أنت ذى ترين أن نوبة الجنون ثقد سكنت، ولكن من الخطر عليه أن نستثير فيه شيئاً من ذكرياته الماضية. اطلبى إليه أن يدخل، ولا تقلقيه حتى يصبح أكثر هدوءا.

كورديليا: هل يطيب لعظمتك أن تتمشى؟

لير: يحدر بكم أن تحسنوا إلى. وإنى أتوسل إليكم الآن أن تنسوا وتصفحوا. إنى عجوز ومخبول، وبالإضافة إلى مأساة الملك لير، يخلق شكسبير في مسرحيته مأساة أخرى جانبية يمازج بينها وبين القصة الأصلية. وتتلخص هذه المأساة الجانبية في أن أيرل

جلوستر كان له ولدان: أحدهما يدعى "إدجار" وهو ابنه الشرعي، أما الآخر الذي يدعى "إدموند" فهو ابن سفاح.

ويمتلىء قلب إدموند حقداً على أخيه إدجار، فيوقع بينه وبين أبيه. وينتهي الأمر بأن يهرب إدجار وينكر في زى مجنون يدعى "توم"، من متسولى(١) "بدلام".

ونورد فيما يلى ما جاء على لسان إدجار في المنظر الثال من الفصل الثانى من المسرحية حيث يقول:

"لقد سمعت بأذنى صوت النذير يجد في طلبى، ولكنى نجوت من كيدهم بما وقفت إليه من مخبأ في جوف شجرة. لقد ضاقت بى الأرض، فما من مرفأ إلا وهو ممنوع، ولا ممن مكان إلا وهو مخفور- أقيمت عليه حراسة أشد ما تكون يقظة للقبض على. ليجدر بى الآن، وفرصة الاختفاء سانحة، أن أعمل لصيانة نفسى. ولعل من الحكمة أن أتنكر في أسوأ صورة وأحط حال تملك الفاقة أن تردى فيها الإنسان وتجعله أقرب إلى الحيوان. سألطخ وجههي بالأوحال، وأستر ظهرى بالأسمال، وأرسل شعرى عقائص معقدة، وأواجه بالعرى أعاصير السماء، مقتديا في ذلك بمستولى مارستان بدلام، أولئك المجذوبين الذين يسيرون في الأرض وهم يتصايحون، وقد غرسوا في أذرعتهم العارية التي أهمدها البرد والمرض، إبرا وشظايا ومسامير

---

(١) متسولو بدلام هم هؤلاء المجانين المشردين الذين كانت تصرفهم إدارة مستشفي بدلام إلى حال سبيلهم، لأن جنونهم لا ينتمى إلى نوع من أنواع الجنون الخطر.

وأشواكاً، ويجوبون الديار على هذه الصورة البشعة متنقلين من مزرعة إلى مزرعة ومن قرية إلى إأخرى، ويغشون مضارب الرعاة ومساكن الصناع، يستدرون الحسنة بالدعوات أو يأخذوها قسراً باللعنات. المسكين تورليجود!

المسكين توم! هذا اسمى الجديد. أما إدجار فلم يعد منى في شيء".

ويظل "المسكين توم" يضرب في الأرض على غير هدى حتى يلتقى بلير المجنون فينضم إليه، كما ينضم إليهما كذلك إيرل جلوستر الذي لا يعلم أن "توم" هذا إنما هو في الحقيقة ولده إدجار. وينحاز "إدموند" إلى الأختين جونريل وريجان ويشى عندهما بأبيه جلوستر لأنه انضم إلى مولاه الملك لير. وتلتقى ريجان وزوجها بإيرل جلوستر فينتقم منه، لانضمامه إلى صف الملك لير، باقتلاع عينيه من محجريهما.

وتدور الدائرة بعد ذلك على إدموند إدجار في أثناء مبارزة حامية الوطيس. وينتهي الأمر بأن يدرك جلوستر الأعمى أن توم هو في الواقع ابنه إدجار الذي يكن له كل إخلاص وحب، وأن إدموند ابن السفاح لم يكن سوى أفعى نفثت سمومها الخبيثة بينه وبين ولده الحبيب إدجار.

ثالثاً: انفصام الشخصية أو الفصام Schizophrenia

انفصام الشخصية هو أكثر الأمراض العقلية انتشاراً إذ أن حوالى٢٥% من مرضى العقول مصابون به. وهو مرض يتميز بانعزال

المصاب به عن العالم الخارجي، وبالتفكك المستمر البطىء في كل جزء من أجزاء شخصيته.

ويؤثر هذا المرض بصفة خاصة على ملكات الوجدان والعاطفة. والسلوك والتفكير.

أسباب المرض:

لا يعلم بالضبط السبب الحقيقي لهذا المرض، ولكن الباحثين يذكرون له أسباباً كثيرة. ولاشك أن الوراثة تلعب دوراً هاماً ثابتاً في إحداث هذا المرض إذ أن أكثر من ٥٠% من المرضى لهم تاريخ عائلى وراثى ملىء بالأمراض العقلية والنفسية.

ويعتقد البعص أن الاضطرابات في إفرازات الغدد الصماء. وخصوصاً الغدة النخامية(١) من أهم أسباب هذا المرض، ولعل هذا يفسؤر حالات انفصام الشخصية التي تصيب الشيوخ بين سن الخمسين والستين من عمرهم حين تضعف إفرازات هذه الغدة.

ويميل بعض العلماء– على الرغم من اعترافهم بأهمية السببين السالفي الذكر– إلى الاعتقاد بأن للبيئة المقام الأول في إحداث هذا

---

[١] الغدة النخامية هي غدة صغيرة توجد أسفل المخ، وتهيمن على الكثير من وظائف غدد الجسم وأعضائه المختلفة.

المرض، بمعنى أن المريض تنقصه القدرة على التكيف مع ظروف البيئة المحيطة به فيتفاعل معها تفاعلا خاطئاً.

وينسب البعض الآخر حدوث هذا المرض إلى امتصاص السموم التي تتكون في الجسم نتيجة لوجود التهاب باللوزتين أو تعفن باللثة أو لوجود بؤرات التهابية صديدية مزمنة في أي جزء من أجزاء الجهاز الهضمى أو البولة أو التناسلى. ويعارض البعض هذا الرأي بعد أن أثبتوا أن ذهه النظرية يعوزها الدليل على صحتها.

وهناك من الأسباب الخارجية ما قد يحفز على ظهور أعراض المرض مثل الحمل والولادة أو ما بعد الولادة، كما قد يحدث المرض إثر صدمة عصبية عنيفة كعدم التوفيق في الزواج أو فقد عزيز أو خسارة مالية. وتحدث معظم الإصابات بهذا المرض بين سن الخامسة عشرة والثلاثين من العمر، وأغلبها يحدث في سن الخامسة والعشرين. ونسبة حدوث المرض في الذكور والإناث تكان تكون متساوية. ومن خصائص هذا المرض أنه كثيراً ما يعود إلى المريض بعد تحسنه أو شفائه منه.

ويصيب هذا المرض عادة الأشخاص ذوى الشخصية الانطوائية. ومن خصائص هذه الشخصية أن صاحبها يكون غير اجتماعى، متحفظاً، انفعاليا ولكنه يخفي انفعالاته عن النالس. وهو يركز كل محور الحياة حول نفسه، ويتصف كذلك بالأنانية وسوء الظن، وقد يتمسك بالمثل العليا والمبادىء بشكل يدعو إلى الدهشة، ولكنه يصعب عليه التكيف مع بيئته،

فيظل لذلك غير مفهوم من الذين يعاشرونه، وكثيراً ما يصفه الناس بأنه شخص مغلق على نفسه.

أعراض المرض:

لهذا المرض أنواع عديدة، ولكننا سنقصر كلامنا على النواع الأكثر انتشاراً. وانفصام الشخصية مرض بطيء السير، وأعراضه من التنوع والكثرة بحيث يصعب حصرها. وسنكتفي بأن نذكر فيما يلى أهم الأعراض التي تظهر في الحالات النموذجية.

أولا: الأعراض العقلية **وأهمها ما يأتى**:

١ـ فقدان أو تبلد العاطفة:

يحس المريض بانعدام عاطفته نحو زوجته وأولاده أو أقربائه الذين اعتاد على حبهم من قبل، وفي أحوال كثيرة قد ينقلب هذا الحب إلى كراهية.

كما يصاب المريض عادة بنوع من العاطفة الجوفاء التي تؤدى إلى انعدام التوافق بين كلام المريض والمظهر الإنفعالى الذي يبدو عليه في أثناء هذا الكلام، فقد يقص المريض مثلا أشياء تخص زوجته أو أقرباءه تدعو للحزن والأسى ولكنه يرويها دون أن ينفعل بها ودون أن يظهر أية عاطفة تتناسب مع هذه الأشياء المؤلمة، بل قد يصل به الحد أحياناً إلى أن يظهر عليه السرور في المواقف المحزنة، كما قد يبكى في مواضع السرور. وقد

تظهر على المريض انفعالات مفاجئة عنيفة بدون أي سبب، فقد ينفجر مثلا في الضحك أو البكاء، أو قد يساوره الانقباض، أو قد يندفع في إظهار الغضب أو الحب دون أن يكون هناك داع لذلك.

وهذا العارض يعتبر من أهم الأهراض التي تميز مرض انفصام الشخصية عن غيره من الأمراض العقلية.

٢ـ اضطرابات السلوك:

يتأثر سلوك المريض تأثراً واضحاً، فحتى في غياب الأعراض الأخرى، تبدو تصرفاته مغايرة لتصرفات الشخص العادى، فهو ميال للانطواء والعزلة وتجنب المجتمعات، وعدم الاهتمام بالغير أو بما يحيط بشخصه. ويفضل المريض في هذه الحالة الجلوس وحيدا شارد الذهن كأنه في حلم مستمر، وكثيراً ما يتجه إلى قراءة الروايات الغرامية، أو البوليسية، أو إلى سماع الموسيقى، ويجوز أن يندفع في العبادة بشكل واضح. وفي كل هذه الأحوال يفقد اهتمامه بالعالم الخارجي فيهرب منه ويعيش في جوه الخاص الذي يلائمه وفي كثير من الحالات يكون المريض مدركاً لهذاا التغير الذي حدث له، فقد يشكو أنه يحس بداخل نفسه نوعاً من الشذوذ، أو قد يقول إنه فقد تلك الوحدة التي يعنيها الشخص عندما يتكلم عن نفسه قائلا: "أنا". ومن هذه الوجهة يكون لدى المريض تبصر حقيقى بحالته التي كثيراً ما يحاول وصفها بنفسه.

ولكن قد يختفي هذا التبصر جزئيا أو كليا في بعض الحالات الشديدة فلا يدرك المريض حقيقة حالته.

٣ـ اضطراب التفكير:

من خصائص هذا المرض اضطراب التفكير بشكل يؤدى إلى فقد القدرة على تركيز الذهن في أي موضوع. فإذا كان المريض طالباً مثلا، فإنه يفقد القدرة على تتبع المحاضرات واستذكار الدروس؛ وإذا كان عاملا فإنه يفقد القدرة على الانتاج نتيجة لشرود ذهنه واضطراب أفكاره. ثم يظهر بعد ذلك على المريض شذوذ في تصرفاته، فيمتنع عن دراسته أو عن عمله بلا سبب، كما يمضى معظم وقته شارد اللب أو هائماً على وجهه من مكان إلى آخر. وفي هذه المرحلة من المرض ينتابه إحساس شديد بالخجل، ولا يظهر عليه الاهتمام بالسرور أو بالحزن، ويكون سهل الانقياد، سريع التأثر، ويظهر عليه الاكتئاب ويزداد شعوره بالخيبة والفشل، ويشعر المريض باضطراب تفكيره وقد يصف حالته قائلا: "إنى أحس بأفكارى تؤخذ فجأة من عقلي، كما توضع في رأسى أفكار أخرى غريبة عنى. إن عقلي ليس ملكاً لى، وأفكارى تصاب بالتوقف فجأة، لأن بعض القوى الخارجية تتسلط على".

ولكي نوضح اضطراب التفكير عند المرضى بانفصام الشخصية نورد فيما يلى بعض الملاحظات التي ذكرها ثلاثة من المرضى.

قال أحدهم: "لقد كانت الخفافيش والنحل تدخل من النافذة وكان ذلك يرجع بالطبع إلى صهرى الذي يعاكسنى. لقد قال انني أضع النحل في قبعتى."

وقال آخر: "إذا رجعتُ في أثناء غيابى فاحجزنى هنا حتى أعود."!!
وقال الثالث: "عندى الكثير من الأفكار المفروضة على. إن كل أفكارى عبارة عن كلمات تخرج منى، وكان الأحرى أن تكون كوخزات الإبر. إن أفكارى تتوقف أيضاً بشكل غير طبيعى... لقد سمعت أصواتاً تقول: "إنه يحس بحياته"... ولكي أعود بإحساسى إلى طبيعته أشعر كما لو كنت أحول السيارات إلى سفن حربية لكن لكي أكون أعظم منها. "!!
وبعد هذه الأعراض أو قبلها تظهر على المريض التهيؤات المختلفة، والتصورات الغريبة، والهلوسات، والمعتقدات الخاطئة.

٤ـ الهلوسات:

وهذه تحدث في كثير من الحالات، وغالبيتها تنتمي إلى الهلوسات السمعية، أي أن المريض يسمع أصواتاً غريبة كصفير أو وش في الأذنين. وقد يخيل إليه أن هناك أصواتاً تكلمه أو تناجيه فيرد عليها بصوت مسموع. وقد تتسلط عليه هذه الهلوسات، وتتحكم في سلوكه وتصرفاته، فيطيع أوامر الأصوات التي يسمعها والتي ليس لها وجود في الحقيقة. ومما يدعو إلى الأسف، أن أكثر أعمال التعدى والعنف تحدث نتيجة لاستجابة المريض لأوامر هذه الأصوات. وقد يحس المريض أحياناً بالأصوات تأتى من داخل صدره أو بطنه، وفي أغلب هذه الحالات تتركز الهلوسات على

أعضاء جسمه، فيشعر المريض بإحساسات جنسية غريبة، أو بإحساسات أخرى توهمه بحدوث خلل أو نمو شاذ في بعض أعضاء جسمه. وقد يحس المريض ببعض الهلوسات البصرية، وفي هذه الحالة، يرى أشياء وخيالات لا وجود لها في الحقيقة، ولكنها قد تفزعه، كما تجعله يضحك لها دون أن يدرك الناس من حوله سبباً لفزعه أو لضحكه.

وقد تظهر في بعض الحالات الهلوسات الخاصة بالشم والمذاق والملمس (كالإحساس بوخز الإبر مثلا)

٥ـ المعتقدات الخاطئة:

والمعتقدات الخاطئة كثيرة وشائعة في هذا المرض. وتتركزغالبيتها حول ذات المريض، فمثلا حدث لأحد المرضى عندما قال له ابن عمه إنه كان يقرأ في أحد الكتب موضوعاً يختص بطلاق ناپليون من چوزفين– حدث أن خطر له فجأة، أن كلام ابن عمه هذا، كان طريقة مهذبة لأخباره بأن زوجته– أي زوجة المريض– تخونه مع ابن عمه البذى تشاء الصدف أن يكون اسمه چوزيف.

لكن هذه المعتقدات الخاطئة لا تثبت على حال واحد فهي تتغير من حين لآخر، **فتارة يعتقد يعتقد المريض أنه واقع تحت سلطان الغير، وأن الناس تقرأ أفكاره وتسرق آراءه، وتارة يعتقد أن هناك من يسحر له، وطوراً يعتق=د بأن أعداءه ينومونه تنويماً مغناطيسيا، أو يسلطون عليه آلات كهربائية بقصد إيذائه.**

قد تتملك المريض أفكار العغظمة فيعتقد أنه يملك ثروة طائلة أو أنه ملك من الملوك، وفي نفس الوقت لا يورع أن يسأل أحد الناس أن يقرضه قرشاً أو يعطيه سيجارة. ويتسلط الشك على المريض فيعتقد أن كلام الناس وإشارتهم، بل وحتى ما هو مكتوب في الصحف، إنما هو المقصود به، كما أنه يشعر بتأنيب شديد من ضميره، لأنه يتخيل أنه أتى إثماً كبيراً، أو أخطأ خطأ جسميا، وأنه قد جر العار على نفسه وأسرته، بارتكابه هذا الذنب الذي لا يغتفر.

٦ـ تفكك الشخصية:

ومن أهمالأعراض كذلك، تفكك شخصية المريض تفككاً تاما، فينقلب المريض الذي كان هادئاً وديعاً كالحمل إلى شخص شاذ، فريب الأطوار، لا يطاق في معظم الأحيان. ويترتب على هذا الانحلال أن يفقد المريض اهتمامه بمظهره الخارجي وهندامه، فيبدو قذراً رث الثياب. أما عاداته فتتحول بالتدريج إلى عادات تشمئز منها النفس، فقد يتعود المريض أن يشرب بوله، أو قد يخلط كل أنواع الطعام في طبق واحد.

وتتأثر سلامة الحكم على الأمور تأثراً كبيراً سيئاً، وبالتدريج يصبح كلام المريض غير مترابط، فهو يخلط في كلامه، ويتفوه بكلام لا معنى له، حتى يصبح حديثه ما يعبر عنه "بسلاطة من الكلمات"، فلا يمكس فهم ما يقوله، كما أنه يجب على الاسئلة التي توجه إليه بإجابات لا تتفق مع ذهه الأسئلة.

ومع اشتداد الأعراض يضطرب النوم، ويجوز أن يتهيج المريض ويحاول أن يؤذى نفسه أو من حوله.

ولا يمنع كل ما ذكرناه من أن تبقى ذاكرة المريض قوية سواء في تذكر الحوادث البعيدة أو القريبة الوقوع.

أعراض أخرى:

وقد يحدث أن تظهر على المريض بعض أعراض الحصار، أو بعض أعراض الهستيريا كفقد الذاكرة، أو الهذيان، أو القلق والاكتئاب. والقلق والاكتئاب بالذات يدخلان في التكوين العام لصورة مرضى الفصام في أغلب الحالات.

٨ـ العته أو الخبل:

وتستمر أعراض المرض لمدد مختلفة تتراوح بين عدة أسابيع وعدة شهور.
ويجوز أن تهدأ تدريجيا حتى تختفي، ولكنها تعاود الظهور بشكل أوضح بعد مدة من الزمن، وتستمر الحالة هكذا، فتتدهور عقلية المريض بالتدريج حتى تصل أخيراً إلى درجة العته أو الخبل.

ولكن مهما بلغت درجة العتة أو الخبل ولكن مهما بلغت درجة العته أو الخبل في المريض بانفصام الشخصية فإن قدرة الذكاء عنده تظل الطبيعة،**وإن كانت لا تبدو واضحة ملموسة للآخرين.**

ثانياً: الأعراض الجسمية:

وهذه ليست لها خصائص معينة في هذا المرض، ولكن يحدث عادة في الحالات الحادة منه، نقص في وزن الجسم، وفقد للشهية، وضعف في البنية، ووهن وانحطاط في القوة الجسمية. وهؤلاء المرضى يتعرضون في الغالب للإصابة بالسل الرئوى أو الصرع أو نوبات التوتر الهستيرى. أما في الحالات المزمنة من المرض فيميل جسم المريض إلى السمنة.

ثالثاً: حركة المريض:

تتميز حركات المريض بانفصام الشخصية بأنها تكون فجائية. كما تكون فاقدة للنعومة والمرونة اللتين تتصف بهما حركة الشخص العادى. ونتيجة لذلك فإن حركات المريض تكون غريبة وشاذة ولا تمت بصلة إلى الحركات ذات الطابع الجمالى. قد يقف المريض مثلا أمام المرآة ليرى صورة وجهه الذي يحركه بيديه في مختلف الاتجاهات، كما قد يظهر– في أحد نصفي الوجه– حركات تعبيرية، أو تقلصات، أو نوع من اللوازم الغريبة. ولكن عندما يزمن المرض تتخذ حركات المريض طابع الآلية والتكرار كما يحدث نفس الشيء بالنسبة لكلام المريض.

أنواع انفصام الشخصية:

لهذا المرض أنواعكثيرة أهمها ما يأتى:

أولا: الفصام البسيط Simple Dementia

وسمى هذا النوع بالبسيط لأنه لا يكون مصحوباً بظهور التهيؤات أو الهلوسات بدرجة كبيرة.

ويتميز هذا النوع ببطء خط سير المرض. ومن أهم علاماته، الكسل والتراخى، والتنقل من عمل لآخر دون استقرار، والرضى بالحال الذليل، وفقدان الأمل في التطلع إلى حال أفضل، والابتعاد عن المجتمع، وانطواء المريض على نفسه، وشرود ذهنه، وتغير طباعه، وعدم تجاوبه مع تقاليد المجتمع. وقد يندفع المريض في كلام طويل لامعنى له، أو يضحك ضحكا ليس له داع، كما أنه لايهتم بأن يعرف أو يستعمل أفكارا جديدة.

ويصاب المريض بالصداع والأرق، ويفقد شهيته للطعام، وقد تحد له نوبات هسترية، كما تضعف قواه العقلية وتنحط إلى درجة قد تؤدى به إلى البطالة، والتشرد، وأحياناً إلى الإجرام.

وهذا النوع من المرض لا يكون مصحوباً في العادة بالكثير من الهلوسات أو المعتقدات الخاطئة. أما الذاكرة فتبقى قوية سليمة، ولذلك فإن هذا النوع بالذات يصعب على أهل المريض اكتشافه إلا بعد ازدياد أعراضه ووضوحها وضوحاً تاما.

مسرحية إيـفانوف

في هذه المسرحية التي ألفها الكاتب الروسى الشهير الدكتور أنطون تشيكوف، تنفرد بالبطولة شخصية مصابة بهذا النوع من الفصام البسيط. وملخص المسرحية أن أستاذاً مرموقاً بالجامعة يبلغ الثلاثين من العمر، تزوج بعد حب عنيف بإحدى اليهوديات التي قبلت أن تستبدل دينيها بالمسيحية لكي تتزوجه. وتصاب الزوجة "أنا" بمرض السل الرئوى، فينفصحها الطبيب المعالج بالسفر للاستشفاء في شبه جزيرة القرم، ولكن زوجها إيڤانوف يصاب ببعض أعراض أهمها تبلد العاطفة بالنسبة لها فيهملها ولا يكترث بها أو بمرضها. وفي شرح هذه الأعراض يقول إيڤانوف للدكتور لوفوف الذي يعالج الزوجة المصدورة:

"ولقد أتعبنى كل هذا يا دكتور لدرجة المرض. لقد أصبحت عصبياً، سيىء المزاج، فظا، وأصبح عقلي كعقل الحيوان، حتى انني لا أعرف نفس. أصاب كل يوم بصداع شديد، لا أستطيع معه النوم أبداً، كما أحس بضوضاء مستمرة في أذنى، ولم يعد في استطاعتى أن أجد قط مكاناً أنعم فيه بالسلام والسكينة. لا مكان على الإطلاق".

وفي موضع آخر يخاطب إيڤانوف الدكتور لوفوف قائلا:

"إن عقلي مضطرب، وقد استبد بى فتور شديد، فلا أستطيع أن أفهم نفسى ألأو حتى أن أفهم الآخرين،؟ انني كنت أحب أنا حبا عنيفاً عندما

تزوجتها، وأقسمت لها انني سأحبها إلى الأبد، ولكن... لقد مضى على ذلك خمس سنوات وما زالت هي تحبنى... وها أنت ذا أخيراً تخبرنى بأنها في طريقها إلى القبر فلا أشعر نحوها بعطف أو حب بل إن شعورى نحوها هو عدم الاكتراث. إنه أمر يبدو فظيعاً لكل من يراه. انني نفسى لا أفهم ماذا جرى لى".

ويحس إيڤانوف بالكآبة فيحاول أن يرفه عن نفسه بالذهاب إلى منزل لبيديف وهو أحد أصدقائه، ولكن كآبته لا تفارقه حيثما ذهب. وهو يشرح ذلك خلال حديث له مع زوجته أنا المريضة فيقول لها:

"انني أجد البيت ثقيلا لا يحتمل. وعند الغروب من كل يوم أحس بوخزات ألم هائل تنتابنى، ويا له من ألم. لا تسأليني عن السبب فأنا نفسى لا أعرف. أقسم لك بشرفي انني أحس بالكآبة هنا فأسرع إلى بيت لبيديف فلا أزداد إلا سوءاً، ثم أعود لى البيت وأظل مكتئباً طول الليل".

وتخاطبه أنا قائلة:

"انني لا أفهمك.هذا يحدث منذ عام كامل، فما الذي دفعك لهذا التغيير؟."

"فيجيبها إيڤانوف بقوله:

"لا أعرف. لا أعرف. انني عندما أحس بوخز الضمير؟ هذا الألم النفسي، فإن حبي لك يتسرب شيئاً فشيئاً، فأمر هارباً منك. لذلك لا بد لى أن أفر من البيت أيضاً. هذا كل ما في الأمر".

وفي موضع آخر من المسرحية تصف أنا للدكتور لوفوف أخلاق وطبيعة إيڤانوف فتقول:

"لقد تعود إيڤانوف أن يتحدث كما تتحدث أنت تماماً. غير أن له عينين أكبر من عنيك؛ وعندما ينفعل وهو يتكلم، تتقدان كالفحم المحترق. إنه رجل مرموق يا دكتور، ولشد ما أنا آسفة أنك لم تعرفه من "سنتين أو ثلاث. حقا إنه الآن منقبض، منطو على نفسه، ولا يتحدث في شيء، ولا يعمل أي شيء. ولكنه في الماضى.. أوه، كم كان جذاباً جداً. لقد وقعت في حبه منذ النظرة الأولى، فقد نظرت إليه، وعندها كان الفأر في المصيدة. لقد قال لى تعالى معى، وفي الحال قطعت صلتى بكل من أعرف، كما تستأصل الأوراق الميتة بزوج من المصات... ورحلت أما الآن فالأمر يختلف. إنه الآن يذهب إلى بيت لبيديف، ليسلى نفسه مع نساء أخريات، بينما أنتظر أنا هنا في الحديقة كيما أستمتع إلى نعيق البوم"! ويلتقى في حب إيڤانوف في بيت ليديف بابنته ساشا، وهي فتاة ذكية جريئة، تندفع في حب إيڤانوف إلى درجة العبادة، ويحاول إيڤانوف أن يفهمها حالته الغريبة، ويدور بينهما حديث طويل نقتطف منه ما يلى:
إيڤانوف: هذا هو ياساشا. كنت قد تعودت في الماضى أن أفكر كثيراً وأعمل ثيراً، ولم أشعر أبداً بالتعب. أما في هذه الأيام، فأنا لا أفكر في

شيء، ولا أعمل أي شيء. أحس بإرهاق لا يفارق جسمى وعقلي، ثم إن ضميرى يقلقنى دائماً ليل ونهار.

ثم هناك مرض زوجتى، والحاجة إلى المال، والشقاق الدائم. لقد أصبح بيتى بغيضاً إلى. البقاء فيه شر من العذاب. أقول لك بصراحة إنه حتى لك بصراحة إنه حتى صحبة زوجتى التي تحبنى أصبحت لا أطيقها. عزيزتى، إنك صديقة قديمة. وأرجو ألا تزعجك صراحتى. لقد جئت إلى هنا الآن لكي أسلى نفسى، ولكنى على العكس، أحس بالضيق حتى في هذا المكان، وبى رغبة شديدة في العودة إلى المنزل. أرجو منك المعذرة، فسأعود الآن إلى المنزل.

ساشا:: انني أفهم مشكلتك. إنك وحيد. إنك في حاجة إلى صحبة إنسان تستطيع أن تحبه، ويستطيع أن يفهمك. إن الحب وحده هو الذي يستطيع أن يجدد حيويتك.

إيڤاتوف: هل يستطيع حقا يا عزيزتى؟ إن آخر ما يمكن أن يحدث أن يبد~أ عجوز فان مثلى حباً جديداً. لا يا صغيرتى الذكية، ليس الحب هو الذي ينقصنى. إت في استطاعتى أن أتحمل أي شيء. أتحمل القلق والاكتئاب والإفلاس وفقد زوجتى، ولكن هناك شيء لا استطيع أن أحتمله، هو الاحتقار والكراهية التي أحسها لنفسى. انني أكاد أموت خجلا انني أكاد أموت خجلا عندما أفكر في أنى انا، الرجل الصحيح القوى، أنقلب إلى شخصية

مترددة، أو غيرها، من هؤلاء الذين لا يضر وجودهم ولا ينفع. إحساس بالخجل يسكن في داخل نفسى كالكابوس. انني أتعذب.

ساشا: (صارخة من خلال دموعها) إيڤانوف. دعنا نهرب إلى أمريكا.
إيڤانوف: انني أحس بأنى أكسل من أن أنتقل إلى هذا الباب، وأنت تحدثينى عن أمريكا!!

وتعلم أنا زوجة إيڤانوف بعلاقته مع ساشا فيضيف هذا إليها هما جديداً علاوة على مرضها فتقضى نحبها أخيراً.

ويمر الوقت وتزداد الأعراض على إيڤانوف وبالرغم من ذلك فإن ساشا يزداد تعلقها به. وتتم خطبتها لبعضهما. وفي يوم الزفاف تتزاحم الأحداث وتتصل إلى قمتها. وحتى يلم القارىء بكل شيء، فسأنقل له في السطور التالية ملخصاً للحوار الذي دار في بيت لبيديف في ذلك اليوم.

إيڤانوف: عفواً يا سيدى. أرجو منك السماح لى بحديث على انفراد مع ساشا.

لبيديف: ليس من المتبع أن تحضر لرؤية عروسك قبل الزفاف. كان يجب أن تكون الآن في طريقك إلى الكنيسة.

(يخرج)

إيڤانوف: ساشا. انني أغلى من الغضب. ولكننى سأحاول أن أتكلم في هدوء. منذ لحظة عندما كنت أرتدى ملابسى استعداداً للزفاف، نظرت إلى نفسى في المرأة، فوجدت ذلك الشعر الأبيض الذي يعلو جنبات رأسى. وضحى الأمر لأهلك. إنه لن يكون هناك زفاف. لقد آن أن نعود إلى صوابنا.

ساشا: ما الذي جاء بك إلى هنا. إن شكاواك أصبحت مجرد سخرية.

إيڤانوف: لم أعد أشكو بعد سخرية. أجل، انني أسخر منك، ولو استطعت أن أسخر ألف مرة من نفسى، وأن أجعل العالم كله يهزأ منى لفعلت. لقد استرعت انتباهي هيأتى في المرآة، وعندها أحسست بشيء يثقل ضميرى. لقد ضحكت من نفسى، وكدت أفقد عقلي من شدة الخجل (يضحك). في طريقى إلى هنا، ضحكت من نفسى، وكان يخيل إلى، أن الطيور تضحك على، والأشجار كانت تضحك منى أيضاً.

ساشا: ليس هذا غضباً. هذا جنون. هيا هيا. اذهب إلى الكنيسة.

إيڤانوف: إذا مضى إنسان ذكى، متعلم، سليم، في تمثيل دور الرجل البائس بلا سبب واضح، إذا استمر ينزلق وينزلق إلى أسفل التل، فسيظل يهوى دون توقف، ولن ينقذه أحد. أين سبيل الخلاص؟

لم أعد أشرب شيئاً، فالنبيذ يسبب لى صداعاً شديداً. لا أستطيع أن أكتب شيئاً من الشعر الردىء. لا أستطيع أن أتمتع بالحياة.

انني محطم، **محطم**. اسمعى، إن كنت تحبينى حقاً فيجب أن تساعدينى الآن. يجب أن تتركينى. عندما تصبحين زوجتى ستزداد المشاكل تقيداً، ولذا يجب أن تهجرينى الآن.

ساشا: ياله من منطق جنونى غريب. كيف أهجرك. كيف. أنت وحيد، لا أم لك، ولا أخت، ولاا صديق.

إيڤانوف: ياله من منطق جنونى غريب. كيف أهجرك. كيف. أنت وحيد، لا أم لك، ولا أخت، ولا صديق.

إيڤانوف: كنت أبلها إذ جئت إلى هنا. كان يجب أن أفعل ما أريد.

(يدخل لبيديف)

ساشا: ابى (تجرى إليه) ساعدنى بربك. لقد أتى إلى هنا مندفعاً كالمجنون وهو يريدنى أن أهجره، قل له انني لا أريد منه هذا الكرم، وهذه العواطف النبيلة، وانني أعرف ما أفعل.

بيديف: انني لا أفهم من ذلك شيئاً.

إيڤانوف: انني لا أفهم من ذلك شيئاً.

إيڤانوف: لن يتم هذا الزفاف.

ساش: بل سيتم الزفاف. أبى. أبى. قل له إن الزفاف سيتم.

لبيديف: انتظرى. انتظرى. لماذا لا تريد أن يتم الزفاف؟

إيڤانوف: استمع أيها الصديق العزيز القديم. مهما حاولت أن أوضح لك أي نوع من الرجال أنا، سواء كنت شريفاً أم وضيعاً، صحيحاً أو مريضاً بمرض عقلي، فلن تستطيع أن تفهم. لقد تعودت أن أعمل كعشرة رجال، وأن أحمل في نفسى آمال عشرة رجال أيضاً. لقد حملت أعباء مزقت قوأي وقصمت ظهرى.

كنت أفعل كل شيء بل تعقل، والآن في القسوة الحياة.، الحياة التي طالما ناضلتها تنتقم لنفسها منى. لقد أهلكت نفسى. وفي الخامسة والثلاثين أحس انني رجل عجوز. أحس أينما ذهبت برأسى مثقلة، وبروحى كسولة، متعبة، منكسرة، أعيش بلا ثقة، وبلا حب، وبلا هدف. أتجول بين رفاقى لا أعرف من أنا، أو ماذا أريد، ولماذا أعيش. ولذا يبدو لى الحب غباء، وهذه القبلات، وهذا الكلام المعسول، أشياء تافهة. أجد أن العمل لا معنى له، وأن هذه الأغانى وتلك الألفاظ العاطفية، ما هي إلا توافه، وعادات مبنذلة. أينما حللت أجلب البؤس والضجر والكآبة للآخرين. لقد أفلست وتحطمت ولم يعد عندى أمل. ترى كم أهلكت نفسى!!

لا أستطيع أن أقف معتدل القامة.. ولكن ساشا لا تزال عند رأيها في إتمام الزفاف. أما إيڤانوف فيخرج غدارته ويقول لهم دعوني وشأني، ثم يجدرى ويطلق الرصاص على نفسه. وبذلك يسدل الستار على مأساة إيڤانوف.. ولعل القارىء قد لاحظ أن شخصية إيڤانوف كما رسمها الدكتور تشيكوف لا تحتاج إلى إيضاح بعد أن تكلمنا عن مرض انفصام الشخصية بشيء من التفصيل

وعلى المثل الذي يتعرض للقيام بهذا الدور، أن يلاحظ في أدائه له، انعدام التوافق بين كلام إيڤانوف والمظهر الانفعالى الذي يبدو عليه في أثناء هذا الكلام. كما عليه أن يظهر في أدائه اضطراب التفكير واضطراب السلوك، وتفكك الشخصية، والأعراض الجسمية، وحركة المريض، وكلها من أهم الخصائص التي لا يصح أن يتجاهلها الممثل في تمثيله لمثل هذه الشخصية.. وسننتقل الآن إلى ذكر الأنواع الأخرى لانفصام الشخصية بعد أن تكلمنا عن النوع الأول وهي الفصام البسيط واتخذنا له مثلا من شخصية إيڤانوف.

ثانياً: انفصام الحركى "Catatonia"

يظهر هذا النوع من الفصام بشكل حاد،ولذلك فإن أعراضه يلاحظها الجميع. ويتميز المريض بهذا المرض بالعزلة المطلقة عن الناس، وعدم الاكتراث لأي شيء، ثم تتبع ذلك حالة من الجمود والذهول يمتنع فيها المريض عن الكلام والطعام ويجلس صامتاً لساعات طويلة. وقد

يحدث في بعض الحالات أن يأوى المريض إلى فراشه ثم لا يغادره بعد ذلك ليلا أو نهارا.

كما قد يحدث أن يلتزم بوضع معين من الأوضاع لمدة من الزمن، فقد ينام علفي الفراش ورأسه مرفوعة عن الوسادة، أو قد يقف على قدم واحدة رافعاً إحدى يديه في الهواء، أو قد يرفع ذراعيه على هيئة شماعة من الزوار أن يستفيدوا من وضعه هذا.

وعندما يتخذ المريض أة وضع من الأوضاع فإنه يكون صامتاً جامداً غير مكترث لشيء ولكنه بالرغم من ذلك، يكون مدركاً لكل ما يدور حوله حتى أنه يمكنه، يعد انتهاء فترة الجمود، أن يقص كل ما جرى حوله في أثنائها من أحداث.

وقد تعترى بعض هؤلاء المرضى نوبات من الهياج يقومون في أثنائها بحركات غريبة، فقد يمشى أحدهم بخطوات سريعة إلى الأمام ثم إلى الخلف، وقد يلف الآخر ذراعيه في لفات دائرية، وقد يصرخ الثالث منادياً بلفظ واحد يكرره عدة مرات، وقد يرتكب المريض بعض الأعمال العدوانية على الغير في أثناء فترات الهياج.

ثالثاً: الفصام المصحوب بالعقائد الوهمية"Dementia Paranoides"

نبدأ الإصابة بهذا النوع من المرض في سن متأخرة قليلا عن النوعين السابقين. ويتميز هذا المرض بسيطرة بعض العقائد الوهمية على أفكار المريض.

ويختلف نوع هذه العقائد حسب البيئة والوسط الذي يعيش فيه. وغالباً ما تنتمي هذه المعتقدات إلى النوع الاضطهادى، ويبدأ ظهورها بأن تزداد حساسية المريض للمؤثرات الخارجية فيسىء الظن بتصرفات الأشخاص الذين يتعامل معهم. فإذا كان طالباً اعتقد أن زملاءه يعاكسونه أو يتحدثون عنه فيما بينهم وأن مدرسيه يضطهدونه، فتنغص عليه هذه الأفكار والوساوس عيشه، ويضطرب حبل تفكيره، فيضطر للتوقف عن متابعة دراسته.

وقد يصاب بعض المرضى بعقائد العظمة الزائفة. ولكن المعتقدات الخاطئة في حالة الفصام لا تثبت على حال فهي تتغير من حين لآخر. وتغلب على ضحايا هذا النوع من الفصام، الهلوسات السمعية ثم تظهر بعد ذلك باقى الأعراض ويأخذ المرض خط سيره العادى كما سبق أن وصفناه.

رابعاً- جنون المعتقدات الخاطئة الثابتة Paranoia

يصيب هذا المرض الذكور أكثر من النساء، والعزاب أكثر من المتزوجين، ويظهر عادة بين سن الثلاثين والخمسين.

ويتميز هذا المرض بظهور اعتقادات غريبة يجوز أن تكون مقبولة في ظاهرها، ولكنها عند تمحيصها يظهر الزيف فيها، ولا يمكن إثباتها بأية وسيلة.

ولكننا لا يمكن أن نقنع المريض بخطأ هذه المعتقدات مهما بذلنا من مجهود ومهما قدمنا له من الأدلة الواضحة. وأهم خصائص هذا المرض ما يأتي:

١- يتخذ المرض خط سير بطيء.

٢-الاعتقادات الخاطئة في هذا المرض اعتقادات ثابتة لا تتغير.

٣- يؤمن المريض إيماناً مطلقاً بصحة معتقداته.

٤- لا يبدو على هذه المعتقدات الخلط أو الاضطراب، بل هي معتقدات مرتبة منظمة، يلبسها المريض كساء ظاهريا من المنطق.

٥- تتسلط هذه المعتقدات على عقل المريض لدرجة أنه يستجيب لها بكتابة الشكاوى والعرائض، أو بكتابة الخطابات، أو بارتكاب جرائم القتل أو الإيذاء.

٦- تقل الهلوسات أو تنعدم في هذا المرض، ويحل بدلا منها كثير من التفسيرات الخاطئة التي يحاول المريض أن يحاول المريض أن يستخدمها لإقناع من حوله بصحة معتقداته.

٧- لا يظهر على المريض- فيما عدا الاعتقاد الخاطىء- أي شيء من اضطراب التفكير، أو الإرادة، أوالتصرف، فهو يظهر كأنه في كامل قواه العقلية، ونراه يأكل وينام كأي شخص سليم، ولا يتفوه بألفاظ غريبة، ولكنه يبدو عليه عادة الحرص والمكر. وإذا بدأنا في مناقشته. سرد لنا قصصاً غريبة من نسج خياله تدور كلها حول ذاته، واضطهاد الناس له، أو تقديرهم لعظمته، ويأخذ في سرد الأدلة والوقائع التي لا يقبلها العقل لكي يبرر بها تصرفاته.

٨- يتمتع المرضى بهذا المرض بذاكرة قوية في قص الحوادث والذكريات التي تهمهم، وتدور حول حالتهم، وكثيراً منهم يسرد الأحداث التي وقعت له، والأقوال التي قيلت له في تواريخها وأوقاتها بالضبط، مع شيء من الزيادات والتحريف الذي تمليه عليه مخيلته. ويفعل المريض كل ذلك كأنما يقرأ مذكرات مكتوبة.

٩- وهؤلاء المرضى يقبلون علىالحياة، وذكاؤهم العام لا بأس به، حتى أن بعضهم قد ينبغ في الألعاب التي تحتاج لمهارة خاصة. وتختلف الاعتقادات الخاطئة وتتعدد من مريض لآخر، وأهم أنواعها:

أولا: النوع الاضهادى:

وهو الأكثر شيوعاً. وفيه يشكو المريض أن كل من حوله يضطهدونه، ويتكلمون عنه بالسوء إليه أنهم يحقرون من شأنه، أو يفعلون أشياء لإلحاق الضرر به. وهو يعتقد جازماً أنهم يتعقبونه، ويتكلمون عنه، وربما أدعى أنه

يسمع شتائمهم وسبابهم. وقد يعتقد المريض أحياناً أنهم يدسون له السم في الطعام، أو يتربصون لإيذائه. وقد يصل به الأمر إلى درجة أن مجرد تقطيع عارض للملابس، أو صوت آلة للكتابة، أو قفل باب، أو مرور جندى بوليس، قد يتخذه دليلا على مؤامرة تدبر ضده.

وتظل الاعتقادات الخاطئة تتسع حتى تشمل مجموعات من الناس، فقد يعتقد المريض مثلا أن حزبا معيناً، أو هيئة معينة. لا هم لها إلا الإضرار به، وفي هذه الأحوال يبدأ المريض عادة في الاستجابة لهذه المعتقدات بمحاولة الانتقام ممن يضطهدونه، وهو في ذلك قد يسلك إحدى سبل ثلاث:

(ا) قد يلجأ إلى كتابة الشكاوى والعرائض لمختلف الجهات طالباً حمايته من المؤامرات المزعومة، وقد يلجأ إلى خطابات التهديد يرسلها إلى أعدائه الوهميين.

(ب) قد يحاول الاعتداء على مضطهديه الوهميين، وذلك بإطلاق الرصاص عليهم، أو يرميهم بالقنابل، أو بمحاولة ضربهم.

(ج) أو قد يغادر البلدة التي يعيش فيها، ويأخذ في التنقل من مدينة لأخرى، وقد يلبس ملابس تنكرية، لكي لا يعرفه أحد، وهو يفعل ذلك هرباً من مطارديه الوهميين.

ثانياً: عقائد العظمة:

وهنا يتقمص المريض إحدى الشخصيات الكبيرة، فنراه يعتقد إنه رسول من عند الله لهداية الناس، أو أنه حاكم الكون، أو أنه ملك الأرض. ومستشفيات الأمراض العقلية مليئة بالكثير من هذه الشخصيات، وخصوصاً من يدعون الألوهية، أو النبوة.

ثالثاً: عقائد الغيرة:

وهذه كثيرة الشيوع في الرجال،وخصوصاً مدمني الخمر حينما يصابون بضعف جنسى. فهؤلاء الرجال يصعب عليهم الاعتراف بالأمر الواقع، فيعكسون مرضهم على زوجاتهم، ويتهمونهن في عفافهن، فتصبح الحياة الزوجية حجيما لا يطاق، غذ تكثر ظنون الزوج الذي يحيط تصرفات زوجته بالشك والذي غالباً ما يخيل إليه أن أشخاصاً آخرين يترددون على منزله. وغالباً ما تؤدى هذه المعتقدات إلى حوادث وخيمة العاقبة.

رابعاً: العقائد الاكتئابية:

وهذه تشبه المعتقدات التي تتسلط على المريض بالهوس الاكتئابي في مرحلة الاكتئاب. غفقد يعتقد المريض إنه ارتكب لأعظم خطيئة في العالم لا يمكن غفرانها.

خامساً: المعتقدات المرضية:

وفي هذه الحالة يعتقد المريض بوجود طن من الرصاص في معدته مثلا، أو يعتقد بوجود ملائكة تتارع داخل بطنه، أو أن ليس له بطن أو عدة.. وهلم جرا..

سادساً: ويوجد نوع آخر من الاعتقاد الخاطيء يتميز به أحياناً من يسمى "بالمجنون المشاكس" والذي يكون خطراً حقيقيا على التجمع.

ولسوء الحظ، كثيراً ما يكون من الصعب اكتشاف المرض عند هؤلاء الأشخاص.

والمرضى من هذا النوع يكتبون عرائض وشكاوى مطولة إلى الجهات المسئولة، تحمل اتهامات ضد الشخصيات الكبيرة في المجتمع، وهم لا يترددون في اختراع أدلة الاتهام وتزييفها، وهم في أغلب الحالات بارعون في ذلك.

فقد تتهم سيدة مريضة بهذا المرض شخصاً محترماً له مكانته، تتهمه بمحاولة إفسادها، أو الاعتداء عليها، مع ذكر كل التفاصيل التي تدينه، مما قد يكلف الشخص المتهم البريء، سمعته وماله ومركزه، نظراً لأن الجمهور يتقبل، لسوء الحظ، كل الاتهامات التي من هذا النوع، بصدر رحب. ويعتبر الحاكم بأمر الله من أهم الشخصيات التاريخية التي كانت مصابة بنوع من جنون المعتقدات الخاطئة الثابتة وهو جنون العظمة. وقد تناول سيرته كثير من الكتاب المسرحيين مثل إبراهيم رمزى وعلى أحمد باكثير. ولكي يمكن للقارىء أن يتتبع مسرحية إبراهيم رمزى، عن الحاكم بأمر الله فسنبدأ بذكر بعض الحقائق التاريخية الثابتة عن سيرة هذا الخليفة.

نبذة تاريخية عن الحاكم بأمر الله

تولى المنصور أبو على الملقب بالحاكم بأمر الله، وهو من حكام الدولة الفاطمية، حكم مصر عام ٩٩٦ ميلادية. وحدث في عام ١٠٠٥ ميلادية، أن رجلا من بنى أمية يدعى (الوليد بن أبى ركوة) أتى من الأندلس زاعماً أنه من سلالة هشام بن عبد الملك بن مروان، ودعا الناس إلى مبايعته بالخلافة فانضم إليه كثيرون، فأرسل الحاكم جيوشه لقتاله فهزموهم أبو ركوة في برقة وتسلمها ودخل الديار المصرية حيث كسر جيوش الفاطميين في الجيزة، وتوغل في الصعيد. واستمرت الحروب بينه وبين جيوش الحاكم، حتى انجلت عن هزيمته وفراره إلى النوبة، فطاردته جيوش الحاكم وقبضت عليه وأتت به إلى القاهرة حيث أمر الحاكم بقتله. وكان الحاكم طاغية ظالماً، وقد تولى الخلافة مدة ٢٥ عاماً لم تكن تسكن فيها الفتنة حتى تشب الأخرى، وهو أول خليفة فاطمى اتخذ بوليساً سريا وجواسيس من الرجال والنساء.

وكان يعقد مجلسه في الليل ويطوف القاهرة على حماره ليلة بعد ليلة متجسساً على رعاياه، وقد سن لهم قوانين صارمة في المأكل والشرب، وحرم تعاطى الخمور واللهو والمقامرة، نهي النساء عن الخروج من منازلهن، وكان يعاقب بالقتل أو بالتعذيب الأليم كل من يعصى أوامره. واتفق أنه رأي يوماً امرأة في زقاق فاتقد غضباً، وقبض عليها فإذا هي تمثال من ورق، فزاد به الغضب، وأمر رجاله من السودانيين بإحراق المدينة، فهب

أهلها دفعة واحدة إلى السلاح، وقاتلوا السودانيين ثلاثة أيامخ أحرق خلالها نصف الفسطاط، وأسرت من النساء كثيرات، ونهبت البيوت. ولم يصبر الأتراك على اعتداء السودانيين فاتحدوا عليهم مع الكتاميين (والكتاميون هم قوم من العرب أصلهم من كتامة وكانوا من ضمن الذين استوطنوا مصر) وحاربوهم وهزموهم.

ورأت "ست الملك" أخت الحاكم جور أخيها وارتباك أموره ونصحت له بأن يعتدل، فلما قابل نصحها بالاعراض، انضمت إلى أعدائه. وكان الحاكم في السنوات الأولى من خلافته قد ترك لرعاياه الحرية الدينية التامة، ولكنه بعد فترة من الوقت، اضطهد اليهود والنصارى، ثم ادعى الألوهية واضطهد الإسلام وزجر الناس عنه وجامل النصارى رغبة منه في إضعاف شوكة ٠المسلمين، واتخذ شيعة جديدة وأشياعاً أصفياء أشهرهم حمزة ودرزى، وقد آمن فريق بشعته، وقاومها آخرون وانتهي الأمر بوقوع ثورة دينية، قتل فيها كثيرون من دعاته. وأراد المسلمون قتل درزى. ففر إلى قرب جبل لبنان حيث نشر الدين الجديد، والتف حوله أتباع يعرفون حتى اليوم بالدروز.

وفي عام ١٠٢١ ميلادية قتل الحاكم على طريق المقطم ولم يعثر أحد على جثته، وإنما وجد بعضهم ثوبه وفيه آثار عدة طعنات، فقال أشياعه إنه انتقل عن الدنيا وسيبعث حيا، وقال غيرهم إن أخته قتلته بالاتفاق مع قائد من بنى كتامة يدعى "ابن دواس".

وقد تعرض الكاتب إبراهيم رمزى في مسرحيته "الحاكم بأمر الله" لحياة الحاكم منذ ادعائه الألوهية حتى مماته. وقد رسم شخصيته على أساس أنه يعانى من المرض العقلي المعروف باسم جنون العظمة وهو أحد أنواع جنون المعتقدات الخاطئة الثابتة. وسنحاول في السطور التالية، تلخيص هذه المسرحية مع الإشارة بنوع خاص إلى كل ما يتعلق بشخصية الحاكم بأمر الله.

مسرحية الحاكم بأمر الله

تأليف المغفور له إبراهيم رمزي

تدور حوادث الفصل الأول من هذه المسرحية في بستان الفصر الغربى الذي تقطنه "ست الملك" أخت الخليفة "الحاكم بأمر الله". ويتبين لنا أن "الوليد بن أبى ركوة" قد قام بالثورة ضد الحاكم بأمر الله وأنه أرسل إلى مصر أحد أعوانه المسمى "حسن الأخرم" ليكون جاسوساً له يوافيه بأخبار الخليفة.

ويدور حديث بين حسن الأخرم وبين تلميذه "هرزق" نفهم منه أن حسن الأخرم قد اعتزم أن يدخل في روع الخليفة – الذي يدعى على الغيب– أنه إله ولا إله سواه، وأنه إذ يفعل ذلك إنما يطمع في أن يبلغ من نفس الحاكم منزلة عالية تعينه على التأثير عليه بالتخلص من "الفضل بن عبد الله" أمير أمراء الجند وقائد الجيش الذي يحارب أبا ركوة.

وتبعث "ست الملك" أخت الخليفة برسالة إلى الفضل بن عبد الله عن طريق وصيفتها "سلمى"، ولكن الرسالة تفقد من سلمى وتقع في يد حسن الأخرم الذي يقرأ محتوياتها على مهل:

"قرة عينى الفضل. إذا انتصف الليل وتوسط القمر في صدر السماء فوافنى عند كرمة الملتقى. إياك أن تأتى قبل ذلك لئلا يلتقى بك الخليفة

في طريقه إلى الغار، ولا يمنعك عنى مانع فإن ولدنا في خطر وأريد أن أسر إليك أمراً ذا بال، ست الملك".

ويعلم حسن الأخرم من الرسالة بسرؤ العلاقة بين ست الملك والفضل بن عبد الله ويتخذ قراره بأنه إذا لم ينل مأربه، وهو إبعاد الفضل عن قيادة الجيش، بالسلم، فإنه سيقدم رسالة ست الملك إلى الخليفة وحينئذ سيأمر الخليفة بقتل الفضل وينتهي الأمر.

ويدخل الحاكم بأمر الله فيقف حسن ساكناً ويديه على صدره، ويدور بينهما الحوار التالى:

الحاكم: من ذا أرى؟

حسن: السلام. فليأت السلام منك يا مولانا وليرجع إليك. أنت المبجل الممجد يا سيدنا المتعالى، لك المجد والكرامة.

الحاكم: من أذن لك بالدخول في حظيرتنا؟

حسن: أذن لى واحد أحد له الأسماء التسع: العلى والبارى والموئل والقائم والمعز والعزيز وأبو زكريا والمنصور جل وعلا.

الحاكم: بخ.بخ. هل آن للناس أن يرشدوا؟ أين كان ذلك؟

حسن: في مدينة تشمارتس من أعمال الهند، وفرغانة من أدنى سمرقند. جاءنى إذ أنا راقد في خلوة الاستعراف هاتف ربي يدعوني إليه ثم

ناداني. يا حسن يا أخرم. يا ولى فرغانة من أدنى سمرقند. ..
جاءني إذ أنا راقد في خلوة الاستعراف هاتف ربي يدعوني إليه ثم
ناداني. يا حسن يا أخرم. يا ولى فرغانة ومأمول غانة، قم إلى
مهبط القدس ومنزل الروح في القاهرة.

الحاكم: أأنت ولى فرغانة؟

حسن: استغفرك وأسترضيك، فقد أكبرت الرسالة على واستعظمتها على
خشعي.

الحاكم: إنا قد شرحنا لك صدرك ووضعنا عنك وزرك واخترنالك للرسالة.

حسن: دينك دين السلام يا سابع الأسبوعين[1]، ورب الملكوتين.
الحاكم: يا حسن يا أخرم، قم إنك وليى ورسولى إلى قوزم لا
يعقلون. قم وادع إلى العلا والفلاح، فمن نجا فقد نجا فقد نجا ومن
عصا فقد استعصى.

حسن: اللهم إنك تهدى من تشاء وتضل من تشاء، أنت الميجل الممجد
يا سيدنا المتعالى، لك المجد والكرامة.

ويتوجه الحاكم بعد ذلك وخلفه حسن وتلميذه هرزق إلى الغار الذي
اعتاد الحاكم الذهاب إليه عند حلوان.

---

[1] يفهم من سياقمن سياق المسرحية بعد ذلك، أن سابع الأسبوعين معناها مشرع الشريعيتين

وتدخل ست الملك وعلى ذراعها طفلها حسين، ويتقابل معها الفضل بن عبد الله مصادفة. ونفهم من حديثهما أن الخليفة قد أمر الأمير "سيف الدين ابن الدواس" زعيم العرب الكتاميين بالذهاب إلى الشام ليعود بالعرب الكتاميين إلى مصر ليعزز بهم جيشه الذي يحارب أبا ركوة. وتفاجئهما في خلوتهما "راشدة" زوجة الحاكم فتعفنهما على اختلائهما ببعضهما البعض في قصر الخليفة. ولكن الفضل يخبرها بأن ست الملك هي زوجته منذ سنين، وقد عقدت له عليها أمها قبل وفاتها بعام، ولم تشأ أن يكون ذلك بعلم الخليفة، مخافة ألا يرضيه الأمر فيقصيه عن القصر، ومع ذلك فقد استحلفت ابنها يوم وفاتها أن يزوج الفضل من ست الملك وألحت عليه حتى أقسم. وعلى الرغم من القسم الذي أداه الخليفة لوالدته فإنه لا يزال يماطل في عقد هذا الزواج. ويتوسل الفضل وست الملك إلى راشدة أن تساعدهما وأن تحمل الخليفة على تعجيل يوم الزفاف فتعدهما بذلك.

فإذا كان الفصل الثانى علمنا أن الحاكم قد آمر بالقبض على الفضل، وعلمنا كذلك أن "فيروز" خادم ست الملك قد ذهب إلى الغار الذي يزوره الحاكم فوجد مع الخليفة رجلين، فانتهز فرصة قيامهما لتوديع الخليفة وفتش جرابهما، فلم يجد به الرسالة المفقودة (رسالة ست الملك إلى الفضل والتي ذكرنا نصها في الفصل الأول) وإنما عثر على أوراق خطيرة نثبت أن حسن الأخرم جاسوس لأبى ركوة. ويقبل حسن الأخرم ليبحث عن أوراقه المفقودة، ويدور بينه وبين ست الملك حديث يتعاهدان في أثنائه على أن ترسل ست الملك عبده فيروز ومع الأوراق المفقودة الخاصة

بحسن الأخرم إلى خان أبي صالح حيث يقيم الأخير، مقابل أن يستلم فيروز من الأخرم رسالة ست الملك.

ويدخل ابن الدواس، ونفهم من حديثه مع ست الملك أن الخليفة قد أمر باعتقال الفضل خشية من اقترانه بست الملك، إذ أن الفضل أمير الجيش وست الملك محببة إلى كل قلب في مصر فإذا اقترن الاثنان، فإنه لا يدهش الناس أن يصبحالفضل بن عبد الله الخليفة على مصر. ونفهم أيضاً أن ابن الدواس يحقد على الحاكم الذي قتل عمه وقتل زعيم السنيين، وسجن الدواس يحقد على الحاكم الذي قتل عمه وقتل الزعيم السنيين، وسجن بطريق اليعاقبة، وقتل علماء الدولة، والذي حرم على الناس أكل الملوخيا، والقرع، والجرجير، والسمك الذي لا قشر له، ظناً منه أنها تؤذى المعدة السليمة، كما تؤذى معدته، والذي أمر كذلك بسبب الخلفاء الراشدين على المنابر وهدم المساجد والكنائس بلا سبب إلا رعونته وتعاليه في ادعء العظمة.

ويخبر ابن الدواس ست الملك بأنه اعتزم قتل الحاكم، فتحاول أن تثنيه عن عزمه، ولكنه يخبرها بأن قتل الخليفة هو الحل الوحيد لإنقاذ الفضل وإنقاذ ابنها. ويخبرها كذلك بأن رسالتها التي فقدت منها قد وصلت إلى يده عن طريق أبي صالح صاحب صاحب الخان الذي ينزل به حسن الأخرم.

وتتسلم ست الملك الرسالة وبينما هي تحرقها يدخل الحاكم مهرولا ويدور بينهما الحوار التالي:

الحاكم: أنا سابع الأسبوعين. أنا سابع الأسبوعين. ماذا تحرقين؟
ست الملك: أردت أن أزجر الشيطان عن هذا القصر فأحرقت تعويذة منه.

الحاكم: ها. شياطين الجن أم الإنس. أمضيت التعويذة أيضاً؟ لا أرى أثراً للمداد. أكتتبها بماء قراح؟ ولكن لى عينا ترى من وراء الغيب. ألست علام الغيوب؟.

ست الملك: ويلاه: ماذا تقول؟ إنه لا يعلم الغيب إلا الله.

الحاكم: أنا لله. أنا سابع الأسبوعين. لماذا لا تسجدين أيتها المرأة.

اسجدى واركعى.

ست الملك: إنى لا أركع إلا لربى وربك. ماذا دهاك أيها الأخ؟

الحاكم: لست لك بأخ. لست من أبيك.

ست الملك: ويلاه!

الحاكم: ولا من أمك. أنا لم ألد، ولم ألد، ولم يكن لى كفوا أحد.

اجثى أيتها المرأة في حضرة صاحب الأسبوعين، ألا ترين أن رأسى ثقيل؟

ست الملك: بلى.

الحاكم: إن رأس الإله حل به. اركعى لرأس الإله. اركعى أيتها المرأة (يجرها بشدة لتركع).

ست الملك: (تركع) اللهم إنى أجثو لك وأركع، وإليك أشكو وأجزع، إلا ما نجيتى من الظالمين.

الحاكم: من هم الظالمون حتى أنصفك؟

ست الملك: إنما أدعو الله لا ادعوك.

الحاكم: ألا تؤمنين بى ايتها الكافرة.

راشدة: حسبك يا مولأي. ماذا تفعل؟

الحاكم: أنا سابع الأسبوعين.

راشدة: ماهذا؟

الحاكم: ولا أسبوع بعدى. ألا ترين عنقي قد انك تحت هذا الرأس الكبير؟ إنه يحوى رأس الإله.

راشدة: ويحى ماذا أرى.

الحاكم: الحاكم بأمره، المتصرف في عباده، القادر المقتدر، العظيم الجبار، سابع الأسبوعين.

راشدة: مولأي. إن أبا ركوة بالباب فاصرف عنا أذاه بقدرتك وعظمتك ورده عنا بجبروتك وأسبوعك.

الحاكم: من بالباب؟

راضشدة: الوليد أبو ركرة. ألم يبلغك أسر قائدة إينال؟

الحاكم: إينال أسر؟!

راشدة: وقتل بعد ذلك.

الحاكم: وقتل؟!

راشدة وأسر نصف الجيش.

الحاكم: والنصف الثاني؟

راشدة: قتل.

الحاكم: ويلاه!

راشدة: ألا تستطيع ياذا الجلال والإكرام أن تقمع عبيدك؟

الحاكم: سأفعل.

راشدة: كيف تفعل وقد انقضالقواد من حولك وتشتت الجند وانضم إليه بنوقرة، فملك الأسكندرية.

الحاكم: ملك الأسكندرية!!

راشدة: نعم. وانضم إليهع بنو قريظة في الصعيد فملك بهم الفيوم.

الحاكم: والفيوم أيضاً!!

راشدة: وجاء بجيوش عدد الرمل إلى الجيزة، وعما قريب يدخل هذا القصر يقتلنا واحدة بعد أخرى أمام عينيك، إشفاقاً علينا أن نرى مصرعك الرهيب.

الحاكم: ويلاه! ومن ذا أخبرك بهذا أيتها المرأة؟

راشدة: أخبرنى به كاتبى الأستاذ مسرور، وهاهو الآن في الرحبة الأولى.

الحاكم: على به. على باللعين. الوليد أبو ركوة يريد انتزاع الخلافة منى. ألا الأمويون يكيدون لأبناء فاطمة وعلى؟ ويلهم، لست من أبناء فاطمة ولا من أبناء على. ماهولى. إنما أنا رأس الله وروحه أحل فيمن أريد، أو قد أحل به شيطاناً، بلى، أين حسن الأخرم ورسولى ونبى الكريم؟ سأنزل على يديه جدائل النار وشظيا من الحديد البتار.

راشدة: كفي يا سيدى وعيداً. إن العدو بالباب.

فيروز: الأستاذ مسرور.

الحاكم: على باللعين.

مسرور: مولأي.

الحاكم: لماذا تذعر الجارية بنبأ مكذوب؟

مسرور: أستعيذ بالله من الكذب.

الحاكم: تستعيذ بي من الكذب وتكذب على!

مسرور: مولأي. ما كذبت. أنا كنت في أراقب قطع الكروم والأعشاب التلأي أمر مولانا بقطعها، فجاءنا أهل قرية بجوار الأهرام فارين من أبي ركوة وجنوده، إذ نزلوا وشتتوهم وقد علمت أنهم أخذوا يمنعون العبيد من إلقاء الزبيب والعسل في الماء كما أررنا مولانا.

الحاكم: ثم لم تستطع أنت بدعواتك العشر أن تردهم. لماذا لم تستغث بجاهنا وقدرتنا وأسبوعنا.

سرور: نسيت. نسيت يا مولانا.

الحاكم: إنك أضعت فرصة النجاة، أيها الخائن. خذه للسياف يا فيروز (يأخذه فيروز وتدخل راشدة).

راشدة: ماذا جنى الرجل يا مولاي.

الحاكم: أكنت تسمعين؟

راشدة: نعم. خفت أن يحمله غضبك على تبديل كلماته.

الحاكم: أرأيت كيف كان الرجل يكذب؟

راشدة: كيف ذلك يا مولاي؟

الحاكم: إن كان أبو ركوة اللعين قد دخل الجيزة فقد دخلها ظاهراً لا باطنا.

راشدة: ويحى. أهي مسألة فقيهة يا مولأي؟

الحاكم: إن كان أبو ركوة اللعين قد دخل الجيزة فقد دخلها ظاهراً لا باطنا.

راشدة: ويحى. أهي مسألة فقهية يا مولأي؟

الحاكم: ألك تعقيب على كلماتى؟

راشدة: كلا. وإنما يحزننى أن أمر الخليفة لا ينفذ فقد فر السياف.

الحاكم: فر السياف!!

راشدة: وفر كل من كان في القصر من الجنود وأصبحنا نخشى على حياتك أنت.

الحاكم: أأنا مقتول عما قريب؟ ويلاه. ماذا أفعل. دبرينى يا راشدة. أكذا يخذلنى قومى؟ أكذا يخوننى جندى؟ على بالجند. على بالرجال. على يحسن الأخرم. أكذا ينقضون عهدهم معى؟!

راشدة: لاغرو أنك لم تبق منهم شعباً على ولائك.

الحاكم: أين ستالملك. لعلها تستطيع أن تسترضى الأتراك (يناديها) ست الملك. ستت الملك تعالى يا ست الملك.

ست الملك: أخى..

الحاكم: دبريني يا أختاه.

راشدة: كيف تصلح يا مولاتي ما أفسدت منذ أعوام؟ إنك لم تبق أحدا من قوادك على ولائك فلا عجب إذا خذلوك. وهذا أمير الأمراء دفعك جبروتك إلى اعتقاله

الحاكم: إني لم أعتقله. إني بعثته إلى الشام في طلب الكتاميين.

ست الملك: هذا غير صحيح.

الحاكم: أقسم بالله. أقسم بنفسي.

ست الملك: لا تقسم بالله كذباً أيها الخليفة.

الحاكم: أنا لم أعتقله.

ست الملك: كلا وإنما أمرت أن يعتقله سوالك.

الحاكم: ولكن ما أردت قتله.

ست الملك: وهل تعتقل إلا من تريد قتله؟

الحاكم: نعم. بلى. كلا.

راشدة: انظر . قضى الله إلا أن يظل الفضل في قصرك لتكون له يد علينا وعليك.

الحاكم: إنه اعتقل بأمرى. ألم يعد فيروز بعد

فيروز: مولأي.

الحاكم: لمن أسلمت الأستاذ المحنك؟

فيروز: لم أجد بالقصر أحداً فأودعته السجن فهو يرافق الأمير فضل بن عبد الله حتى ينفذ الأمر فيهما.

الحاكم: ويحك. مالك ولهذا. على بالفضل، لماذا تنظرين إلى هذه النظرة؟
راشدة: كيف تعتذر إليه يا مولأي عن اعتقالك إياه؟ كيف تملك أن يراك وقد أقسمت لوالدتك يوم اصطفاها الله إلا أن تزوجه من ست الملك جزاء حبه لك ووفائه لدولتك؟ ألم يمض على وعدك عام كامل لم تكن فيه لتفكر في الوفاء بوعدك؟ ألم تخبرني أنك لا تؤيد هذا الزواج؟

الحاكم: أقصرى عن الكلام يا راشدة.

راشدة: كيف أقصر وأنت مفقود الحجة أمامه. أليس لك في ذلك صغار أيها الخليفة العظيم الشأني

الحاكم: ويحك . إني سأستغفره.

راشدة: ويحي ويحي . لماذا عملا يلتزمك المعذرة بل كيف يغفر لك الفضل بعد ما كان؟

الحاكم: ليس لي سبيل إلا هذا.

راشدة: إذن فقد وطنت نفسك على الصغار.

الحاكم: سأعده بإتمام العقد يوم تفرج عنى هذه الكربة.

راشدة: يا للصغار. يا للصغار.

الحاكم: أمسكى. هاهو قد جاء.

فيروز: مولأي. لقد طلبت الفضل وقد جاء.

راشدة: أرني كيف يكون جلال الملك وقيمة القسم وشرف الوعد، ولا تكن حرباً على نفسك. إني ذاهبة (تخرج ويدخل الفضل مقيدا).

الحاكم: مرحباً بالفضل مرحباً. ماذا برجليك. قيد! من ذا حملك عليه؟!

الفضل: حملني عليه ثقتي بك واعتمادي عليك.

الحاكم: ها. وهل خاب ظنك في عفونا؟

الفضل: كيف تسدي العفو يد المجرم؟ ماذا جنيت إذ جئتك مستعداً للرحيل في طلب جيش ليست لك يد عليه إلا يدى؟ هل كان خضوعي لك ورضائي بالتنقل في خدمتك إلا حبا لك وولاء واحتفاظاً بعهد أبيك الجليل وأمك النبيلة؟

الحاكم: ما أجرمنا. ولكنا أردنا أن نسير غورك فصدق ظننا بك وعفونا عنك.

الفضل: اه. حسبك أيها الخليفة. أقسم بالمروءة لم تكن في قلبي حفيظة عليك ولا مقت لك حتى أعلتني بعفوك هذا. هنا بدأ مقتي لك وغضبي عليك. لقد كنت أرجو أن يغمض جفني إغماضاً لا بصر بعده، حتى لا تقع عينى على عينك. أما وأنت تلوح لى بما تسميه عفوا، فإنك تقيدنى إلى حياة لا أتمثل فيها إلا نصب الخيانة ونكران الجميل. لعمري لئن كان ولائي لم يبد لك في سنين عدة قضيتها في إرضائك أنت أيها الخليفة، الذي أغضبت الله والخلق، لقد كانت مصيبتى فيك حقا عقاباً من اللى لي على معاونتى إياك وجزاء وفاقاً على أني استبقيت ملكك في هذه الأمة اليتيمة.
الحاكم: ويحك. ويحك. ماذا تقول.

الفضل: إن كان يسوءك هذا ويطيش بروعك حتى لتنفذ قضاءك في أنا...
أنا السد الذي وقفت حائلا بين هذه الأمة وبينك، فحسبى إذ أقتل أن أفتح لها باباً عليك وحسبى أن ألاقى عقابى في الدنيا قبل جزائى في الآخرة، إذ كنت في الدنيا نصيراً للظالمين.

الحاكم: أأنت تمقت الحياة يافضل؟

الفضل: كلا، وإنما أمقت حياة لا مفر منك فيها لقد كان لي في الأرض عنك سعة، لولا ما أسخطت العالم في إرضائك. لقد كان في مقدورى أن أنزع الخلافة عنك ألبسها غيرك فسبقت كلمة الفضل إلى أبيك وأمك أن أحفظها لك فبررت بقسمي.

ويحي ويحي.

الحاكم: ويلاه. ويلاه.

الفضل: ما أردت لك الحياة وإنما أردت أن تطول آلامك أنت أيها الخليفة الظالم. أردت لك البقاء لأريك كيف كان إخلاصي لك.

الحاكم: هل من معذرة يا فضل؟ألا تشفق على رفيق صباك؟. كم ذا جلسنا بين يدى أبي، نمرح ونلعب حتى كأننا إخوان بل نحن كذلك الآن.

الفضل: إنما العفو بيد الله وهذا الشعب.

الحاكم: لقد عفا الله عنك يافضل. ألا ترى أني كنت عميا عن إخلاصك أبد سنين عدة؟ أفما كان حرمانى من اغتياطى بكرم نفسك وارتياحي إلى رؤيتك عقاباً يمحو إذ خفت على عرشي منك فاعتقلتك؟

كذلك الملوك يا فضل كثيرمو الهواجس والظنون. يا فضل، إن

العدو بالباب وقد انفض القواد من حولى، وأرى انني هالك عما قريب، فناشدتك المروءة إلا ما حميت هذه الدولة كما حميتها من قبل، وثق أني كنت مغتبطاً لما ألقيته على الآن، فما كان إلا صوت الإخلاص وغناء المودة والوفاء.

الفضل: لقد تنكر الدهر لي ولك يا منصور وكسرت زجاجة قلبي وقلبك فاقتلني حتى نزج في لحد واحد.

الحاكم: لحد واحد. أمقتول أنا. ويلاه. ألا أملك إلى قلبك شفاعة.. تعالي يا ست الملك. ادعها يا فيروز، لعهلها أقدر مني على الضراعة. ست الملك.

الفضل: كيف تبدو ست الملك لعبد حقير.

فيروز: تقول سيدتى إنها لا تملك الظهور ولكنها ترجو.

الحاكم: تعالى أيتها الأخت. الفضل مني وأنا من الفضل. تعالي يا راشدة.

اشفعا لى عند الأمير (تدخل ست الملك وراشدة وتتأثر ست الملك من مرأي فضل).

ست الملك: مولأي.

الحاكم: ألا تشفعين لى عند الفضل؟ لقد أوصاه أبوك بك، وها هو الآن ينفض يده منك ويسلمك للعدو. اشفعى لى لديه، تكلمى يا أختاه. لماذا تبكين؟

الفضل: (يبكى) يا الله!

راشدة: (للحاكم) مولاي. لماذا لا تجمع بين قلبين. هذا عفو وذاك رحيم (تبكى).

الحاكم: تعالى يا ت الملك. لا تبكى. ليكن هذا عهد لكما وقراناً، وليكن زفافك إليه يوم يأتاينى بأبى ركوة أسيراً.

فإذا كان الفصل الثاثل فنحن في ردهة القصر المزينة استعداداً لزفاف ست الكلك إلى الفضل بن عبد الله الذي انتصر على أبي ركوة وأخذه أسيراً.

ويدخل إلى الردهة حسن الأخرم وتلميذه هرزق، ونفهم من حديثهما معاً أن الأخرم يحقد على الفضل حقداً شديداً، وهو يرى في زواجه من ست الملك كارثة كبرى بالنسبة له إذ أن ست الملك والفضل لا ينسيان له سرقته لرسالة ست الملك، ولكنه لا يزال يملك سهماً أخيراً، إذ أنه في الليلة التي حصل فيها على رسالة ست الملك تناول بيضاء بللها قليلا ثم لصق الراسالة عليها. وبعد هنيهة فصل الورقتين إحداهما عن الأخرى، فإذا الرسالة قد انطبعت على الورقة البيضاء، وبذلك أصبحت لديه نسخة من الرسالة ولكنها مقلوبة الخط. وقد استقر عزم الأخرم على أن يلقى بصورة

الرسالة هذه في مجلس الخليفة هذه الليلة، فإذا قرأها الخليفة علم أن الفضل كان يتخذ من القصر الغربي ماخوراً وبعد أن يخرج الأخرم وتلميذه، تقبل سلمى- وصيفة ست الملك- وعلى ذراعها الطفل حسين الذي تضعه على كرسى يشبه عرش الملك، ثم تخرج بعد ذلك، وتنسى الطفل على الكرسي.

ويدخل الحاكم فيتشاءم من وجود الطفل على الكرسي الذي يشبه عرشه فيحاول قتله، ولكن سلمى تدخل قائلة له إنه هذا الطفل هو ولدها.

ويعثر الحاكم على صورة رسالة ست الملك التي ألقاها الأخرم، فيعلم منها بالعلاقة السابقة بين الفضل وست الملك، ويعلم أيضاً أن هذا الطفل هو ابنهما، فيذبحه، ويأمر بقتل الفضل.

وتسدل الستار على ست الملك وهي تبكى زوجها وولدها. وفي الفصل الرابع، تكتمل المؤامرة بين ست الملك وابن الدواس الذي يقتل الحاكم بسيفه فيريح الناس من ظلمه وطغيانه، وهكذا ينزل ستار الختام على مأساة الحاكم بأمر الله.. ولعل القارىء، بعد أن لخصنا له المسرحية بهذه الطريقة، لا يجد صعوبة في تطبيق ما ذكرناه عن المعتقدات الخاطئة الثابتة على شخصية الحاكم بأمر الله.

خامساً- نقص القوي العقلية Mental Deficiency

ينشأ النقص في القوي العقلية نتيجة لمرض أو إصابة تقع للجنين قبل ولادته، أو بعد ولادته بسنوات قليلة.. ومن أهم أسبابه، عامل الوراثة، أو إدمان الوالدين على الخمور، أو إصابة أحدهما أو كليهما معاً بالزهرى أو السل أو الصرع، كما أن زواج الأقارب بعضهم بالبعض قد يهيىء التربة لحدوث مثل النقص.

ومن الأسباب المباشرة لحدوث النقص في القوى العقلية للطفل، إصابة الأم بصدمة، أو حمى في أثناء الحمل، أو أن تعانى الأم ولادة عسرة يصاب الطفل في أثنائها بإصابة في رأسه.

أنواع نقص القوى العقلية:

١- الأبله: ويبدو عليه النقص في قواه العقلية منذ ولادته. والبله له أنواع كثيرة، وكل نوع منها يميز الطفل بشكل معين. ومن ضمن هذه الأنواع، نوع تكون فيه رأس الطفل صغيرة جدا، ذات شكل مخرزطى مثل قمع السكر، بينما تشكل الأنف بشكل المنقار، وتطول الأذنان حتى تعلوان فوق مستوى الرأس. وشكل الرأس عموماً في هذه الحالات يشبه إلى حد كبير رأس الفأر.. وهناك نوع من البله يكون نتيجة لولادة الطفل فاقدا لحاستى السمع والبصر.

وعقلية الأبله لا تزيد عن عقلية طفل في الثالثة من عمره، مهما تقدم به السن. وهو ضعيف الإدراك لدرجة أنه لا يقدر على حماية نفسه من الأخطار الخارجية التي يتعرض لها، كما لا يمكنه التخاطب معع الآخرين.

٢-العبيط: وهو يمكنه أن يحمى نفسه من الأخطار الخارجية، ولكنه لا يقدر على كسب عيشه بنفسه بسبب ضعف قواه العقلية. وفي الغالب لا تنمو عقلية العبيط عن عقلية طفل بين الثالثة والسابعة من عمره. وهذا الصنف من الناس يتصف غالباً بأنواع من الشذوذ الجنسي. أما شكله فيتمخيز بصغر في الجبهة وزالذقن، وبتشويه في الأسنان والأطراف.

٣- ضعيف العقل: والمرضى الذين إلى هذا النوع تنمو عقليتهم أكثر من العبط، ولكنهم يحتاجون للمراقبة والعناية. وهم انفعاليون بطبيعتهم، وفي الغالب لا يستقيمون في تعليمهم بالمدارس، ولذلك غالباً ما يفشلون في التعليم.

ويتميز ضعاف العقول بضعف حواسهم الخلقية، فهم يكذبون، ويسرقون، وقد تصل بهم الدرجة إلى ارتكاب جرائم القتل. وتمثل هذه الفئة حوالى ٤٠% من المساجين الشبان، وأغلبهم يكونون ما نسميهم "بالأحداث".

ولكن هذا لا يمنع أن أن ينبع٨ البعض منهم في اتجاه معين كالرسم، أو الأشغال اليدوية، أو الموسيقى.

٤-منحل الأخلاق: يظهر الانحلال الخلقى في سن مبكرة في بعض الأشخاص، فيتسمون بميول إجرامية عدائية ضد المجتمع لا يردعهم عنها العقاب.

وهذه الفئة تتميز باحترافها للكذب بدون أي سبب أو داع. وقد يتصف بعض منحلى الأخلاق بذكاء خارق يؤهلهم للوصول إلى مراكز سامية في المجتمع، ولكنهم مع ذلك، لا يتخلون عن انحلالهم الخلقى.

سادساً- الشلل العام الجنونى General Paralysis Of The Insane

الشلل العام الجنونى مرض عصبى عقلي يتسبب عن إصابة الشخص بميكروب الزهرى. وهذا المرض منتشر في جميع أنحاء العالم، وإن كان أقل حدوثاً في المناطق الحارة، وهو ينتهي عادة بالوفاء في ظرف ثلاثة أو أربعة أعوام من بدء الإصابة به.

وتظهر أعراض هذا المرض بعد تعرض الشخص للإصابة بميكروب الزهرى بفترة تتراوح بين عشؤر سنوات وعشرين سنة، ونتيجة لذلك فإن المصابين بالشلل العام الجنونى يكونون عادة في الحلقة الخامسة من عمرهم، ومما يجدر ذكره أن نسبة المصابين به من الذكور تبلغ أربعة أمثال من يصبن به من بين النساء. وهذا المرض يسبب انكماشاً في المخ ونقصاً في وزنه، مع ضمور في تجاعيده وخاصة في الجزء الأمامى منه (أي الجزء المغطى بعظام الجبهة).

وقد يظهر هذا المرض في الحلقة الثانية من العمر (أي بين سن العاشرة والعشرين) عند المصابين بالزهرى الوراثى.

وتنقسم أعراضه إلى أعراض عقلية وأعراض جسمية:

١ـ الأعراض العقلية:

تبدأ هذه الأعراض بشكل تدرجى هي هيئة انحلال فأي القوى العقلية يؤدى إلى تغيير في السلوك والشخصية، فتتغير أخلاق المريض وطباعه، وحكمه على الأشياء، ويقل ذكاؤه، ويفقد الاهتمام بنفسه، وبعائلته، ولا يعنى بمظهره أو ملبسه. ويصبح المريض سريع الغضب. ميالا للشجار، فاقداً للأخلاق الفاضلة، فقد يسرق شيئاً لا تفيده سرقته، كما لا يتورع عن ارتكاب السرقة بشكل خال من التستر، وقد يكب على شرب الخمر.. ومع تقدم العلة، يقل فهمه وإدراكه لما يقال له، حتى أن الأسئلة يجب أن تكرر له قبل أن يجيب عليها.

أما الالتفات، ومالذاكرة، والتبصر، والخيال ، فإنها تتدهور تدريجها لدرجة أنه يفقد القدرة على معرفة الزمان، والمكان، كما أنه لا يهتم بعرف، أو قانون، أو تقليد. وقد يصاب المريض بنوع من أنواع الشذوذ الخلقى، ويصبح سيىء الظن، يشك في كل شيء، كما تسهل إثارته لأتفه الأسباب. ومع تقدم المرض قد تسيطر على المريض المعتقدات الخاطئة، أو الاكتئاب، أو الهوس:

(١) أما المعتقدات الخاطئة لإا÷مها معتقدات العظمةى والاستعلاء، وتكون عادة من نوع متسع سخيف، فقد يتخيل المريض مفسه ملكاً، وقد يضع فوق رأسه تاجاً، أو يعتقد مثلا أن طوله يبلغ ثلاثة من الأميال. ونعلى أية حال فإن المعتقدات الخاطئة أقل جنوناً من الاكتئاب أو الهوس.

(ب) وهناك نوع آخر من المرضى يظهر عليهم الاكتئاب. فيعتقدون مثلا أن أحشاءهم الداخلاية مريضة، أو أنهم يعانون إمساكاً مزمنا منذ ألف عام، أو قد يبدو علهم السكون، وقد يصل بهم الأمر إلى الصمت المطلق، أو قد يقولون عن أنفسهم إنهم أموات، أو إن دمهم لا يسرى في عروقهم، وقد يشرعون في قتل أنفسهم، أو تشويه أجسامهم. وهؤلاء المرضى ينظرون إلى الحياة نظرة سوداء متشائمة.

(ج) ويوجد بعض المرضى الذين يصابون بالهوس فيتهيجون تهيجاً وحشياً. أو يكثرون من الكلام والضحك، أو يعبرون عن مبلغ قوتهم، وكثرة أموالهم، وعدد النساء اللواتى يحبهم.

وقد تعترى بعضهم نوبات من الاكتئاب تتبادل مع نوبات من الهوس. والنتيجة النهائية للمصابين بهذا المرض هي أن ينتهيبهم المر إلى الخبل، فيعيشون عيشة حيوانية محضة، فلا ذاكرة، ولا إدراك، ولا إدراك، ولا ذكاء، ولا وعى لما يجرى لهم، أو من حولهم. ويكونون في حاجة إلى من يطعمهم، ويقوم بنظافتهم، وهؤلاء يضطرون لملازمة الفراش حتى ينتهي أجلهم.

وأهم ما يلاحظ في هؤلاء المرضى، أنه على الرغم من كل هذه الأعراض فإنهم لا يحسون بحالتهم، ولا يعتقدون بأنهم مرضى يجب علاجهم، وذلك نتيجة لفقدهم التبصر بحالتهم.

٢ـالأعرا ض الجسمية:

وبالإضافة إلى الأعراض العقلية التي سبق ذكرها، يعانى المريض كذلك من بعض الأعراض الجسمية الآتية:

(١)أعراض عصبية: وأهمها ظهور بعض الحركات اللاإرادية التي يقوم بها المريض؛ فقد يضغط المريض على أسنانه، أو يمصمص بشفتيه، ثم تظهلارر الرعشة في وجهه،ويديه، وشفتيه، ولسانه الذي قد يبدو في حركة دائمة إلى الأمام وإلى الخلف.

(ب) كلام المريض: وإذا تكلم المريض، فإنه ينطق الحروف بحيث يتداخل بعضها في بعض، فيبدو كلامه ككلام المخمورين الممثلين. وكلما تقدم المرض، ازدادت عيوب الكلام حتى يصعب على المريض في آخر الأمر إخراج الألفاظ، أو قد يخرجها بشكل مشوه بحيث لا يمكن فهمها.

والملاحظ أن اضطرابات الكلام تظهر في المراحل الأخيرة من المرض.

(ج) كتابة المريض: ونتيجة لظهور الرعشة في اليدين، فإن الكتابة تتأثر بمثل ما يتأثر به الكلام، من ارتعاش، إلى ترك حروف أو كلمات برمتها، مما يؤدى إلى تعذر فهم شيء مما يخطه المريض.

(د)البصر: قد يصاب المريض بضمور في العصب البصري ينتج عنه ضعف كبير في قوة الإبصار.

(هـ) منظر الوجه: ووجه المريض يسمى عادة بالوجه المقنع،أي الذي لا يمكن من مرآه الاستلال على عواطف وانفعالات المريض، فهو إذن وجه خال من التعبير.

(و) الشلل: يصاب المريض بشلل مع تصلب في العضلات في ناحيتى الجسم. وتضعف القوة العضلية خصوصاً في الساقين ونتيجة لذلك، فإنه لا يمكنه السيطرة على توازن جسمه في أثناء أو السير، وقد تكثر عثراته إذا لم يستند إلى شيء.

أما مشية المريض فتكون واسعة الخطوات، وأقدامه تكون مفرطحة وتحتك بالأرض في أثناء السير.

أما ساقاه فترتفعان إلى أعلى بدرجة أكثر مما يفعل الشخص السليم. وتزداد حالة التصلب والشلل بالتدريج حتى يضطر المريض إلى ملازمة الفراش في آخر الأمر.

(ز) حالة النوم: قد يصاب المريض بأرق شديد يحجب عنه النوم.

(ح) أعراض أخرى: وقد تحدث للمريض نوبات صرعية،؟ أو نوبات احتقان في المخ تؤدى إلى ظهور نوبات من شلل الجسم النصفي، أو من فقد افلقدجرة على الكلام.

والنتيجة النهائية أن يصبح المريض معتوهاً، طريح الفراش، لا قدرة له على الحركة، أو الكلام، منقبض العضلات، متيبس الأطراف ويظل على هذه الحال حتى يموت.

مسرحية الأشباح

تأليف هنريك إبسين
ترجمة الأستاذ عبد الحميد سرايا

لست أجد أفضل من مسرحية الأشباح لنطبق على شخصية بطلها أوزوالد أعراض مرض الشلل العام الجنونى الناتج عن إصابته بالزهرى الوراثى. وقد سبق أن ذكرنا أن هذا المرض يظهر على المصابين بالزهرى الوراثى في الحلقة االثانية من عمرهم.

ووتخلص هذه المسرحية في أن مسز الفنج الأرملة كانت قد تزوجت وهي في مقتبل عمرها من رجل غنى، اتضح لها بعد الزواج منه أنه سيء السلوك.

وعندما اكتشفت خياناته المتعددة لها، هجرت بيتها ولجأت إلى صديقها القس ماندرز– الذي كانت تحبه قبل زواجها– ، ولكنه نهاها عن التفكير في حبه، وأمرها بأن تعود إلى زوجها الشرعي لتقوم بواجباتها نحوه. وتعود مسز الفنج إلى زوجها وتكرس حياتها لخدمته، وتشترك معه في أعماله، ونسعى جهدها أن تخفي فضائحه عن الناس، ولكنه بالرغم من ذلك، اتصل – في منزل الزوجية– بخادمة كانت تعمل عنده في البيت. وعلمت مسز الفنج بما ارتكبه زوجهما– فطردت الخادمة بعد أن أعطتها مبلغاً من المال لتكف عن الثرثرة. وتوجت الخادمة بعد ذلك وهي حامل، من النجار، "چاكوب الجستراند". وهكذا أنقذت مسز الفنج سمعه زوجها

من الفضيحة. أما ريجينا، ثمرة الخطيئة، فقدر باها أنجستراند حتى إذا كبرت قليلاً آوتها مسز الفنج في منزلها.

وأنجبت مسز الفنج من روحها طفلها أو زوالد الذي ما كاد يشب عن الطوق حتى أرسلته ليتعلم في الخارج لكيلا تنتأثر أخلاقه بأخلاق أبيه.

أما القس ماندرز، فكان يعتقد أن مسز الفنج، بعد أن عادت إلى زوجها بناء على نصيحته، قد عاشت معه مثالية، وهو لذلك ينعى عليها تصرفها الخاطيءبإرسال ابنها أو زوالد إلى الخارج، ذلك الابن الذي عاد من باريس وقد جلب معه آراء جريئة إباحية مستهترة. ولكن مسز الفنج تطلعه على حقيقة حياتها مع زوجها المستهتر السكير زير النساء، وتخبره بقصة خطيئته مع الخادمة، وتذكر له السبب الحقيقي الذي من أجلهع أرسلت ابنها إلى باريس.

ونفهم أن أوزوالد قد عاد من باريس خصيصاً ليحضر الحفلة التي ستقيمها أمه في الغد، والتي سيفتتح القس في أثنائها المؤسسة،المكونة من ملجأ وكنيسة ومدرسة، والتي أسستها مسز الفنج تخليداً للذكرى العاشرة لوفاة زوجها. ونعلم أيضا أنها قد شيدت هذه المؤسسة حتى لا يتحدث الناس عن عقوقها لزوجها، كما أنها أنفقت كل ما خلفه زوجها من ثروة على إقامة المؤسسة حتى لا يرث ابنها أو زوالد عن أبيه شيئا. وتختتم مسز الفنج الحديث عن هذا الموضوع قائلة: "وأخيرا ينزل الستار على تلك

المهزلة المقيتة. بعد غد ساشعر بأن الذي قد مات لم يعش في هذا البيت، ولن يكون هنا إلا ابنى وأمه".

وهكذا تاعتقدجت مسز الفنج أنها قد أوشكت على التخلص من أشباح ماضيها مع زوجها- تلك الأشباح التي كانت لا تكف عن مطاردتها، ولكن.. ولكن هذا الماضي بكل ما فيه من أهوال ومخاوف، وبكل ما فيه من قذارة ودنس، ما زال يعيش مجسما في شخص ابنها أو زوالد الذي ورث عن أبيه حب الخمر ومغازلة الخادمات، كما ورث عنه مرض الزهري- ذلك المرض الذي ظل ينخر في جسمه وعقله حتى انتهي به الأمر أخيراً إلى الشلل والخبل.

شخصية أوزوالد:

يظهر لنا أوزوالد في الفصل الأول من المسرحية شاباً في السادسة والعشرين من عمره، درس فن الرسم في باريس، ويبدو عليه القلق المستمر، وتسهل إثارته لأتفه الأسباب، ويضغط كثيراً على رأسه بيديه، كما يقول عن نفسه إنه شخص محطم دون أن يوضح لنا السبب في ذلك. فإذا كان الفصل الثانى، فقد بدأت ذاكرته تضعف، وهو لا يستطيع أن يخفي سبب قلقه عن أمه التي يدور بينها وبينه الحوار التالى:

أوزوالد: أمى. هل أجلس إلى جانبك؟

مسز الفنج: (تفسح له مكاناً) بكل تأكيد .

أوزوالد: (يجلس) والآن سأبلغك شيئاً...

مسز الفنج: (في قلق) حسن..

أوزوالد: (محمقاً أمامه)فليس من الحكمة إخفاء الحقيقة أكثر من ذلك.

مسز الفنج: تخفي ماذا؟ ماهو؟

أوزوالد: (في نفس النغمة) لم تطاوعنى نفسي أن أكتب غليك وبما أنى قد عدت...

مسز الفنج: (تمسكه من ذراعه) أوزوالد... ما الخبر؟

أوزوالد: (بنفس النغمة) حاولت أمس واليوم أن أبعد الخواطر عن نفسى وأتحرر منها ولكنى لم أستطع.

مسز الفنج: (واقفة) يجب أن تتكلم يا أوزوالد.

أوزوالد: يشدها إلى الريكة) اجلسى. وسأحاول أن أتكلم. لقد كنت أشكو تعباً من الرحلة.

مسز الفنج: حسن ماذا تريد أن تقول.

أوزوالد: ولكنه ليس تعباً عادياً.

مسز الفنج: (تهم واقفة) لست مريضاً يا أوزوالد...

أوزوالد: (يشدها ثانية) أرجوك أن تجلسي يا أماه وتستقبلي النبأ في هدوء. لست مريضاً بمعنى كلمة المرض (يضع يديه حول رأسه) أمي.. إن عقلي قد انهار.. تحطم.. لن أستطيع العمل مرة أخرى (ينزل يديه ويخفي بهما وجهه ثم يدفنه في حجر أمه وينفجر باكياً) .

مسز الفنج: (ترتعش ويبيض وجهها) أوزوالد. انظر إلى .لا. لا.. ليس هذا حقا...

أوزوالد: (يرفع رأسه وينظر إليها في يأس) بل هو الحق.. لن أستطيع العمل. أبداً. أبداً. حياة كأنها الموت. مأ أفظع هذا يا أماه!!

مسز الفنج: يا ولدى المسكين.. ولكن كيف حدث ذلك؟

أوزوالد: (يجلس معتدلا) هذا هو تالذي لا أستطيع أن أتصوره أو أتخيله، لم أحى حياة متحلة أبداً، قد لا تصدقينى، ولكنى لم أحى هذه الحياة أبداً.

مسز الفنج: أنا واثقة من قولك يا أوزوالد.

أوزوالد: ومع ذلك فقد أصبت بهذا البلاء.. البلاء الفظيع.

مسز الفنج: كل شيء سينتهي يا بني.، وقاك الله كل سوء. ثق أن الذي أصابك من كثرة العمل.

أوزوالد: (في حزن) ظننت ذلك أول الأمر، ولكني كنت مخطئاً.

مسز الفنج: قل لي القصة كلها من البداية.

أوزوالد: سأفعل.

مسز الفنج: متى لاحظت الذي أصابك لأول مرة؟

أوزوالد: عندما كنت هنا آخر مرة وعدت إلى باريس، بدأت أشعر بآلام شديدة في رأسى وخاصة الجزء الخلفي منها.. كان يخيل إلى أن حلقة من الحديد تضغط حول رأسى وعنقى.

مسز الفنج: ثم ماذا؟

أوزوالد: ظننت أول الأمر أنه الصداع الذي كان يصيبنيكثيراً وأنا صغير.

مسز الفنج: نعم، نعم.

أوزوالد: ولكنه لم يكن صداعاً، سرعان ما اكتشفت هذه الحقيقة. لم أستطع العمل. حاولت أن أبدأ في رسم لوقحة كبيرة.. ولكن خانتنى قوأي. كنت أشعر كأنى كسيح، ولم يكن في استطاعتى أن أتخيل صورة محددة للأشياء، وأخيراً أرسلت في طلب الطبيب وعلمت منه الحقيقة.

مسمز الفنج: ماذا تعنى؟

أوزوالد: كان من خيرة أطباء باريس.. وذكرت له أعراض الألم، ثم

انهال على بمئات من الأسئلة.. أسئلة كنت أعتقد ألا علاقة لها بما أصابني، ولم أتصور ماذا كان يقصد..

مسز الفنج: (مقاطعة) أكمل.

أوزوالد: وأخيراً قال لى، منذ مولدك والديدان تعبث في رأسك.. استعمل كلمة الديدان بعينها.

مسز الفنج: (لاهثة) وماذا يعنى بقوله هذا؟

أوزوالد: لم أستطع أن أفهم، ورجوته أن يشرح لي قوله. عندئذ قال (وقد قبضته بطريقة شديدة يائسة) أوه ...

مسز الفنج: ماذا قال؟

أوزوالد: قال... آثام الآباء يدفع ثمنها الأبناء .

مسز القنج: (تقف بصعوبة) آثام الآباء.

أوزوالد: كدت أصفعه.

مسز الفنج: (تتمسشى في خطوات متثاقلة) آثام الأباء.

ويمكننا أن نستشف من هذا الحوار، أن أوزوالد مصاب بالزهرى الوراثى، وأن المرض يتركز في رأسه الذي تعبث فيه الديدان منذ مولده.

وقد استعمل الطبيب كلمة الديدان بعينها دلالة على ميكروب الزهرى الذي يشبه الدودة في شكله.

ويظهر لنا أوزوالد في هذا الفصل، شابا محطماً، يحس بانهيار في قواه العقلية، وبآلام شديدة في رأسه، وبعدم مقدرته على العمل، وبضعف في قواه العضلية يجعله كالكسيح (وهذا راجع بالطبع إلى غصابته عضلاته بالشلل) ونعلم في موضع آخر من نفس هذا الفصل، أنه فقد أيضاً القدرة على التفكير إذ يقول لأمه: "أنا لا أفكر في أي شيء" .. ولا أستطيع أن أفكر في أي شيء.. دعى التفكير لغيرى".

ويبدو لنا في هذا الفصل كذلك انكبابه على شرب الخمر، ورغبته في الزواج من ريجينا، لأنه لا يستطيع أن يحتمل وحده ما يشعر به من الألم، وما يحس به من العذاب والرعب القاتل، ولأنه يحس أيضاً بأن ريجينا تملؤها بهجة الحياة.– تلك البهجة التي فقدها في منزل أبيه.

وتزداد الأعراض سوءاً في الفصل الثالث، فيبدو أوزوالد كثير العصبية، فاقد الصبر، كثير الهياج، شديد الأرق، سهل الاستثارة، شديد الأنكباب على الخمر، ضعيف الفهم والإدراك.

ويصاب أوزوالد في آخر الأمر بنوبة حادة من المرض (نوبه احتقان في المخ) يتحول في أثنائها إلى طفل غريز لا يستطيع التفكير أو الحديث أو الحركة فيرقد أمام أمه لا حول له ولا قوة. ولست أجد في وصف هذه الحالة، أبلغ من الحوار الأخير الذي دار بن

أوزوالد وأمه، ولذلك فسأنقله بنصه حتى يتبين القارىء مدى خطورة الحالة التي وصل إليها أوزوالد نتيجة لإصابته بالشلل العام الجنوني.

أوزوالد: يجب أن تعلمي أن التعب وعدم المقدرة على العمل والصداع المستمر ليست هي مرضى الحقيقي.

مستر الفنج: إذن فما هون المرض؟

أوزوالد: المرض الذي ولدي معى (يشير إلى جبهته ويضيف في نعومة) يرقد هنا.

مستر الفنج: (بصوت مختنق) أوزوالد... كلا.. كلا.

أوزوالد: لا تبك يا أماه. نعم إنه هنا.. ينتظر.. وقد ينفجر في أي يوم.. في أية لحظة.

مستر الفنج: يا للرعب القاتل.

أوزوالد: اهدئى يا أماه، ذلك هو ما أحس به.

مسز الفنج: (تقفز واقفة) هذا غير صحيح يا أوزوالد. مستحيل، مستحيل...

أوزوالد: لقد أصبت بنوبة منه وأنا في الخارج، ولكن سرعان ما شفيت منها. ولما عرفت حقيقة مرضى هاجمنى الرغعب في قسوة ووحشية... فبادرت بالمجىء إلى هنا.

مسز الفنج: إذن... هذا هو الرعب.

أوزوالد: شيء لا أطيق احتماله.. ولو كان مرضاً قاتلا.. أنا لا أخشى الموت، وإن كنت أحب الحياة.

مسز الفنج: يجب أن تعيش يا وزوالد وستعيش...

أوزوالد: ولكنه شيء فوق طاقتى، أن أصبح طفلا تطعمني أمي بيدها و... عقلي يتمزق رعباً.

مسز الفنج: للطفل أم تمرضه وتسهر عليه.

أوزوالد: (يقفز واقفاً) كلا، أبداً هذا لن يكون، أبداً، لا أستطيع أن أرقد في فراشى هكذا سنوات... وقد تموتين وتتركينى على قيد الحياة.

(أوزوالد يجلس على المقعد الذي أحضرته أمه) قال لى الطبيب إن هذا المرض قد لبا يقضى على مرة واحدة. وصفه لى بأن تجاعيد المخ تنبسط شيئاً فشيئاً حتى يصبح ناعماً كالحرير.

مسز الفنج: (تبكى في نشيج) أوزوالد.

أوزوالد: (يقفز من مقعده ويروح ويجيء في الغرفة) وأخذت ريجينا منى. لو بقيت إلى جانبي لبادرت إلى نجدتى.

مسز الفنج: (تذهب إليه) ماذغا تعنى يا حبيبى.. أهناك عون في العالم لا أستطيع أن أقدمه لك؟

أوزوالد: عندما أصبت بالنوبة الأولى في باريس قال لى الطبيب..

ندما تعاودك النوبة وستعاودك، فلن يكون هناك أمل.

مستر الفنج: الوغد، الحيوان، الذي لا قلب له.

أوزوالد: قلت له إنى سأستعد للنوبة القادمة (يضحك في خبث) نعم أنا مستعد (يخرج من جيب صدارهالداخلى صندوقاً صغيراً يفتحه) أمى، هل ترين هذا؟

مستر الفنج: ماذا؟

أوزوالد: مورفين.

مسز الفنج: (تنظر إليه في رعب) أوزوالد... ولدى.

أوزوالد: لقد جمعت منه اثنتى عشرة حبة.

مسز الفنج: (تحول خطف الصندوق) أعطنيه..

أوزوالد: ليس الآن (يضع الصندوق في مكانه في جيبه).

مسز الفنج: أيتها السماء (تجلس متهالكة) هذا فوق طاقة البشر.

أوزوالد: ولكن يجب أن تتحملي .. لو كانت ريجينا هنا لقلت لها كل شيء... ولرجولتها أن تبادر إلى انقاذى.. ولفعلت. أنا واثق أنها كانت ستفعل.

مسز الفنج: أبداً.

أوزوالد: لو هاجمنى الرعب ورأتنى أرقد أمامهه لا حول لى ولا قوة مثل طفل رضيع، ضعيفاً خائر القوى، منهوكاً فاقد الأمل...

مسز الفنج: أبداً، أبدأ، ما كان في مقدور ريجنا أن تفعل ذلك.

أوزوالد: بل كانت ستفعل.. فريجينا امرأة لا تحتمل الحزن ولابد أنها كانت ستمل تمريضى بعد فترة قصيرةو...

مسز الفنج: شكراً لله أنها ليست هنا.

أوزوالد: إذن فالواجب يدعوك إلى إنقاذي.

مسز الفنج: (باكية) أنا.

أوزوالد: ومن أقدر الآن على ذلك منك؟

مسز الفنج: أنا – ـأمك–؟

أوزوالد: يكفي أنك أمي لتنقذيني.

مسز الفنج: أنا.. التي أعطتك الحياة!

أوزوالد: لم أطلب منك الحياة، وأية حياة أعطيتني.. ستأخذينها بيدك.

مسز الفنج: الرحمة، العون، يا إلهي.. (تعدو إلى الصالة)

أوزوالد: (يجرى وراءها) لا تتركيني وحدى.. إلى أين أنت ذاهبة؟

مسز الفنج: أبحث عن طبيب. دعنى أذهب..

أوزوالد: لن تذهبى.. ولن يحضر أحد. (يغلق الباب بالمفتاح).

مسز الفنج: (تعود) أوزوالد، أوزوالد، ولدي..

أوزوالد: (يتبعها) ألديك قلب أم. تحتملين رؤيتى وأنا أعانى من هذا الرعب القاتل؟

مسز الفنج: (فترة صمت تسيطر فيها على نفسها) تلك يدى أمدها لك.
أوزوالد: هل ت...

مسز الفنج: إذا كان ذلك ضرورياً.. ولن تكون هناك ضرورة. كلا. مستحيل.

أوزوالد: إذن لندع الله أن يهبني الحيالة والعافية.. ولنعش معاً أطول فترة ممكنة.. شكراً يا أماه.

(يجلس على المقعد الذي أحضرته مسز الفنج بجانب الأريكة. النهار طالع والمصباح ما زال مشتعلا على المنضدة).

مسز الفنج: (تقترب منه في حذر) هل تشعر الآن بالراحة.

أوزوالد: نعم.

مسز الفنج: (تنحنى فوقه) ذلك الذي جال في نفسك خاطر مزعج. ليس إلا مجرد خاطر .. ماحدث وما سمعت الليلة فوق احتمالك.. والآن ستستريح، وستهدأ طويلا إلى جانب أمك يا حبيبى.. سألبى لك كل طلب كما كنت صغيراً.. الآن انتهت الأزمة.

أترى كيف مرت في يسر وسهولة؟ كنت واثقة أنها ستمر (تنظر نحو الشباك) أترى يا أوزوالد أي يومخ رائع تشرق شميه علينا؟ الآن تستطيع حقا أن ترى الدار التي ولدت فيها.

(تذهب إلى المنضدة وتطفيء المصباح.. الشمس تشرق ويظهر في الخارج منظر الثلوج البيضاء تلمع تحت أضواء الصباح).

أوزوالد: (جالساً في المقعد وظهره إلى المنظر الخارجي دون حراك.. وفجأة يقول) أمى.. أعطنى الشمس.

مسز الفنج: (بجانب المنضدة تنظر إليه فزعة) ماذا تقول؟

أوزوالد: (في صوت لا معنى له) الشمس.. الشمس...

مسز الفنج: (تذهبإليه) أوزوالد.. ماذا حدث؟ (أوزوالد يتضاءل في المقعد، عضلاته تسترخي، وجهه غير معبر، وعيناه تحدق في الفضاء.. مسزو الفنج ترتعد فزعاً) ما هذا (تبكي وتقول في صوت متحشرج) أوزوالد. ماذا أصابك؟

(تجلس على ركبتيها أمامه وتهزه) أوزوالد.. أوزوالد... انظر إلى .. أتعرفني؟

أوزوالد: الشمس.. الشمس..

مسز الفنج: (تقف يائسة تمزق شعرها بيدها وتصبح باكية صارخة) هذا فوق احتمالي، هذا فوق احتمالى.. أبداً(فجأة) أين وضعه؟ (تبحث في جيوب صداره) ها هو (تتراجع خطوات قليلة) كلا.. كلا.. بل.. نعم.. لا.. لا... كلا... (تقف على بعد خطوات منه ويداها ممسكتان بشعرها وتنظر إليه صامتة في رعب) أوزوالد: (جالساً دون حراك ويقول) الشمس.. الشمس..

ويلاحظ القاريء من هذا الوصف العلمي الدقيق الذي صوره إبسن. أنه لم يكن مسرحيا عظيما فحسب بل كان متعمقاً في دراسة الأمراض التي يتعرض لها في كتاباته لدرجة تضعه في مصاف الإخصائيين في هذه الأمراض.

سابعاً: الصرع Epilepsy

الصرع مرض مزمن يتميز بحدوث نوبات متكررة من فقد الوعى والإحساس اكون مصحوبة في أغلب الحالات بتشنجات عضلية. هذا المرض معروف منذ الأزمنة القديمة، وقد لوحظ أنه يصيب العباقرة كما يصيب العاديين من الناس. ومن العظماء الذين كانوا يعانون من نوع أو آخر من هذا اللمرض، نذكر قمبيز، وكاليجولا، ونابليون، ويوليوس قيصر، وهاندل، وسويفت، وفلوبير، ودستويفسكى الذي أظهر معلوماته، وعبر عن خبرته الشخصية بهاذ المرض في الكثير من كتاباته. فشخصياته وخصوصاً شخصية الأمير موتشكين في رواية "العبيط" ما هي إلا عرض لدراسة متعمقة في مظاهر الصرع.

أسباب الصرع:

تبدأ الإصابة بهذا المرض في الأطفال والشباب من الجنسين على حد سواء، في الحلقة الأولى والثانية من أعمارهم (أي منذ الولادة حتى سن العشرين). وتبدأ أغلب الحالاتبين سن العاشرة والعشرين.. والنوبات الصرعية قد تكون عرضاً ضمن أعراض مرض آخر كأورام المخ أو التهاباته مثلا، أو قد تكون مرضاً مستقلا بذاته يطلق عليه اسم الصرع الذاتي.

واسباب الصرع الذاتى غير معروفة تماماً، ولكن المعروف أن الطفل قد يرث استعداداً للأمراض العصبية عن طريق والديه اللذين قد يكون

أحدهما أو كلاهما مدمناً للخمر، أو مصاباًبأحد الامراض العقلية، أو النفسية.

وقد قام براون [1](Brown) بدراسة لأقارب ٣٦ مريضاً بالصرع في مستشفي أوهاويو بأمريكا، فاتضح أن ٦٤% منهم كان لهم قريب أو أكثر مصاب بالصرع، وأن ٢٨% منهم كان لهم قريب مصاب بمرض عقلي وأن ٢٥% منهم كان لهم قريب عنده ضعف في القوى العقلية، وأن ٨٩% منهم كان لهم قريب مصاب بالصرع، أو الجنون، أو ضعف في القوى العقلية.

وتظهر أعراض الصرع على الأشخاص الذين يولدون بهذا الاستعداد للأمراض العصبية، إثر صدمة عصبية عنيفة، أو إصابة في المخ، أو بعد التعرض للجهاد، أو للقلق النفسي ، أو في أثناء مرضهم بأحد الأمراض المعدية كالحمى القرمزية.

وكل هذه الأسباب المباشرة لظهور أعراض الصرع، ليست في الواقع إلا زناد البندقية الذي يطلق شحنة الاستعداد الكامن لهذا المرض من عقالها.

ويوجد نوعان من الصرع: الصرع الأكبر، والصرع الأصغر.

أولا: الصرع الأكبر: "Major Epilepsy"

---

[1] سيكولوجية المرضى وذوى العاهات (١٩٥٦) تأليف الدكتور مختار حمزة صفحة٢٦٧.

تتكون نوبة الصرع الأكبر في العادة من خمس مراحل، وإن كانت تقتصر في بعض الأحيان على ثلاث فقط.

١- مرحلة الإنذار: وفيها يشعر الشخص بنوع من الدفء، أو البرودة، أو إحساس غامض بمنطقة فم المعدة، أو هلوسة في الشم،أو اضطراب في حركة اليد مثلا. ومع تكرر النوبات، يعلم المريض تماماً أن هذه الإحساسات، أو الاضطرابات، هي بمثابة إنذار له بحدوث النوبة؛ وقد يستفيد المريض من فترة الإنذار هذه، فيلجأ إلى مكان أمين مريح قبل أن تصيبه النوبة. وفي هذه المرحلة، ويكون المريض متمالكا لكامل وعيه.

٢- وفجأة يصرخ المريض صرخة يفقد بعدها الوعي.

٣- ويسقط المريض على الأرض مغشياً عليه، ويكون في حالة تقلص عضلي، فتثنى ذراعاه عند الكوع، وتنقبض يداه، وقد تنحرف رأسه وعيناه ناحية اليمين أو اليسار. أما أطرافه السفلى فتتمدد بطولها، وتكون في حالة توتر شديد. وقد يحدث توتر في عضلات الجذع، وفي بعض الأحيان ينكفيء المريض على وجهه، فيعرض نفسه للموت اختناقاً إذا حدث ذلك وهو في فراشه. وفي هذه المرحلة قد يبول المريض على نفسه نتيجة تقلص مفاجيء في عضلات المثانة، كما يكون وجه المريض محتقنا مع زرقة في لونه.

وإذا حدثت النوبة للمريض في أثناء سيره في الطريق، فقد يصاب نتيجة لوقوعه على الأرض، بإصابة تحدث دائماً إما في مقدمة الرأس أو في مؤخرتها.وتستمر هذه مرحلة مدة تتراوح بين ٢٠- ٣٠ ثانية.

٤- وتأتى بعد ذلك مرحلة التقلصات الاهتزازية التي تهز عضلات المريض في عنف، فتهتز أطرافه بشدة، وقد يعض الخمريض لسانه في هذه المرحلة، وقد يبول أو يتبرز على نفسه دون أن يدرى.. ومع كل زفير، يخرج المريض من فمه كمية من اللعاب تشبه رغاوى الصابون، التي قد تكون ممتزجة بالدم نتيجة لعض اللسان أو الخد.. ويكون تنفس المريض مجهداً، وبه شخير، نتيجة لانقباض عضلات التنفس. أما الموجه فيكون محتقناً ومائلا للزرقة، ولكن بدرجة أقل من المرحلة السابقة.. وتستمر هذه التقلصات الاهتزازية مدة دقيقة واحدة أو دقيقتين.

٥- وبعد انتهاء مرحلة التقلصات، يشحب وجه المريض الذي تنتابه غيبوبة ترتخى في أثنائها جميع عضلات جسمه؛ ويكون المريض في هذه الحالة مستلقياً على الأرض وجسمه متخذاً شكل الصليب. وبعد انتهاء الغيبوبة، قد يغط المريض في حالة نوم طبيعي. وبعد أن يفيق المريض من النوبة يصاب بفقدان الذاكرة بالنسبة للحوادث التي حدثت له أثنائها، كما يحس

بآلام في عضلاته، ويكون في حالة شديدة من الإعياء، ويبدو عليه الاضطراب والذهول حتى أنه قد لا يمكنه التعرف على أقاربه ومعارفه، ولا يمكنه تركيز انتباهه على الأشياء التي تهمه أو تخصه.. كما قد يشكو من الصداع، ويحس بحاجة ملحة إلى الراحة لبضع ساعات على الأقل.

هذا وصف لنوبة الصرع بوجه عام، وتوجد بالطبع أنواع كثيرة متعددة منه، ولكن هذه الصورة التي رسمناها تمثل أساساً للمتوسط العام لحالات الصرع.

فبعض نوبات الصرع مثلا قد تنقصها مرحلة الإنذار، أو الصرخة، أو كلاهما معاً. وفي بعض المرضى كثيراً ما تبدأ النوبات الصرعية في أثناء الليل. وهناك نوبات صرعية أخرى يقوم المريض فيها من النوم مذعوراً ليتفوه بألفاظ غريبة، أن يأتي بحركات شاذة يجوز أن تكون عنيفة، ثم يهدأ بعدها وينام. وفي بعض الأحيان تتكرر نوبات الصرع في شكل حلقات يأتى بعضها وراء البعض بدون أن يعود للمريض وعيه بين نوبة وأخرى. وتنتهي أغلب هذه الحالات الصرعية بالوفاة. ويحسن أن نلخص هنا أهم الفروق بين نوبة التوتر الهستيرى ونوبة الصرع.

نوبة التوتر الهستيرى	نوبة الصرع الأكبر
١- تستمر النوبة مدة طويلة، يصرخ المريض في أثنائها ويتأوه ويزأر يصرخ متعددة، وقد يضحك أو يبكى ويرتمى على الأرض، ويشد شعره، وقد يمزق ملابسه، ويخربش، ويعض ويضرب برجليه. وكل هذه الأعمال يقصد بها المريض لفت نظر الآخرين وجلب عطفهم عليه واهتمامهم به.	١- تستمر النوبة عادة مدة قصيرة. وتبدأ بصرخة واحدة، يقع بعدها المريض على الأرض مغشياً عليه.
٢- لا تحدث النوبة إلا في حضور الآخرين.	٢- تحدث النوبة في أي زمان ومكان، سواء أكان المريض وحده في منزله، أم سائراً في الطريق، أو متواجداً مع آخرين.
٣- تحدث النوبة مع شيء من الوعى والإدراك فالمريض لا يلقى بنفسه أبداً في مكان يؤذيه، بل يتخير المكان الأمين الذي يقع فيه.	٣- يقع المريض في أي مكان وهو فاقد الوعى فيتعرض للأذى،

٤- تحدث في النوبة الهستيرية محاولات تشعر بأن المريض يحاول إيذاء نفسه، ولكن معظم هذه الحركات تكون مصطنعة ولا تؤذى أذى حقيقا.	حتى أنه يخشى عليه من الغرق، أو الحريق، أو الاختناق وما شابهها. ٤- يفقد المريض الوعى تماماً، ويلزم الصمت ولا تبدو منه حؤكات مقصودة.
٥- تشتد النوبة إذا تدخل أحد لا يقافها وتنتهي إذا ترك الشخص وشأنه.	٥- ولا تتأثر النوبة بتدخل أحد، وإنما تشتد أو تنتهي على حسب طبيعتها.
٦- تكثر النوبات في حالة الأخبار المفاجئة غير المتوقعة، وتكون الاستجابة أحياناً في مثل هذه النوبات على عكس المفروض كالضحك الشديد بدل إظهار الحزن، أو كالبكاء عند تلقى خبر مفرح.	٦- ليس هناك ضابط لحدوث نوبات الصرع، وإنما تحدث النوبة في أي وقت.
٧- يتخذ المؤيض أوضاعاً شاذة فقد يتخشب ظهره وينثى إلى أعلى فلا يكون ملتصقاً بالأرض. وكل الحركات والتلقصات لها هدف معين هو إثارة عطف الآخرين ولفت نظرهم.	

	٧- النوبة الصرعية لها طابع مميز من ناحية الإنذار ونوع التقلصات التي ليس لها هدف معين وإنما هي أعراض من خصائص المرض نفسه.
٨- لا يعض المريض الهستيري لسانه مطلقاً	٨- كثيراً ما يعض الصروع لسانه في أثناء التشنجات.
٩- لا يفقد المريض الهستيري وعيه تماماً في أثناء النوبة، ولذلك يمكن تنبيه يثصب الماء البارد عليه مثلا.	٩- يفقد المصروع وعيه تماماً، فلا يحس بأي شيء مما يدور حوله.
١٠- عند ما يفيق المريض لا يبدو عليه الإعياء الشديد، ولا يحس بحاجته للنوم.	١٠- عند ما يفيق المريض يبدو عليه الإعياء الشديد والتعب ويكون في أشد الحاجة للراحة والنوم.

ثانياً: الصراع الأصغر Minor Epilepsy

في هذا النواع قد تنحصر النوبة في مجرد إغفاءة وقتية للوعي، يخلو وجه المريض في أنائها من التعبير، وتنحرف عيناه قليلا. وقد نلاحظ حركة ضعيفة في الشفتين أو الجفون أو الرأس، أما الوجه فقد يحمر لونه أو يشحب للحظة من الوقت. وعندما تحدث هذه النوبة يتوقف المريض عن أي عمل، فإذا حدثت له في أثناء الكلام، توقف عن الكلام، وإذا كان سائراً في الطريق امتنع عن السير، وإذا كان ممسكاً بشيء في يده أسقطه على الأرض. وبمجرد انتهاء النوبة يعود الشخص إلى حالته الطبيعية الأولى.

وفي بعض الحالات الشديدة يفقد المريض وعيه ويسقط على الأرض لمدة لحظة من الزمن. يفيق بعدها ويتمالك نفسه. ثم يعود إلى وضعه الطبيعى الأول كان لم يحدث له شيء.

وقد تقتصر نوبة الصراع الأصغر على حدوث تقلص خفيف في بعض عضلات الوجه. أو في إحدى الذراعين. أو كلتيهما، وقد يحدث أن يكون المريض جالساً إلى مكتبه عندما تفاجئه النوبة فيميل رأسه فجأة إلى الأمام ويصطدم بالمكتب، ولكنه لا يلبث أن يتمالفك نفسه ويرفع رأسه كما كان.

وتختلف نوبات الصرع من شخص لآخر، في شدهًا، وفي وقت حدوثها، وفي تكرار وقوعها؛ فقد تحدث عدة نوبات في يوم واحد، وقد يفصل بين النوبة والأخرى بضعة أيام أو أسابيع.

والمريض بنوبات الصرع الأصغر يكون أكثر عرضة للانحلال العقلي من زميله المريض بالصرع الأكبر.

وقد اهتمت شركات السينما الأمريكية بموضوع الصرع فأنتجت إحداها فيلم "Dark Wife" الذي تدور قصته حول طفل مصاب بهذا المرض. وقد تعمق المخرج في تصوير النوبات التي يعانيها هذا الطفل، لدرجة أن الرقابة المصرية منعت عرض هذا الفيلم بالاقليم المصرى رحمة بأعصاب المتفرجين.

وهناك مظاهر أخرى قد تصحب مرض الصرع أو تحدث كمضاعفات له وأهمها:

١ـ الأوتوماتزم الصرعى: Epileptic Automatism

وفي هذه الحالة، يطول الزمن يفقد فيه المريض ذاكريته بعد انتهاء النوبة التي غالباً ما تنتمي إلى الصرع الأصغر، والمصابون بهذه الظاهرة يتسببون في إثارة مشاكل اجتماعية خطيرة الأثر، في أثناء فقد الذاكرة، قد يذهب المريض لمباشرة أعماله الاعتيادية وهو في حالة تجرد عقلي، لا يعى ما يفعله. وهو في هذه الحالة يقوم بجميع الأعمال المعقدة بطريقة آلية بحتة لا يتدخل فيها عقله الواعي.

ومن الأمثلة على ذلك سلك بعض الأشخاص الذين يندفع الواحد منهم بعنف وشدة إلى الطريق العام وقد تجرد من ثيابه، أو من يشق طريقه

وسط الزحام وهو يطلق الرصاص، أو يطعنبمدية في يده كل من يقابله وكل ما يقابله في طريقه، وقد يحدث للأم إذا أصيبت بمثل هذه الحالة أن تقطع رقبة وليدها بدلا من قطع رغيف من الخبز، وبعد أن للمريض وعيه، يبدو خالى الذهن تماماً من كل ما حدث، ولا يذكر شيئاً عما فعله.

ولما كان هذا النوع من السلوك الشاذ غالباً ما يعقب نوبة وقتية من نوبات الصرع الأصغر التي لا تستلفت انتباه الآخرين. فإنه يكون مشكلة اجتماعية وقانونية خطيرة عندما يتخذ هذا السلوك طابع العدوان أو الخروج على الآداب العامة.

٢ـ التجوال الصراعى: Epileptic Fugue

قد يحدث للمريض وهو في حالة فقدان الذاكرة والتجرد العقلي الذي ذكرناه آنفا، أن يتجول في لشوارع لمسافات طويلة. وعندما يعود إلى وعيه، قد يجد الشخص نفسه في مكان مجهول لديه بعيد عن منزله، أو بعيد عن المدينة التي يسكنها. وكثيراً ما يقع هؤلاء الأشخاص الضالون في أيدى البوليس، وتكتب الجرائد عنه أحياناً أنهم فاقدوا العقول، أو متعددو الشخصية.

٣ـالنوم المفاجيء: Narcolepsy

وهذه الظاهرة كثيرة الشيوع. وفيها تنتاب الشخص نوبات يغلب فيه في أثنائها النوم وهو جالس يؤدى عمله في أثناء النهار. فقد يغفو الشخص

لفترة من الزمن قد تمتد إلى عدة ساعات إذا لم يوقظه أحد. أما إذا صحا من غفوته، فإنه يستأنف نشاطه، ثم يعود مرة أخرى إلى النوم. وتكثر هذه النوبات كوارث خطيرة بعد الظهر عندما تكون المعدة ممتلئة بالطعام.

ويجوز أن تسبب هذه النوبات كوارث خطيرقت خصوصاً عند سائقى السيارات أو الطائرات أو الأشخاص الذين يعملون في المرافق العامة الى تتصل بخدمة الجمهور.

٤ـ السقوط المفاجى: Cataplexy

وتحدث هذه الظاهرة فجأة إذا ما تعرض الشخص لمؤثرات عاطفية كالحزن أو الفرح، وحينئذ يسقط على الأرض، ويصبح غير قادر على تحريك ذراعيه أو ساقيه، أو أي عضو من أعضاء جسمه، كما يفقد القدرة على النطق، ولكنه يكون محتفظاً بوعيه وشعوره، ولكنه يكون محتفظاً بوعيه وشعوره. وتستمر هذه النوبة عالدة عدة ثوان.

وتختلف هذه النوبات. عن النوبات الهستيرية في أن المريض هنا يقع على الأرض حيثما اتفق، وفي أي مكان، بعكس النوبات الهستيرية التي لا يقع المريض فيها إلا في مكان أمين حتى لا يعرض نفسه للأذى.

ويميل بعض الباحثين إلى اعتبار حالات النوم المفاجيء والسقوط المفاجيء ظواهر مستقلة لا علاقة بينها وبين مرض الصرع.

٥ـظواهر أخرى تعادل الصرع (معادلات الصرع) Epileptic Equivalents

وفي هذه الحالات. لا تظهر نوبات الصرع إطلاقاً، ولكن المريض يعانى بدلا منها أزمات من الاكتئاب والمزاج السوداوى. ومن الأمثلة على ذلك، تلك الفترات التي كان يعانى فيها ناپليون من مزاج مرعب قبل أو في أثناء بعض معاركه الحربية المشهورة.

وقد تظهر بدلا من الاكتئاب فترة من التهيج أو الخلط الذهني فيصبح المريض غير قادر على التعرف على أعز أقربائه أو أصدقائه. وقد يتجول في غرفته.

أو ينزل إلى الشارع. وقد يكون هياج المريض شديداً وخطراً إلى حد أنه يتحول إلى وحش كاسر يعض ويضرب. ويرتكب أخطر جرائم القتل أو الاعتداء الجنسى التي يمكن تصورها.

وتتميز جرائم هؤلاء المرضى بأنها ترتكب بدون دفع أو سبب. كما أن استعمال القسوة والوحشية فيها هو القاعدة. ومن الغريب أنهم يرتكبون جرائمهم الوحشية علانية وبدون خوف أو تحفظ أو حرص على إخفائها. وقد يصل الأمر بالمريض إلى حد قتل في بعض الحالات. ويلاحظ أن الاضطراب العقلي يحل في هذه الحالات المرضية بدلا من نوبات الصرع العادية المعروفة. ولذلك فإن بعض العلماء يطلقون عليها اسم "الصرع المقنع".

ولهذه الحالات أهمية من الوجهة الطبية لقانونية إذ أنه على الرغم من امتلاك المريض لكامل وعيه. إلا أنه لا يكون مالكاً لشخصيته الحقيقية.

٦ـ النوبات الهسترية:

قد تحدث نوبة هسترية عقب نوبة من نوبات الصرع الأكبر أو الأصغر.

٧ـ الجنون الصرعى المزمن Chronic Epileptic Insanity

يشاهد الجنون الصرعى المزمن في بعض حالات الصرع بنوعيه بعد مرور فترة طويلة من الزمن على حدوث الإصابة به.

وفي هذه الحالة تضعف ذاكرة المريض بالتدريج. وخصوصاً بالنسبة للحوادث البعيدة الوقوع، ويقل فهمه وإدراكه وضبطه لنفسه، وتجتاح المريض نوبات من الغضب والهياج التي تتناوب مع نوبات من البؤس والاكتئاب.

ويتدهور سلوك المريض، فيصبح ميالا للكذب والسرقة، والمشاجرة والاعتداء الجنسى، والقسوة والتدمير.

وفي بعض حالات الصرع الأكبر تتدهور حالة المريض العقلية تدريجاً بعد مضى سنوات عديدة من إصابته بالمرض، حتى يصل أخيراً إلى حالة العته أو الحبل.

وقد صور أمير الشعراء أحمد شوقى في مسرحية "قمبيز" شخصية ملك الفرس الطاغية الذي أصيب بالصرع في حداثته، وتطور مرضه بعد ذلك إلى حد إصابته بالجنون الصرعى المزمن.

زسنعرض فيما يلى لمحة تاريخية عن عصر مسرحية قمبيز، نتلوها بتلخيص للمسرحية كما كتبها أحمد شوقى.

لمحة تاريخية في عصر مسرحية قمبيز

في سنة ٥٦٩ قبل الميلاد. كانت تحكم مصر الأسرة السادسة والعشرون، وكانت عاصمة الملك (منفيس) ومقر البلاط (صا الحجر). وكان على العرش حين تبدأ أحداث الرواية (أبرياس) الملك الذي اشتهر بالضعف السياسى في الداخل والخارج، فما أن أتيحت الفرصة لأحد قواده واسمه (أمازيس) حتى نادى بنفسه ملكاً على مصر في أثناء أتيحت الفرصة لأحد قواده واسمه (أمازيس) حتى نادى بنفسه ملكاً على مصر في أثناء ثورة عسكرية في (ليبيا) وعاد بعد ذلك إلى مقر الملك فأنزل (أبرياس) عن عرشه وقتله ثم استوى هو على عرش مصر.

وكانت سياسته ترمى إلى الإكثار من العناصر الأجنبية يحشرهم في صفوف الجيش ويتخذهم عدة لنفسه وبخاصة طائفة الإغريق الذين اصطفاهم ليكونوا عوناً له في صد غزوات الفرس عن مصر. ولقد بالغ (أمازيس) في اصطناع الإغريق، وأوسع لهم في جنبات الوادى. وأقطعهم مدينة "نقراتس" في الدلتا، فاصطبغت بالصبغة الاغريقية، وراجت أسواقها التجارية، وكان ذلك موثقاً ومدعماً ما بين (أمازيس) وين الإغريق. غير أن تلك السياسة قد ألبت عليه المصريين الذين رأوا سيل الغرباء يتدفق على بلادهم ويتسرب إلى نواحى الحياة الاجتماعية والعمرانية والسياسية، وفوق هذا فقد صار جيش البلاد أوشاباً ،وأخلاطاً من زمر الشعوب ليس له بأس ولا لديه حمية. ولم يبق للمصصريين أنفسهم مقام في صفوف الجيش

فانصرفوا عن الجندية وشغلوا بالنعيم والترف والبذخ وامحت منهم روح البسالة التي كانت شعار الجندي المصري.

في ذلك العصر. كان "قمبيز" ملكاً على فارس وكانت عاصمته (سوس) وكان محبا للغزو والفتح، كما كان لا يزال يطمح في غزو مصر ويتربص بها الدوائر ليجعلها قاعدة حربية في غزو بلاد الغرب ولاسيما (قرطاجنة) التي اشتمل نفوذها سواحل البحر الأبيض المتوسط.

وتروى المسرحية أن "قمبيز" خطب بنت (أمازيس) ملك مصر لتكون زوجاً له. فلما زفت إليه وعرف بعد ذلك أنها ليست بنت (أمازيس) غضب وجن جنونه. وكان مصاباً بالصرع والجنون المتقطع المزمن. الذي هيأ له أن يشرع في غزو مصر لينتقم من ملكها الذي خدعه.

ويروى مؤرخو الإغريق أنفسهم أن أحد الجنود اليونانيين واسمه (فانيس) كان قد انتظم في سلك الجيش المصرى وارتقى إلى منزلة القواد. ثم سولت له نفسه أن يخون مصر وملكها ففر إلى فارس وأنهي إلى قمبيز خطة لغزو مصر وأبان له عن أيسر السبل لفتح البلاد فشرع يتأهب للغزو. وقبيل زحف الجيوش الفارسية وردت إليه الأنباء بموت (أمازيس) وتولى ابنه (بسامتيك) على عرش مصر.

غزا (قمبيز) مصر براً وبحراً فهوجمت مدينة (الفرما) بحراً وزحفت الجيوش البرية. وبعد مقاومة شديدة. استولى الفرس على البلاد المصرية وأسر (بسامتيك). وكان قمبيز في أول عهده بالفتح متسامحاً ولكنه عاد

فحنق على المصريين فهدم المعابد والهياكل وقتل بيده العجل (أبيس) في أثناء إحدى الاحتفالات الكبيرة.

وفي هذه الأثناء كان نائبه في فارس قد أثار عليه رعاياه، فلما علم بذلك أناب عنه في مصر أحد رجاله. وسار إلى بلاده لإخماد الفتنة فيها ولكنه مات قبل أن يصلها.

مسرحية قمبيز

تأليف المغفور له أحمد شوقي

نعلم من حوادث الفصل الأول لمسرحية قمبيز. أن "نفريت" ابنة "أمازيس" فرعون مصر، قد أريد لها أن تكون زوجاً "لقمبيز" ملك الفرس، فأبت أن تزف إليه وهي تعرف مال في رفضها لهذا الزواج من آثار سية تحل بأرضها وأوطانها . ونفريت فتاة مرحة غريزة يلعب بقلبها "تاسو" حارس أبيها.

وقد اختارها المؤلف ثورة للأنانية والأثرة البغيضة، وتعلم "نتيتاس"، بنت "أبرياس" فرعون مصر الذي قتله أمازيس، برفض نفريت أن تكون زوجاً لقمبيز، فتتطوع هي أن تزف إلى قمبيز بدلا منها، وهي بعملها هذا. تخاطر بحياتها في سبيل حماية وطنها، وقد جعلها المؤلف مثلا أعلى للتضحية والفداء في سبيل الوطن.

وتسافر نتيتاس مع الوفد الفارسى الذي حضر إلى مصر لمرافقتها إلى البلاد الفرس، وهي منتحلة لشخصية نفريت.

وفي الفصل الثانى من المسرحية نرى نتيتاس وقد تزوجت من قمبيز وأصبحت ملكة الفرس. ويدور بينها وبين وصيفتها المصرية "تنا" حديث نقتطف منه في السطور التالية ما يختص بالملك قمبيز.

الملكة: ما تصنعين يا تتيي

تتا: أصلح مولاتي

الملكة: لمن؟

تتا: للزوج يا سيدتي

الملكة: لنمر الفرس الخشن

تتا: هيبه ذئباً ملكتي أو نمراً أو كركدن.. أليس للازواج تلبـ س النساء ما حسن، ويتضح من هذا الحديث، أن الملكة ووصيفتها متفقان على وصف قمبيز بأنه كالنمر الخشن، أو كالذئب، أو كالكركدن. وفي موضع آخر يصف المتحدث قمبيز بأنه وحش في إهاب بشر.. ثم نسمع بعد ذلك ضجة وصياحاً وحركة جنود وراء القصر وصوت استغاثة.

ويقول المستغيث: العفو يا كسرى الصفح يا سلطان، أخوكَ والنار ومجدها ما خان، وتسأل الملكة أحد الحراس عن سبب هذه الضجة ويدور بينهما الحوار التالى:

الملكة: يأيها الحارسُ

الحارس: لبيك

الملكة: من يقتلون اليوم في الساحه

الحارس: أختُ الملك أوتوسيا

الملكة: أخت الملك؟

الحارس: أجل هيا

اتهمت ببرديا

تتا: من برديا؟

الملكة: أخو الملك! يقطع في الساحة رأس برديا يا أسفا عاوده جنونه ونفهم من هذا الحوار، أن قمبيز كان يصاب بنوبات جنون كان يفعل في أثنائها أفاعيل تقشعر لهوها الأبدان، ومن ذلك أنه قتل أخاه وأخته التي كان كانت في نفس الوقت وزوجته.

ويعلم قمبيز بعد ذلك من (فانيس) القائد الإغريقيي الخائن. أن الملكة ليست ابنه أمازيس فرعون مصر، ولكنها نتيتاس ابنه أبرياس فرعون مصر المقتول، فيثور غضباً على الملكة. ويدور بينها حديث عاصف. فتحاول الوصيفة تتا أن تهدى الملكة خوفاً من انتقام قمبيز الرهيب فتقول لها:

راجعى الحلم ملكتى سايريه   لا طفيه لينى له في الخطاب
لا تهيجى به الجنون فيطغى   إنه آدم بظفر وناب

ولكن نتيتاس تستمر في حديثها العنيف مع قمبيز، فتحذرها الوصيفة مرة أخرى، ويحذرها فانيس أيضاً من عاقبة تجرؤها على الملك قائلين لها:

الوصيفة: خذى في اللين مولاتى

فانيس: خذى سيدتى الحذرا

فقد تأخذه النوبة   حتى يحرق القصرا

ولكن الملكة لا تأخذ حذرها ولا تلين، فيهددها قمبيز بالانتقام منها بفتح مصر واحتلالها قائلا لها:

كفي عبثاً بسلطانى وبأسى   كفي ما كان نتيتاس منك
غداً يتحدث الركبان عني   ويروى الناس ما يروون عنك
كذبت على يا بنة أبرياس   حذار حذار من بطشى وفتكى
أنا قمبيز ابنُ كسرى   أنا جبارُ الوجود
وأنا النار أصولي   وبنو النار جدودي
ويل فرعونَ ومصر   من جنودي وبنودي

ثم يحس قمبيز بعد ذلك بأن نوبة الصرع توشك أن تفاجئه فيقول لنفسه:

رباهُ ويحى ويحَ لى ... رباه مالى لا أعى
رباه ناراه ما الذي أجدُ ... كأنما النارُ في تتقدُ
يا نارُ كوني لي ... أورمازدُ كنْ عونى

ثم يلتفت قمبيز إلى نتيتاس ويقول لها:

انتظرى البطش يا بنت فرعون
أنا قمبيز ابن كسرى ... أنا وحش أنا غولْ
لست بالعجل أبالى ... وعلى النار أبولْ

ويعود قمبيز إلى مناجاة نفسه مرة أخرى فيقول:

قد رجع الصفيرُ لى ... يا ليته لم يرجع
ما بال عينى أظلمتْ ... ما بال ساقى جمدتْ

أين الطبيب أزدشر؟

وما يكاد قمبيز ينطق باسم الطبيب حتى يدخل في المنرحلة الثانية لنوبة الصرع فيسقط على الأرض فاقد الوعى.

ويلاحظ القارىء أن المؤلف قد جعل مرحلة الإنذار بالنوبة تأتى على شكل إحساس بالنار تتقد في جسد قمبيز يتبعه إحساس بصفير في أذنيه (وها الصفير هو نوع من أنواع الهلوسات السمعية). ثم تنتهي مرحلة الإنذار بإحساس قمبيز بالجمود في حركة ساقه، أما إظلام

عينيه فهو نذير ابتداء المرحلة الثانية وهي مرحلة فقد الوعى. وبسقوط قمبيز على الأرض تبدأ المرحلة الثالثة للنوبة، وهي المرحلة التي تظهر فيها التقلصات العضلية.

وبعد أن يحضر الطبيب، يطلب نقل قمبيز إلى حجرة أخرى، وحينئذ تدنو الملكة من زوجها في جنو وعطف وهي تقول:

يا ويـــــحَ زوجــــــى ويحـــــه   هـــــاجَ وعـــــاده الصــــــرعْ

يا نار كـــــــــونى حولـــــــــه   أدركـــــــــه يا آمـــــــــون رعْ

وبعد أن يفيق قمبيز من نوبة الصرع. يعلم بأن رسلا أتوا من مصر بخبر موت أمازيس وتولية ابنه بسامتيك خلفاً له على عرش مصر. وتدور حوادث الفصل الثالث من المسرحية بعد فتح قمبيز لمصر وأسره لبسامتيك الملك وانتحار نفريت بالقاء نفسها في النيل خوفاً من انتقام قمبيز.

ويتجلى في هذا الفصل مدى الجنون الذي أصاب قمبيز فجعله يقتل بخنجره فانيس، ويأمر بقطع رأس "تاسو" حارس فرعون مصر، كما يغمد خنجره في صدر أحد قواده الشيوخ لأنه نصح له بأن يترفق في معاملته للمرضيين، ولا يتورع عن طعن العجل أبيس بخنجره بين قرنيه. ويصل جنون قمبيز إلى ذروته ويصاب ببعض الهلوسات البصرية فيقوم هائجاً وكأنما يفر من شبح شقيقه الذي قتله وهو يقول:

مَـــاذا بيـــا؟ مـــاذا بيـــا   هــــذا شــــقيقي بــــرديا

هــــذا شــــقيقي بــــرديا   وخنجــــري في صـــــدره

جئـــــتَ أخـــــى تجـــــزي   أخـــاكَ عـــن قبـــيح غـــدره

ثم يزداد هياجه ويفر من شبح أخته وزوجه التي قتلها فيقول:

أتوســـهُ أخـــتى ألا تصــفحين   أتوســـهُ زوجـــى ألا تغفـــرين

ثم ينظر يميناً ويساراً وهو يقول:

آه ليـــــــه آه ليـــــــه   مـــــا هـــــذه الزبانيـــــه

كتيبـــــــةٌ بموضـــــــع   وعســـــكرٌ في ناحيـــــهْ

أروءشٌ بوهـــــــــــــدة   وأرجـــــــل برابيـــــــه

كـــــل يصـــيح رد روحـــي   رد لى دمائيـــــــــــــــهْ

قمبيز : (مع الأشباح)

ويلـى مـن الماضـى ومـن أشباحه   هــذى خيــالات الزمــان الخــالي

عجب العجائب ويح لي ماذا أرى   شبحٌ. أجل شبحٌ وطيفُ خيال

شـــــبحٌ كالملـــــك الـــــوا   قـــى لعيـــــنى يلـــــوحْ

شـــــبح كـــــالزنبق النـــــا عـــــم يغـــــدو ويـــــروح

ظَهـــــرَ الحســـــنُ عليـــــه وســـــرى الطيـــــبُ يفـــــوحْ

تمثــال نتيتــاس حــول مــذاهبى أحبـــبْ بنتيتـــاس والتمثـــال

مــا بالــه ألقــى علــى ســكينة وأراحَ وجـــدانى وأنعـــم بالي

زوجــاه نتيتــاس ملكـــة فـــارس مـالى حرمـت حنـان قلبـك مـالي

ياليتـــنى لم أسمـــع الواشـــى ولم أخـرج حيالـك مـن قـديم ضـلالي

قد ساء حالى في غيابك فارجعي هيهـات بعـدك مـن يـرق لحـالي

أأراك عنـــدى والأمـــور رخيـــة وأراك عنــد شــدائد الأهــوال

بالله يا طيــف الحبيبــة قــل لهــا خلفــت قمبيــزا بأســوأ حــال

صـفنى لهـا تعسـاً كمـا شـاهدتنى قـد عـادني صـرعي وجـد خبـالي

يا بنــت مصــر ويا يتيميــة تاجهــا عـودي فـداؤك دولـتي ورجـالي

طـــابَوردُ الحمـــام يا نفـــسُ هيـــا خنجـــري خنجـــري إلى ألَيَســـا

(ويطعن نفسه بالخنجر ويقع)

وقد وفق شوقي في رسم شخصية قمبيز الطاغية المستبد كما وفق في وصف نوبات الصرع التي كانت تصيبه، وفي تصوير حال الجنون الصرعى المنزمن الذي يحدث كإحدى المضاعفات لمرض الصرع. هذا الجنون الذي كان يتميز. في حالة قمبيز. بالهوس والهياج وأعمال القسوة والقتل والتدمير.

ولكن المؤلف لم يكن واقعيا عندما عرض في المشهد الأخير صورة قمبيز وهو يعاني من تأنيب الضمير والندم المرير. إذ أن أمثال قمبيز من المصروعين المجانين لا يحدث لهم أي تأنيب من ضمائرهم لما يرتكبونه من الآثام والأعمال الوحشية. وإذا رجعنا إلى التاريخ. فإننا لا نجد في سيرة قمبيز أي أثر لوجود الضمير عنده. كما أن شوقي خالف الوقائع التاريخية التي تقول إن قمبيز لم يمت نتيجة لقتل نفسه بخنجر وإنما مات ميتة طبيعية في أثناء عودته إلى فارس لإخماد الفتنة التي قامت فيها.

ثامناً ـ الخمور

تعتبر الخمور مخدراً عاماً لجميع أجهزة الجسم التي تتأثر بها عن طريق الكحول الذي تحتويه والجهاز العصبي هو أكثر أجهزة الجسم تأثراً بالخمور. وتختلف نسبة الكحول في نوع من الخمور عنها في نوع آخر. كما يوضح ذلك الجدول التالي:

تحتوي البيرة	على ٢-٥% من الكحول النقي
تحتوي الشمبانيا	على ٩-١٠%
يحتوي النبيذ	على ٦-١٦ %
يحتوي البراندي	على ٣٦-٤٠%
يحتوي الكونياك والويسكي	على ٤٨-٥٠%
يحتوي الروم والعرقي	على ٥٠-٥٥%

وتتأثر المراكز العليا في المخ بجرعات بسيطة من الخمر؛ وبازدياد كمية الخمر. تتأثر مراكز الانفعالات والألم. ثم تتلوها المراكز السفلى الموجودة في الحبل الشوكي[١]. وأخيراً تتخدر المراكز الحيوية كمركز التنفس. ومركز الدورة الدموية.

[١] الحبل الشوكي هو حبل عصبي يمتد من أسفل المخ داخل قناة في العمود الفقري، وبه توجد المراكز السفلى التي تهيمن على حركة العضلات الإرادية، والتي تستقبل مختلف الإحساسات من الجلد والعضلات والعظام. والحبل الشوكي هو مركز الأفعال المنعكسة كذلك.

ولكي يمكننا أن ندرك النتائج التي تترتب على تخدير المراكز العليا للمخ نتيجة لتعاطى الخمر، يجب أن نذكر شيئاً عن الوظائف العضوية لهذه المراكز.

وظائف المراكز العليا للمخ:

توجد هذه المراكز العليا في قشرة المخ. ووظائفها كثيرة متعددة. أهمها:

١- تحد المراكز العليا من نشاط جميع المراكز الأخرى الموجودة في المخ وفي الحبل الشوكى. فهي إذن بمثابة الرقيب أو اللجام الذي يمنع هذه المراكز الأخرى من الانطلاق في نشاطها بدون ضابط.

٢- من أهم وظائف المراكز العليا في المخ. القدرة على الفهم والتقدير والتمييز بين الأشياء. وكذلك القدرة على الاستنتاج والاستنباط الصحيح.

٣- القدرة على التذكر.

٤- القدرة على الخيال.

٥- القدرة على القيام بالعمليات الميكانيكية الدقيقة، وهذه تنقسم إلى قسمين.

(ا) العمليات الميكانيكية المعتادة، كالكلام والكتابة الخ....

(ب) العمليات الميكانيكية التي لم يتعود عليها الإنسان، كقيادة السيارة لأول مرة مثلا.

٦- القدرة على االتركيز.

٧- القدرة على ضبط النفس.

ماذا يحدث للإنسان عندما يتعاطى الخمر؟

يتوقف هذا على مدى تعود الإنسان على شرب الخمر. وعلى نوع الخمر. وكميته. وعلى الظروف التي يوجد فيها شارب الخمر. وعلى طبيعة الشخص نفسه، فالشخص ذو الشخصية المنبسطة مثلا يستجيب لتأثير الخمر أكثر من الشخص المنطوى على نفسه.

ولتبحث الآن في تأثير الخمر على الشخص الذي يشربها لأول مرة.

١- إذا تعاطى شخص ما لأول مرة جرعة من الكحول النقى التي توازى ملء ملعقة أو ملعقتين صغيرتين (أي ما يعادل كوباً من البيرة). فإن أول شيء يحدث للجهاز العصبى هو تخدير للمراكز العليا في المخ. وهذا التخدير يؤدى إلى زوال رقابتها على المراكز الأخرى فتنشط هذه المراكز في عملها، وينعكس ذلك محلياً في تصرفات الشخص الذي يبدو في حالة نفسية وجسمية مريحة. فيتحرر من تخطفه، ويقل تفكيره في مشاغل الحياة. وتزداد ثقته بنفسه. ويقل خجله،ة ويصبح أكثر إقداماً ونشاطاً

وانبساطاً وسروراً وانطلاقاً، وتزداد طمأنينته، وتنحل عقدة لسانه. فيثرث كثيراً.

وقد يكشف حديثه عن أسرار لم يكن ليجهر بها لو أنه كان متمالكاً – –

١– إذا ازدادت الكمية التي يتعاطاها الشخص لأول مرة، إلى فنجال صغير من الكحول النقى (أي ما يعادل كوبتين من البيرة) فإن تأثيرها يختلف باختلاف الأشخاص. واختلاف الظروف المحيطة بهم، فبعضهم قد يشعر بالحاجة إلى النوم. وقد ينام فعلا كما يحدث للمرضى إذا تناولوا بعض الخمر في أثناء وجودهم بالمستشفى مثلا.

أما إذا وجد الشارب في حفلة مرحة، أو في جو انفعالى سار. فإن سروره يزداد. وتبدو عليه الرغبة في التعبير عن نفسه وعن شخصيته. أما قدرته على الفهم والانتباه فتقل. ومثلها في ذلك القدرة على التقدير والتمييز.. والاستنتاج والاستنباط والتبصر.

وتفقد الأصابع حركاتها الدقيقة وتصبح حركاتها خشنة. ونتيجة لذلك. يحدث اضطراب في القدرة على القيام بالحركات التي تحتاج لمهارة ودقة (كلعب البليارد مثلا) . كما يثقل الكلام. ويتخدر الإحساس، ويضطرب الإدراك. وسرعان ما تضعف قوة الخيال، ويفقد الشارب القدرة على ضبط نفسه. والسيطرة على انفعالاته التي تنطلق في سهولة ويسر فينفضح مثلا الحب المكتوم. أو يتجلى المزاج السيء. كما تظهر طبيعة

الشخص. وحقيقة أخلاقه. وسلوكه وتصرفاته. عارية واضحة أمام الناس. ولا تجد الانفعالات أمامها أية مقاومة. قتنطلق بدون ضابط لدرجة أن المؤثرات التافهة تسبب انفعالات شديدة. فكلمة بسيطة من أحد الحاضرين مثلا قد تتسبب في بكاء شارب الخمر. كما أن نكتة تافهة قد تحمله على الضحك بشكل مثير. كما قد ينتقل الشارب من حالة البكاء إلى الغضب إلى الضحك بمنتهي السهولة والبساطة.وتكثر حركات شارب الخمر في هذه الحالة.

ويميل للغناء والصراخ، والمشاكسة والشجار. والتفوه بالألفاظ النابية، كما يضيق صدره بالنسبة للنقد الذي قد يوجه إليه من الآخرين. أما تأثير الخمر في هذه الحالة. من الناحية الجنسية، فالمعروف أنها تزيد من الرغبة في الاتصال الجنسى. ولكنها في نفس الوقت تضعف القوة اللازمة لهذا الاتصال.

ونظراً للتخدير الذي تحدثه الخمر في المراكز العليا للمخ. وما ينتج عنه من ضعف القدرة على ضبط النفس، والاندفاع في الانفعالات، مع زيادة الرغبة الجنسية. فإن الخمر تعتبر من أهم العوامل التي تساعد على ارتكاب الجرائم الجنسية وغيرها. للك كان من الطبيعس أن نجد أغلب المجرمين يستلهون وحى الجريمة. وصفات الجرأة والاندفاع والتهور اللازمة لارتكابها. من بضعة كؤوس من الخمر يودعونها أجسادهم، لتتخدر عقولهم، وتغفو ضمائرهم، فيتهيأون عندئذ لتنفيذ جرائمهم وارتكاب موبقاتهم. وكم شاهدنا على خشبة المسرح وعلى شاشة السينما قصصاً تدور حول

فتيات طاهرات بريئات ساذجات فقدن عفافهن على أثر تناولهن لأول مرة في حياتهن بضعة كؤوس قليلة من الخمر.

٣- فإذا ازدادت الكمية التي يتعاطاها الشخص لأول مرة إلى فنجالين صغيرين من الكحول النقى (أي ما يعادل أربعة أكواب من البيرة)، فإنه يفقد السيطرة على الكلام، وتتداخل حروف الكلمات بعضها في داخل البعض فينطق الشخص الثمل بكلام غير مفهوم. وقد يصل به الأمر إلى حد فقد القدرة على النطق. وغالباً ما يصاب بالزغطة في هذه الحالة.

وتحتقن عينا الشارب ووجهه. وسرعان ما يفقد القدرة على القيام بالعمليات المعتادة كالكتابة، أو فتضطرب مشيته. وترتعش يداه، ويهتز جسمه إذا ما حاول المشى. وفي هذه الحالة قد يتجه بجسمه خطوة أو خطوتين ناحية اليسار، ثم خطوة أو خطوتين ناحية اليمين. وقد يحاول حفظ توازنه بالاستناد إلى شخص ما، أو خطوتين ناحية اليمين. وقد يحاول حفظ توازنه بالاستناد إلى شخص ما، أو إلى أي شيء قد يجده في طريقه. أو بالميل بجسمه إلى الوراء قليلا.

وكثيراً ما تفشل محاولاته في الاحتفاظ بتوازنه فيتعثر و ويسقط على الأرض.

وقد يفيق المخمور في هذه الحالة نتيجة لفصدمة عصبية قوية توقظ عقله الواعي. كأن يتلقى مثلا خبر وفاة شخص عزيز لديه. ولكنه لا

يستمر في وعيه طويلا. إذ أنه سرعان ما يعود إلى حالته المخمورة بعد فترة قصيرة من الوقت.

٤- فإذا ازدادت كمية الخمر التي يتعاطاها الشخص لأول مرة في حياته إلى ثلاثة فناجيل صغيرة أو أكثر من الكحول النقى (أي ما يعادل ستة أكواب من البيرة أو أكثر)، فإن التخدير يمتد إلى المراكز السفلى في الحبل الشوكى، وللمراكز الحيوية للتنفس والدورة الدموية، ونتيجة لذلك يدخل الشارب في دور الغيبوبة. فيصبح تنفسه صعباً مجهداً. به شخير، وأما وجهه فيزداد احتقانه. وإذا استمرت هذه الفيبوبة مدة تزيد على اثنتى عشرة ساعة. فإنها تنتهي بالوفاة في غالب الأحيان.

وعندما يستيقظ شارب الخمر من النوم في الصباح، فإنه يحس بصداع شديد. وغثيان. واكتئاب وهبوط عام في عقليته، وتعب في كل أجزاء جسمه، كما تقل قدرته على العمل واتقانه له.

ومن المعروف أن حساسية السيدات والأطفال للكحول أكثر من حساسية الرجال له، كما أن البدنين من الناس تكون مقاومته لمفعوله أقل من مقاومة نحيلى القوام.

هذا سرد عام لتأثير الخمر في الأشخاص الذين لم يعتادوا عليها. أما إذا اعتاد الإنسان على تعاطيها. فإنه يحتاج إلى كميات كبيرة منها لتحدث فيه التأثيرات التي سبق ذكرها. وذلك نظراً لأكتساب المدمن مناعة ضد مفعول الكحول. كما يكتسب المدمن هذه المناعة ضد الخمر./ فإنه قد يرثها إذا ولد لأبوين مدمنين للخمر.

إدمان الخمر

ينقسم شاربو الخمر إلى قسمين كبيرين:

أولا: القسم الأول ويتكون من أولئك الناس الذين يتعاطون الخمر في المناسبات كالأفراح والأعياد والولائم مجاراة منهم للمجتمع الذي يوجدون فيه، ولكنهم لا يشعرون بأي دافع بدفعهم لتعاطيها في غير هذه المناسبات. ويمكننا اعتبار مثل هؤلاء الشاربين أشخاصاً طبيعين.

ثانيا: أما القسم الآخر فيشمل أولئك الأشخاص الذين يشعرون بدوافع قوية تدفعهم لشرب الخمر حتى تصل بهم الحال إلى درجة الإدمان.

وهنالك عوامل كثيرة تهيىء التربة الصالحة لإدمان الخمر، وأهمها:

١– عامل الوراثة: فالشخص الذي يولد يدمنان الخمر، يكون أكثر تعرضاً للإدمان من الشخص الذي لا يسرى في دمه هذا العامل الوراثى.

٢– عوامل مهنية: وهذه تتضح أهميتها بالنسبة لعمال البارات، والقومسيونجية الذين يختلطون– بحكم عملهم– بمدمنى الخمر ويجاورنهم في تعاطيها، حتى تتمكن منهم عادة الإدمان.

٣– عوامل نفسية: وهذه نعتبر أهم عوامل الإدمان. فهنالك أشخاص كثيرون يعجزون عن مواجهة ومجتمعهم، إما لشعورهم بالنقص أو

لإصابتهم ببعض الاضطرابات النفسية، كالقلق، والإحساس بالكآبة، أو لوقوعهم تحت ضغط المتاعب المالية، أو العائلية، أو العاطفية، أو المرتبطة بالعمل

– تلك المتاعب التي ترهق نفسيتهم، فتضطرهم للالتجاء إلى الخمر يغرقون فيها ما عبهم وهمومهم، وهم يهربون عن طريق الخمر من واقع حياتهم الأليم ليعيشوا عادة ساعات في جو يهيؤه لهم خيالهم، فنسون بذلك كل ما نغص عليهم عيشهم، حنة إذا ما استيقظوا في الصباح، وجدوا أن المتاعب لا زالت في انتظارهم، فيلجأون مرة أخرى إلى الشراب، وهكذا دواليك. وتتكرر المأساة وتزيد بالتدريج كمية الخمر التي يتعاطاها الشارب حتى يجد نفسه بعد فترة من الوقت وقد تمكنت الخمر من جهازه العصبي فلا يستطيع الإقلاع عنها حتى ولو زالت الدوافع التي جعلته يلجأ إلى الشراب في أول الأمر.

ومن الملاحظ أ، هذا النوع من المدمنين يزداد عددهم زيادة مضطردة مستمرة وذلك نتيجة لضغط الحياة ومسئوليتها المتعددة في عصرنا هذا المليء بالمتاعب، والإرهاق، والقلق، وكثرة المطالب، والمنغصات.

٤– وهناك نوع آخر من الناس يشربون الخمر لأنهم لا يزالون يتعلقون بحياة طفولتهم الأولى، وبأمهاتهم، على الرغم من نضوج أجسامهم، ولما كانت أهم صلة تربط الطفل بأمه هي الرضاعة، فإن هؤلاء الأشخاص تكون حالتهم أشبه بحالة الأطفال الذين لم يفطموا بعد عن

الرضاعة. ويقول علماء النفس عن هؤلاء الأشخاص إنهم لم يفطموا بعد عن الرضاعة. ويقول علماء النفس عن هؤلاء الأشخاص إنهم لم يفطموا نفسيا. فإذا قابلت أحدهم مشطلة، أو صدمة، أو عقبة، ازداد حنينه إلى الأم وثديها، ولما كان لا يستطيع أن يرضع من ثدى أمه، فإنه يستعيض عن الرضاعة من ثدى أمه، بشرب الدخان، أو مضغ اللبان.

٥- وهناك صنف آخر من المدمنين يتعاطى الخمر لكي يوجد نفسه في حالة غيبوبة مستمرة، وهو بذلك ينتحر انتحاراً نفسيا، نتيجة لفشل أصابه في حياته غيبوبة مستمرة، وهو بذلك ينتحر انتحاراً نفسيا، نتيجة لفشل أصابه في حياته فجعله يتوق إلى الانتحار. ولما كان يخشى قتل نفسه، فإنه يدمن الشراب لدرجة تجعله أقرب إلى الموت منه إلى الحياة.

٦- وفي كثير من الأحيان يكون إدمان الخمر أو المخدرات علامة من علامات المرضى العقلي. فكثير من مرضى انفصام الشخصية. أو مرضى الاكتئاب. يصابون بأرق شديد ومخاوف مرضية وعقائد وهمية، فليجأون لشرب الخمر بقصد الهروب من المخاوف وجلب النوم. ولكن هيهأت أن يتحقق لهم ذلك.. والمرض كامن في نفوسهم، بل إن كثيراً ما تزداد حالتهم سوءاً بعد الإدمان

٧- وهناك مرض يسمى "هوس الشراب". يشعر المريض فيه برغبة قوية. ودوافع خفية تدفعه إلى شرب الخمر. وسيأتى الكلام عن هذا المرض فيما بعد.. ويتضح مما تقدم أن إدمان الشراب، هو حالة مرضية تستلزم

البحث والاستقصاء والتحقيق في أسبابها لكي يتم علاجها على أساس استئصال العوامل التي أدت إليها.

وسنذكر فيما يلى التأثير الذي يحدثه إدمان الخمر على الحالة الجسمية، والحالة العقلية للمدمن.

أولا: تأثير الإدمان على الجسم:

يتسم مدمنو الخمر عادة بهيئة عامة مميزة. فالذين في الغالب شخص ضخم الجثة، بدين إلا إذا أصيب بأمراض أو مضاعفات تفقده الكثير من وزنه فيبدو حينئذ نحيلا، هزيلا، شاحباً. وهو في العادة محتقن الوجه والعينين، مصاب برعشة في اليدين، والشفتين، واللسان. وقد تؤدى رعشة اللسان إلى صعوبة في نطق الكلمات، أما الأنف فيكون في الغالب محمر الطرف.

ومثل هذا المدمن لا يهمه أن يكتب احترام الناس، وهو لذلك لا يهتم بمظهره الخارجي، فغالباً ما تكون ملابسه متسخة، ينقصها الترتيب والنظام.

ومدمن الخمر تتعرض أكثر أعضاء جسمه للتلف،وخصوصاً الجهاز العصبي، والدموي، والهضمي، وغدد التناسل. ومن الأمراض الجسمية التي تنتج من إدمان الخمر، التهاب بياض العين (الملتحمة) الذي يؤدى إلى احتقان العينين، التهاب الحنجرة الذي يتسبب في تغيير معدن الصوت

فيصبح أجشا، أو مبحوحاً، والالتهابات المزمنة بالمعدة والإمعاء، وهذه تؤدى إلى فقد الشهية للطعام. ولا ننسى أن نذكر في هذا المقام التهابات المفاصل، وتليف الكبد، والتهابات الأعصاب، وتصلب الشرايين، وأمراض القلب والأوعية الدموية، والتهاب الكليتين؛ كما أن المخ يصاب بالمرض في خلاياه وأوعيته الدموية، والأغشية التي تغلفه. ويهيىء إدمان الخمر الفرصة لإصابة المدمن بالسل الرئوي، كما يضعف مقاومته العامة للأمراض، وخصوصاً للالتهاب الرئوي الذي قد يسدل ستار الختام على قصة حياته.

ثانياً: الإدمان على القوى العقلية:

تتأثر القوى العقلية تأثراً كبيراً نتيجة لإدمان الخمر، والحالات العقلية المرضية التي تتولد عن الإدمان، متعددة متشبعة، وأهم أنواعها:

١ـ الجنون الكحولى المزمن Chronic Alcoholic Insanity:

وهو ينتج من تعاطى الخمر بصفة مستمرة لمدة طويلة من الزمن. وأهم أعراضه، انحطاط مستمر في الشخصية، وفي القوى العقلية للمدمن الذي تتدهور عنده ملكات الإدراك والذكاء، ويفقد المثل العليا للأخلاق. وتدهور الإدراك والفهم والذكاء يصحبه ضعف في الذاكرة. فالمدمن يفقد ذاكرته خصوصاً بالنسبة للحوادث الحديثة الوقوع، بينما يحتفظ بالمقدرة على تذكر الحوادث التي انقضى عليها زمن طويل. وفي هذه الحالة ينحصر كلام المدمن في التحدث عن ذكرياته البعيدة، حتى إذا عجز عن تذكر

الوقائع الحديثة الوقوع، عمد إلى سد ذلك النقص، باختلاق حوادث لا أصل لا يملأ بها الفراغ الذي يحس به بسبب ضعف ذاكرته. وقد يصل ضعف الذاكرة عنده إلى حد نسيان الحوادث التي تقع له في التو والساعة.

وسير التدهور الأخلاقى جنباً إلى جنب مع نقص الإدراك والذكاء، إذ أن كليهما يترتب على ضعف الإرادة، وزوال رقابة المراكز العليا للمخ على المراكز السفلى التي يزداد نشاطها تبعاً لذلك، سش فتسير المدمن حسب ما س تميله عليه شهواته. وغرائزه، دون تهذيب، أو مراعاة لأحكام المجتمع والبيئة. ونتيجة لذلك يكون المدمن سريع التهيج، شديد الأنفعال، سيىء الظن، كثير الكذب، قليل الحياء، يعد ويخلف، س ويقسم أنه سيمتنع عن تعاطى الخمر إلى غير رجعة، بينما هو عائد ٩ليها لا محالة إذا لم يسعف بالعلاج.

والمصاب بالجنون الكحولى المزمن قد تظهر عنده الهلوسات. كما قد تسيطر عليه بعض المنعتقدات الخاطئة.

وتكون الهلوسات في أغلب الأحوال سمعية، كما قد يشكو المدمن من إصابته بأكثر من نوع واحد منها.

أما المعتقدات الخاطئة، فأغلبها ينتمى إلى النوه الاضطهادى، وقد تملى هذه المعتقدات على المدمن بعض التصرفات الإجرامية، فيندفع لقتل إأعدائه الوهميين الذين يخيل إليه أنهم يضطهدونه.

وقد تتسلط عليه عقائد الغيرة الوهمية، نتيجة لفشله في أداء مهمته كزوج فينسب عجزه الجنسى في هذه الحالة، إلى خيانة زوجته له. وقد يخيل إليه أحياناً أن زوجته تنوى به شراً. وقد يعتقد أنها تفكر في الإقدام على قتله، أو وضع السم له في الطعام، فيعتدى عليها بالضرب والإيذاء، وقد يصل به الأمر إلى تتلها.

أما في محيط عمله، فيكثر إهماله، وتنعدم مواظبته، وينحط نوع العمل الذي يؤديه.

وفي محيطه المنزلى، فكثيراً ما يكون مصدر بلاء على زوجته وأولاده، إذا أنه- نتيجة لانصرافه إلى شرب الخمر وإنفاق كل مكسبه في هذا السبيل- يهمل مصالحهم والإنفاق عليهم- وهذا بالإضافة إلى ما يتعرضون له من الإهانة والضرب والطرد.

والمريض بهذا النوع من الجنون لا يكون عنده تبصر بحالته، وهو لذلك يقاوم كل فكرة ترمى إلى إفهامه بأن للخمر تأثيراً سيئاً عليه. وقد يشعر المريض في بعض الأوقات بالاكتئاب، الذي قد يتناوب مع فترات من الهياج. وإقدام هذا النوع من المرضى على الانتحار ليس ببعيد.

وقد ذكر الدكتور "فرويل" أن الممالك التي تسيطر على سكانها عادة الإدمان على الخمر تزيد فيها نسبة ارتكاب الجرائم، وتكثر فيها حوادث الانتحار، علاوة على ما تسببه الخمر للمدمنيين عليها من قصر

الأجل، والفقر، والمرض، والانحطاط الخلقي، والأمراض السرية، وفشل الحياة الزوجية، وضعف النسل.

قد شاهدنا أخيراً على الشاشة البيضاء فيلماً تدور قصته حول شابة أدمنت الخمر حتى أصيبت بمرض الجنون الكحولي المزمن. وسنحاول فيما يلي تلخيص هذا الفيلم والتعليق عليه.

فيلم "سأبكي غداً"

توزيع مترو جولدوين ماير

يصور هذا الفيلم القصة الحقيقة لحياة المطربة الأمريكية "ليليان روث" كما روتها بنفسها.

وليليلان روث هذه تناولت أول كأس الخمر في حياتها لكي تستعين به على تهدئة أعصابها الثائرة، ومقاومة الأرق الفظيع الذي لازمهت بعد وفاة حبيبها "داڤيد" الذي كانت تستعد للزواج منه، وكان موت دافيد هذا صدمة عاطفية قوية هزت كيانها هزا. ولم تقدر ليليان على مجابهة الواقع المفجع الأليم، فأرادت أن تهرب من أفكارها وذكرياتها، بل ومن نفسها.. وكانت الخمر سبيلها إلى هذا الهرب. وازدادت كمية الخمر التي كانت تتعاطاها يوماً بعد يوم، حتى أصيبت بالإدمان. ولم تكمن الخمر لترفق بها، بل كانت تذهب بعقلها وتعرضها للهوان... ووقعت فريسة للجنون الكحولى المزمن، فتبدلت حالتها تبدلا تاما، وتهتكت في سلوكها وتصرفاتها.

وفي إحدى الليالى أخذت تعب من كؤوس الخمر عبا حتى فقدت وعيها.

ولما استيقظت في الصباح كانت دهشتها شديدة عندما وجدت إلى جوارها على الفراش، شاباً كان قد انتهز فرصة غيابها عن الوعى، فتزوجها دون أن تدرى.

وعاشت مع هذا الشاب شهرين من الزمان لم تفق خلالهما من السكر لحظة، وكما تزوجها هذا الشاب وهي ثملة، هجرها كذلك وهي ثملة، فلم تأسف كثيراً لتركه لها.

وكانت ليليان تذهب إلى المسرح لتغنى وهي مخمورة تترنح، ولم يصبر عليها أصحاب المسارح طويلا فانصرفوا عن تشغيلها... وأخذت صحتها تتدهور، وسمعتها تسوء، ومستقبلها الفنى يظلم، وبدأت نقودها تنفذ، وظهرت الرعشة في يديها وشفتيهما، وأخذ عقلها يسير بخطى واسعة نحو الإنحلال حتى أنها باعت معطفها لتشرب الخمر بثمنه. وتحولت إلى مرأة متشردة تجوب الطرقات بثياب ممزقة، حتى أغمى عليها من الجوع والتعب والإعياء في أحد الأيام.

واصبحت سريعة التأثر، شديدة الانفعال. سيئة الظن. وفي يوم من الأيام تشاجرت مع أمها مشاجرة عنيفة. ثم هدأت والتمست الصفح منها، ووعدت أمها بألا تذوق الخمر أبداً، وخرجت من المنزل بعد ذلك لكي تشترى طعاماً... ولكنها لم تعد لأنها صممت على أمر خطير.

لقد استأجرت غرفة في عمارة شاهقة، وأغلقت على نفسها الباب، ثم تقدمت إلى النافذة لتلقى بنفسها منها إلى عرض الطريق، ولكنها وقعت

على أرض الحجرة مغشيا عليها. وعندما أفاقت كان تفكيرها قد تغير، واتجه اتجاهاً آخر.

وذهبت ليليان إلى إحدى المؤسسات الصحية التي تساعد المدمنين على الشفاء، وهناك وجدت زميلات لها وزملاء كانوا يعانون نفس المشكلة، ولكنهم ينعمون الآن بالخلاص من هذا المرض.

وبقيت في المؤسسة مدة من الزمن اجتازت في أثنائها الأزمات الرهيبة العنيفة التي كان يلح عليها فيها شيطان الشراب، وعادت إليها بالتدريج شخصيتها الطبيعية الأولى، وشفيت من مرضها المزمن الخطير. وبعد مغادرتها للمؤسسة تزوجت من رئيس المؤسسة الذي ساعدها على الشفاء، ودعتها محطة للتليفزيون في أمريكا لكي تروى قصتها لملايين المستمعين.

إنها القصة الحقيقة للمطربة الأمريكية ليليان روث كما عرضتها سوزان هيوارد في فيلم سأبكى غداً:

ويلاحظ القارىء أن ليليان لم تقبل على تعاطى الخمر إلا بعد الصدمة النفسية الشديدة التي حلت بها بوفاة حبيبها الذي كانت تزمع الزواج منه. وقد سبق أن ذكرنا أن الاضطرابات والصدمات النفسية هي أهم العوامل التي تجعل الإنسان يندفع في شرب الخمر محاولا بذلك أن يغرق همومه وأحزانه وآلامه النفسية في بحرها العجاج.

وقد وفقت مؤلفة القصة في سرد تاريخ حياتها بأمانة وصدق، كما أن مخرج الفيلم وكذلك بطلته قد وفقا التوفيق في إظهار أعراض الجنون الكحزلى المزمن سواء من الناحية العقلية (السلوك- التصرفات- انحطاط الإدراك- انحلال الشخصية الخ ...) أو من جهة المظهر الخارجي والانفعالات والحركات (الملابس- الهيئة العامة للوجه والجسم- اعتلال الصحة وما يتبعها من النحول والشحوب- رعشة اليدين والشفتين الخ...).

سوزان هيوارد في شخصية ليليان روث المدمنة على الخمر في أثناء مشاجرتها مع والدتها في فيلم "سأبكى غداً" (مترو جولودين ماير)

٢ـهوس الشراب Diposmania:

وفيه تحدث للمريض نوبات من الهوس يحس في أثنائها برغبة جامحة لا يمكن مقاومتها نحو الشراب. فإذا شرب ظهرت عليه حالة من السكر الحاد تتميز بالقلق والهياج الشديد المصحوب بالأعمال العدوانية العنيفة، والهلوسات، والمعتقدات الخاطئة. وقد تستمر هذه النوبة بضع دقائق أو يوماً أو بضعة أيام، ثم يعقبها نوم عميق. وعندما يفيق المريض لا يذكر شيئلً عن حالته، أو عن الأفعال التي صدرت منه. وتحدث هذه الحالة المرضية غالباً في المتوسطين من العمر الذين يرثون الاستعداد لها عن طريق والديهم. وهي تظهر في أغلب الأحوال بعد تعاطى مقادير قليلة نسبيا من الخمر. ومن الغريب أنه في أثناء الفترات الهادئة التي تفصل بين النوبات،

لا يحس المريض برغبة في الشراب، بل قد تتولد عنده كراهية نحوه، حتى إذا جاء ميعاد النوبة اجتاحه من جديد تلك الرغبة الجامحة المجنونة نحو الشراب.

وقد يحدث أن يؤلف هوس الشراب عارضا من أعراض مرض عقلي آخر كجنون الهوس الاكتئابى، أو مرض الصرع.

ومن المعروف أن أغلب جرائم القتل التي يرتكبها شاربو الخمر إنما اتحدث في أثناء إصابتهم بنوبة من نوبات هوس الشراب.

٣ـ الهذيان الإرتعاشى Derlirium Tremens:

ويحدث هذا المرض نتيجة لتعاطى االشخص كمية كبيرة من الخمر دفعة واحدة، كما قد ينشأ من انقطاع المدمن فجأة عن تناول الخمر. وتتخلص أعراض المرض فيما يأتي:

(ا) يصاب المريض أولا بحالة من عدم الاستقرار والأرق تستمر لبضعة أيام من ثلاثة إلى خمسة أيام).

(ب) ثم تزداد الحالة سوءاً بظهور الهذيان الذي يكون مصحوباً بنوع من الهلوسات البصرية المرعبة كأن يرى المريض حشرات لأو ثعابين، أو فيراناً تجرى وتزحف على سطح الحجرة التي يوجد فيها. ويستجيب المريض لهذه الهلوسات البصرية بمحاولته الفرار من الغرفة. وفي هذه الأثناء تضعف قواه العقلية، لدرجة أنه يخطىء في تقدير الوقت وفي معرفة

الأشخاص. وطوال نوبة الهذيان يلازمه الأرق، وتنتابه رعشة ملحوظة باليدين، وترتفع درجة حرارته قليلا ويفقد شهيته للطعام. وتستمر نرحلة الهذيان هذه مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أيام.

ثم ينام المريض بعد ذلك نوماً عميقاً قد يطول لمدة أربع وعشرين ساعة.

فغذا منا استيقظ المريض من نومه. فإنه لا يذكر إلا لماماً نوبة الهذيان والارتعاش

وتنبع خطورة هذه الحالة من أن المدمن قد يموت من الإعياء في أثناء مرحلة عدم الاستقرار والهلوسة.

تاسعاً۔ المخدرات:

وأهمها الأفيون، والمورفين. والهروين، والكوكايين، والحشيش.

وقد عرف تأثير الأفيون المخدر منذ أقدم العصور، فقد ورد ذكره في أوراق البردى التي خلفها قدماء المصريين، كما استعمله الصينيون في الأزمنة القديمة كمخدر قبل إجراء العمليات الجراحية.

وقد وجد الأسبان الذين اكتشفوا بيرو، أن سكانها يمضغون أوراق الكوكا لأنها تنشطهم، وتجعلهم يحسون بنشوة غريبة. ومن أوراق الكوكا استخرج الكوكايين، وإليه يعزى تأثيرها.

وقد عرف في القرون الوسطى تأثير نبات القنب الهندى الذي يستخرج منه الحشيش، وهنالك قصص كثيرة عن طائفة كانت تسوطن جبل لبنان عرفت باسم طائفة الحشاشين، لأن أفرادها كانوا يتعاطونالحشيش لينقلهم إلى عالم الخيال والأحلام. وكان رئيسهم لا يناولهم الحشيش إلا بعد أن يرتكبوا الجرائم التي يفرض عليهم ارتكابها، ولذلك فإنهم كانوا ينطلقون كالوحوش لارتكاب الجرائم حتى ينالوا مكافآتهم التي كانت تتكون من كميات من الحشيش يعطيها لهم الرئيس. وقد ذاع خبر هذه الطائفة وجرائنهنا في أوروبا فاشتق من اسمها اللفظ الأفرنجي Assaain بمعنى القاتل.

وتنقسم حالات مدمنى المخدرات إلى قسمين:

١- هؤلاء الأشخاص الذين انتابهم الإدمان بعد تعاطى المخدر كدواء، وقد يحدث هذا في حالات المغص الكلوي أو المراري وخصوصاً إذا تكرر تعاطي المخدر بتكرار هذه النوبات.

وهناك أحوال يضطر فيها بعض المرضى المصابين بالسرطان إلى تعاطى المخدر لمدد طويلة، ومثل هؤلاء المرضى يكونون عادة في حالة نفسية وعقلية متزنة قبل تعاطى المخدر.

٢- وهناك أناس ينتابهم الإدمان بعد طول تعاطى المخدر كمكيف وهؤلاء في العادة يتعاطون المخدرات للهروب من العوامل النفسية السيئة

التي يقعون تحت وطأتها سواء في حياتهم العائلية. أو العاطفية، أو في محيط عملهم.

وهم من هذه الناحية يستوون مع الذين يدمنون الخمر لنفس هذه الأسباب.

وقد انتشرت المخدرات أخيراً بين الشبان والطلبة، وذلك لأنها يهيىء لهم جوا خياليا لا يجدونه في المنزل، أو المدرسة، أو المجتمع؛ فهم يهربون كمدمني الخمر من وقع الحياة إلى الخيال.

وتنتشر المخدرات أيضاً بين سكاف الريف حيث الفراغ الهائل الذي لا يجدون سوى أنفاس الحشيش يملأونه بها.

وهناك أناس تقبل على تعاطى المخدرات وخاصة الحشيش لأغراض جنسية. ولكن الأطباء وعلماء النفس متفقون على ا، الحشيش له تأثير سيء على العملية الجنسية، وأن كل ما ينسب إليه من تأثير حسن إنما يرجع إلى عامل الإيحاء وحده.

وكما سبق أن ذكرنا في حالات الإدمان على الخمر، فإن الكثيرين من مدمنى المخدرات ينتمون إلى أولئك الأشخاص الذين لم يفطموا نفسيا، كما أن بعض مرضى العقول يلجأون إلى المخدرات بقصد الهروب من المخاوف المرضية ولجلب النوم إلى عيونهم المؤرقة.

ادمان الأفيون والمورفين والهروين

يستخرج الأفيون من نبات الحشائش، ويحتوي الأفيون على أكثر من عشرين عقاراً، من أهمها المورفين الذي يوجد في الأفيون بنسبة ١٠% أما الهروين فهو مشتق كيماوى من المورفين، وهو يعتبر أخطر المخدرات جميعا.

ويؤخذ المورفين والهروين عن طريق الاستنشاق، أو عن طريق الحقن تحت الجلد أو في الوريد. ويتدرب المدمن عادة على إعطاء الحقن لنفسه، وتترك الحقن بمضى الزمن آثاراً لا تمحى في جلده.

أما الأفيون فهو يؤكل عادة باذابته في القهوة أو الشأي، ولكن كثيراً من المدمنين وخصوصاً في بلاد الصين يميلون إلى تدخينه. أما في أوربا عامة وأمريكا خاصة فيؤخذ الأفيون عن طريق الحقن تحت الجلد.

وعندما يقع الشخص تحت تأثير المخدر، فإنه يبدو للناس في صورة محببة؛ فحقنة المورفين أو جرعة الأفيون تشعر المدمن بالسعادة، وتمده بالحيوية والنشاط، وتبعث فيه المرح والسرور، وتساعده على الهرب من متاعبه الشخصية والعائلية والمالية، وتضعف إحساسه بالآلام الجسمية كما تمده كذلك بصفاء في الذهن، ونشاط في الفكر، حتى ليحس نفسه عملاقاً كبيراً من جهة النشاط الذهني والجسمى.

ومن أهم علامات التخدر بالأفيون والمورفين، ضيق حدقة العين (حتى أنها اتبدو في حجم رأس الدبوس الصغير)، وزرقة لون الشفتين وبطء التنفس. أما درجة حرارة المدمن فتكون عادية على الرغم من إحساسه بارتفاع درجة حرارته. ولا يحس الشخص الواقع تحت تأثير المخدر بالحاجة إلى الطعام، أو التبرز.

وتأثير المخدر مؤقت لا يلبث أن يزول بعد فترة من الزمن.

وبمرور الوقت، يضطر المدمن إلى الزيادة كمية المخدر التي يتعاطاها ليحس بالنشوة المطلوبة.

وأهم تأثير لإدمان الأفيون أو المورفين أو الهروين يتركز على شخصية المدمن، وعلى قواه العقلية.

فالمدمن لهذا النوع من المخدرات يصبح أنانياً، يهمل أولاده وعائلته ومنزله، وعمله وواجبه،÷ كما يصبح عديم الاهتمام بملمبسه ومظهره الخارجي، وتضعف إرادته وشخصيته، وتستبد به الأفكار المحزنة وتكثر في ذهنه التخيلات ويبيح لنفسه قضاء شهواته وهو واقع تحت سيطرة المخدر.

هو يتغاضى عن كل القيم والمعايير الأخلاقية كالأمانة والصدق، فهو لا يتورع عن سرقة أعز صديق لديه، وإذا اكتشف أمره، فإنه لا يشعر بالخجل أو تبكيت الضمير. ومن أهم خصائص المدمن أيضاً، أنه لا يتورع

عن القيام بأي عمل أو ارتكاب أية جريمة في سبيل الحصول على جرعات المخدر بانتظام.

ومع الإدمان تضعف الذاكرة ويقل الذكاء بالتدريج حتى تصل الحال بالمدمن أخيراً إلى درجة العته أو الخبل.

وإذا قدر للمريض الشفاء من إدمان أحد مشتقات الأفيون بواسطة العلاج الطبي، فإن أية صدمة مالية أو نفسية قد تكون كافية لأن يعود لحالة الإدمان مرة أخرى.

وإذا حل ميعاد جرعة المخدر ولم يتمكن المدمن من الحصول عليها فيصاب بأعراض خاصة أهمها ظهور رعشة باليدين، وشعور بالصداع والغثيان، وإحساس بآلام هائلة في الجسم والبطن ويصبح الشخص في حالة فظيعة من عدم الاستقرار، والاضطراب، والهياج، ويصاب بالهذان، وينقلب إلى وحش كاسر يحطم كل شيء، ويفعل أي شيء للحصول على جرعة المخدر، كما تصبح الحياة بالنسبة له غير محتملة. ويظل على هذه الحال حتى يصاب بالهبوط والإعياء، ولا يخمد هذه الأعراض إلا جرعة أخرى من المخدر.

فيلم "الرجل ذو الذراع الذهبية"

إنتاج يونيتد أرتستس

ومن الأفلام التي تعرضت لمدمنى الأفيون، فيلم الرجل ذو الذراع الذهبية.

وتنعقد البطولة في هذا الفيلم لرجل عولج من داء إدمان الأفيون في إحدى المصحات، ثم عاد بعد ذلك إلى زوجته وبيئته الأولى.

أما زوجته فهي امرأة جميلة تحبه لدرجة العبادة، وهي تتظاهر بأنها مصابة بنوع من الشلل يمنعها من الشلل يمنعها من المشى والوقوف، وتطلب إلى زوجها أن يجلس إلى جوارهاطول الليل والنهار ليدلك ساقيها وظهرها، ويحدب عليها ويهتم بحالتها، فإذا أخبرها بأنه مضطر إلى البحث عن عمل يرتزق منه، لم يجد أذنا صاغية تعى وتقدر ما يقول، فينصرف من منزله غاضباً محنقاً ثائر الأعصاب.

ويتلقفه أصدقاؤه القدماء فيزينون له العودة إلى حرفته القديمة– حرفة ابتزاز أموال الأغنياء باجتذابهم إلى لعب الورق معه، ولكنه يرفض ذلك العرض رفضا باتاً، وتتكالب عليه المنغصات؛ فهو محتاج إلى المال لعلاج زوجته من مرضها، في حين أنها لا تشجعه على اكتساب رزقه من الموسيقا التي يود احترافها، أما أصدقاؤه فلا يتورعون عن الضغط عليه لاستغلال

ذراعه التي تكسب ذهباً من لعب الورق، كما يشجعونه على العودة إلى إدمان المخدرات.

وتضطره الظروف أخيراً إلى لعب الورق لحساب زملائه المحتالين مع جماعة من الأغنياء القادرين. ويظل يلعب طول الليل، ولكن أعصابه لا تحتمل الاستمرار في اللعب فيخسر. ويعطيه أصدقاؤه حقنة من الأفيون ليستعين بها على مقاومة التعب والإرهاق. ويستمر في اللعب حتى الصباح، ولكن نقود زملائه تنتقل سريعاً إلى جيوب الآخرين.

ويذهب بعد ذلك لتأدية امتحان في الموسيقى، ولكن أعصابه المكدزدة المنهوكة تخونه فيفشل في الامتحان. ويتسلط عليه الحزن وةاليأس والإرهاق فيطلب إلى أحد أصدقائه أن يسعفه بجرعة من الأفيون ينسى بها فشله، ولكن صديقه هذا يطلب منه نقوداً في الوقت الذي لا يملك فيه فلساً واحداً، فيحاول الاعتداء على صديقه ولكن الرجل يهرب.

وقد كانت لفتة حسنة من المخرج أن أظهر لقطة لعيني البطل وهو واقع تحت تأثير الأفيون فتظهر فيها حدقتاه الضيقتان.

ويظهر المخرج لنا بعد ذلك حالة الهياج وعدم الاستقرار والآلام الهائلة ورعشة اليدين المخيفة التي يعانيها المدمن عندما يفشل في الحصول على جرعة من المخدر. كما يرينا المؤلف كيف حاول بطل القصة الحصول على المخدر بكل وسيلة حتى ولو أدى ذلك إلى محاولة الاعتداء على الغير.

وبعد أن ييأس بطل القصة من الحصول على المخدر، يذهب إلى صديقه له تحبه ويتوسل إليها أن تحبسه في إحدى الغرف وأن تبعد عن متناول يديه كل السكاكين والأمواس والمقصات والأسلحة الحادة، وأن تغلق عليه باب الحجرة ولا تفتحه مهما توسل إليها فقد استقر عزمه على علاج نفسه بنفسه من حالة الإدمان مهما كلفه ذلك من جهد ومشقة. وتنفذ له صديقته كل رغباته.

وهنا نراه وقد إزدادت رعشة يديه وبلغ هياجه قمته، واشتدت ثورته، وأحس بالآلام الهائلة تطحن جسمه فتشنج عضلاته، ولا يجد بدا من أن يحطم كل شيء في الغرفة.

وتنتهي الأزمة أخيراً، فيعود إلى منزله ليجد زوجته المشلولة تمشى!! وتأخذ المفاجأة بقلب الزوجة التي أدركت افتضاح أمرها زوجها فتجرى إلى خارج غرفتها وتلقى بنفسها من أعلى السلم. ويجرى زوجها إلى أسفل السلم مذهولا من هول المفاجأة، فيراها وهي تعانى سكرات الموت، ويسألها لماذا تظاهرت بالمرض طوال هذه المدة وماذا كانت تقصد من ذلك، فتجيبه قائلة: "لأننة أحبك حبا... شديداً" ثم تسلم الروح.

وكان حبها الشديد هذا حبا مهلكاً غى حقيقة الأمر، جعل زوجها يهرب من منزله ويهرب من واقع حياته كلها ليلتمس الصبر والسلوان في حقن الأفيون.

ولم يجد بطلنا– بعد أن ماتت زوجته – بدا من أن يغادر تلك البيئة وتلك المدينة التي عاش فيها طول حياته، لكي يبدأ حياة جديدة في مدينة أخرى وبيئة لا توجد فيها عوامل الإرهاق العصبى والقلق النفسي والمشاكل المالية والعائلية التي دفعت به مرتين إلى عالم المخدرات.

فرانك سيناترا في شخصية فرانكي المدمن على الأفيون وهو بما في أزمة هائلة بعد فشله في الحصول على المخدرفي فيلم "الرجل ذو الذراع الذهبية" (يونيتد ارتيتس)

فيلم "الأفق المجهول" "A Hattul Of Rain"

إنتاج فوكس للقرن العشرين وهذا فيلم آخر تعرض لنفس الموضوع الذي نحن بصدده، وتدور قصته حول رجل اشترك في الحرب الكورية، وعولج بالمورفين من الهزات العصبية العنيفة التي كانت تصيبه، فتسبب ذلك في إدمانه على هذا المخدر.

وقد رأينا في هذا الفيلم كيف أن المدمن يستهين بكل شيء ويسلك كل السبل ليتمكن من الحصول على المخدر؛ فبطل القصة لم يتورع عن الاستيلاء على كل ما اقتصده أخوه ليصرفه في شراء المورفين، كما رأينا كيف كان سلوك البطل وتصرفاته نحو زوجته ووالده وأخيه، فهو لا يهتم بأمر أي واحد منهم، كما لا يهتم بأمر نفسه، فهو يترك نفسه تحت رحمة تجار المخدرات يملون شروطهم عليه ويتصرفون فيه كيفما شاء لهم الهوى، وكأنما قد تركز محور حياته حول الحصول على المخدربأي ثمن وعن أي طريق وبأية وسيلة.

وتبخرت نقود أخيه، ووجد نفسه ذات يوم عبر قادر على الحصول على جرعة المورفين فأخذ يعانى تلك الأعراض الرهيبة التي يعانيها المدمن إذا لم يسعف بجرعة المخدر في ميعادها. وتعلم زوجته بالمرض الذي يعانيه فتتكاتف مع والده لإدخاله إحدى المصحات العقلية ليعالج فيها من مرض الإدمان على المورفين.

وبينما يعالج فيلم "الرجل ذو الذراع الذهبية" موضوع العوامل النفسية وعوامل البيئة التي تؤدى إلى ادمان المخدرات. إذا بفيلم "الأفق المجهول" يتعرض لحالات الإدمان التي تعقب استعمال المورفين كمسكن لآلام بعض الأمراض.

وقد بلغ التمثيل في هذين الفيلمين حد الإعجاز، ولا يمكن أن يتأتى ذلك لأي ممثل مهما بلغت عبقريته إلا على أساس من الدراسة العلمية المتعمقة لحالات مدمنى المخدرات، مع تطبيق عملى على النماذج الإنسانية الحية التي تمتلىء مستشفيات الأمراض العقلية.

فيلم "ثمن المجد" أو "قصة حياة چين إيجلز" "Jeanne Eagels"

إنتاج كولومبيا

تدور حوادث هذا الفيلم حول فتاة طموح تعمل في سيرك، ولكنها لا ترضى عن عملها هذا، فتجاهد حتى تغدو ممثلة في الصف الأول. ويصيبها غرور المجد، فتتزوج من فتى رياضى تافه يدفعها إلى شرب الخمر حتى تدمنها فتمهل عملها، ويتغير سلوكها، وتتبدل تصرفاتها. وتندفع في هذا الطريق الوعر لا تبالى بأي شيء، بل تزيد الطين بلة بإدمانها على تعاطى حقن المورفين. وفي ليلة الافتتاح لمسرحيتها الجديدة، تعب كؤوس الخمر مترعة، ويحقنها الطبيب بحقنة من المورفين قبل أن تظهر على المسرح لتؤدى دورها.

ولكن ما أن نطقت بأول جملتين في دورها حتى ترنحت وسقطت على خشبة المسرح. وتقدمها نقابة الممثلين إلى مجلس تأديب يحكم بمنعها من الاشتغال بمهنة التمثيل لمدة ثمانية عشر شهراً، فتظلم الدنيا في وجهها، ولا تجد خلاصاً إلا في بعض الأقراص المنومة التي تتناول منها جرعة كبيرة تنهي بها حياتها التي أصبحت شقاء في شقاء.

كيم نوفاك في شخصية جين ايجلز بعد أن وقعت على خشبة المسرح نتيجة للإعياء الشديد الذي قاسته من إدمان الخمور والمورفين في فيلم "ثمن المجد" (كولومبيا)

ادمان الكوكايين

يستخرج الكوكايين من أوراق نبات الكوكا الذي ينمو في أكريكا الجنوبية وجزائر الهند الغربية والشرقية. وهو مسحوق أبيض يؤخذ غلبى هيئة نشوق، أة عن طريق الحقن تحت الجلد.

والكوكايين ينبه الجهاز العصبى فيحدث إحساساً بالسرور والسعادة ورغبة ملحة في الرقص والطرب وشعوراً بالرضا النفسي وهدوء البال والنشاط والحيوية والحركة لدى من يتعاطاه، كما يجعل الشخص كثير الكلام كثير الضحك، ضعيف الإحساس بالتعب، فاقد الشعية للطعام.

ومدمن الكوكايين بالذات يمكنه الاستغناء كلية عن تناول الطعام. وعلى النقيض من الأفيون والمورفين، يسبب الكوكايين اتساعاً في حدقتى المدمن الذي يظهر في عينيه أيضاتً بريق غريب.

ومفعول الكوكايين مؤقت لا يستمر أكثر من ثلاثين دقيقة، ولذلك فإن التنبيه الذي يجلبه سرعان ما يزول، ثم يصاب الشخص بعد ذلك بالاكتئاب وعدم الاستقرار حتى يتعاطى جرعة أخرى.

ونظراً لغلاء هذا العقار، فإن مدمن الكوكايين ينتمي عادة إلى الطبقة الثرية القادرة، كما أنه قد يكون واحداً من بين المشتغلين بتهريب المخدرات والاتجار فيها.

ويبدأ إدمان الكوكايين بدافع الفضول وحب التقليد والرغبة في معرفة تأثيره. ويبدأ المدمن ياستنشاق مقدار صغير منه في أول الأمر، فد يبلغ عشر الجرام، مستعملا إحدى فتحتى أنفه حتى يحس بالنشوة والحيوية اللتين سبق لنا وصفهما، كما ينفق ذهنه للإبداع حتى ليخيل إليه أنه موشك على نظم الشعر وإخراج اللحن وتنفيذ الصورة حتى ولو لم يكن شاعراً ـ أو مومسيقيا أو رساماً.

ولقد ثبت طبيا أن الكوكايين يقلل الرغبة الجنسية في الرجال، فيصدهم عن النساء ولكنه يخلق فيهم نوعاً من الشذوذ الجنسى يدفعهم للاتصال ببنى جنسهم.

وتتدهور أخلاق المدمن وعقليته بسرعة غريبة، فيفقد احترامه لنفسه وثقته بها، ويصبح تحت رحمة من يمدونه بالعقار الذي لا ينورع المدمن عن ارتكاب أية جريمة من جرائم القتل أو السرقة من أجل الحصول على جرعة منه.

ويعانى مدمن الكوكايين من مجموعة من الهلوسات الغريبة، فهو يحس بأن جيوشاً حرارة من البق تمشى فوق جسمه. وتسمى هذه الظاهرة بظاهرة "بق الكوكايين" كما قد يسمع أصواتاً غريبة (هلوسات سمعية) ويرى مناظر تبعث الرعبفي قلبه (هلوسات بصرية).

وقد تتسلط عليه المعتقدات الوهمية الزائفة، فيعتقد مثلا أن البوليس يراقبه، أو أن الجواسيس تتبعه ظظلله أينما ذهب، كما أنه كثراً ما يعتقد في خيانة زوجه له.

ويسبب استنشاق الكوكايين تخديراً للغشاء المخاطى للأنف، فتفقد الأنف بالتدريج قدرتها على الإحساس، ويتعرض مدمن الكوكايين لإصابة أنفه بالجراثيم. وسرعان ما يتكون على الحاجز الأنفي الذي يفصل بين فتحتى الأنف، ورم لا يلبث أن يتآكل ويتقرح محدثاً ثغرات في هذا الحاجز. ويفقد المدمن شهيته للطعام، ويصاب بفقر الدم (الأنيميا) والضعف العام، وينقص وزنه ويلازمه الأرق المزمن.

ولا يعتنى المدمن بنظافه هندامه أو ترتيب ثيابه. ويبدو المدمن في مظهره شاحب اللون، كالح البشرة، مصفرة الوجه، أزرق الشفتين، محتقن العينين، منكوش الشعر، هزيل الجسم، ضعيف البنية، يسيل المخاط من أنفه بكثرة.

وكل ما يستطيع عمله هو الهيام على وجهه في الطرقات مرتديا الرث من الثياب التي لا يبدو عليها أي أثر للترتيب أو النظافة.

وإذا لم يفلح المدمن في الحصول على جرعة الكوكايين في ميعادها فإنه يصاب بنفس الإعراض التي تصيب مدمن المورفين في مثل هذه الحالة، وقد سبق أن شرحنا هذه الأعراض.

وقد انتشر إدمان الكوكايين في أعقاب الحرب الحرب العالمية الأولى، فأصاب كثيراً من المجتمعات إصابات بالغة حتى كاد يقضى على حضارة القرن العشرين وإنسانية البشر. ولاشك أم كثيراً من المصريين ما زالوا يذكرون ذلك العهد البغيض الذي انتشر فيه هذا الوباء المريع في مصر انتشاراً مروعاً، وما زالوا يذكرون تلك الأسباح الآدمية من مدمنى الكوكايين الذين كانوا يلتقون بهم في الطرقات والسبل وعلى المقاهي وأرصفة الشوارع في الفترة ما بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٣٠.

وفي تلك الفترة، كتب مُحَمَّد تيمور مسرحية "الهاوية" التي أسهم بها في إفهام الشعب المصرى المضار التي تنتج من إدمان الكوكايين. وسنحاول في السطور التالية أن نعطى القارىء خلاصة وافية لهذه المسرحية.

مسرحية الهاوية

تأليف: المغفور له الأستاذ محمد تيمور

يظهر لنا في الفصل الأول من هذه المسرحية، "أمين" ذلك الشاب الغنى الذي ورث عن أبيه ثروة طائلة في سبيل جريا وزراء شهوات نفسه وملذاتها حتى انحدر مسرعاً إلى هاوية الكوكايين. ونرى أيضاً صديقيه "شفيق" و "مجدى" وهما من ذلك النوع من الناس الذين يرافقون الشبان الوارثين الأغنياء، فيتمتعون بما يتمتع به هؤلاء ويعيشون متطفلين عليهم.

ونعلم أن أمين قد تزوج من "رتيبة" وهي فتاة من فتياتالتربية الجديدة، تحب اللهو واللعب والتسلية؛ أما حكمت هانم والدة أمين وكذلك أحمد يسرى خاله فهما غير راضيين عن أمين لاندفاعه مع لافيقه في طريق السوء ولعرضه بيع عزبته بالمزاد لينفق ثمنها على الخمر والكوكايين والنساء.

ويؤنب أحمد يسرى ابن أخته أمين على سلوكه وتصرفاته وخاصة بعد أن قدم أمين زوجته رتيبة إلى صديقيه للتعارف.

وتدور مشادة عاصفة بين أمين من ناحية وبين أمه وخاله من الناحية الأخرى. ويكون أمين في أثناء هذه المشادة واقعاً تحت تأثير الكوكايين فيتهيج ويسب خاله ويشتم أمه ويطردهما من منزله.

وتدور حوادث الفصل الثانى بعد أربعة شهور في منزل شفيق. وتفهم أن "شفيق" ينتظر زيارة رتيبة زوجة أمين– تلك الزوجة التي نكبت في زواجها والتي أمكن لشفيق أن يخدعها بكلماته العاطفية المعسولة. وبينما ينتظر شفيق حضور رتيبة إذا به يفاجأ بزيارة مجدى؛ ويحاول شفيق أن يصرف مجدى مقابل إعطائه ثلاثة جنيهات ليشترى بها السم الأبيض (الكوكايين). وما يكاد مجدى يتأهب للخروج حتى تدخل رتيبة التي تفاجأ بوجوده. وبعد خروج مجدى يستعد شفيق ورتيبه لقضاء وقت اطيف ولكنهما يسمعان فجأة صوت أمين الذي قدم ليزور صديقه شفيق وهو في حالة شديدة من السكر.

وتضطر رتيبة إلى الاختباء في غرفة النوم ولكنها تنسى مرحتها على المنضدة.

ويدخل أمين الذي يستنتج من ارتباك شفيق ومن وجود بعض زجاجات الخمر وبجوارها كأسأن، أنه لا بد من وجود إحدى النساء بمنزل شفيق وأنها لابد مختبئة في حجرة النوم.

ويحاول أمين الدخول إلى حجرة النوم ليرى من تكون السيدة، ولكن "شفيق" يمنعه. ويرى أمين المروحة التي نسيتها زوجه على المنضدة فيخبر شفيق بأن هذه المروحة لا يوجد منها في مصر كلها سوى اثنتين، الأولى اشترتها زوجه رتيبة والأخرى اشترتها لطيفة هانم أخت صديقهما مجدى؛ ويستنتج أمين أن السيدة المختبئة لابد أن تكون شقيقة مجدى.

وبعد أن يغادر أمين منزل شفيق، تخرج رتيبة من غرفة النوم وقد هدها الخوف وزلزل كيانها شبح الفضيحة التي كانت على وشك الحدوث، فتفيق إلى نفسها وقد أدركت مغبة فعلتها الطائشة، فتغادر منزل شفيق قائلة له إنه لن يراها بعد اليوم، وإنها ستفعل ما أمر به الشرف والواجب. وتدور حوادث الفصل الثالث في اليوم التالى لحوادث الفصل السابق في قصر أمين حيث يدور حديث بينه وبين أمه وخاله بخصوص الغربة التي يزيد أمين أن يبيعها لشفيق بسعر خمسين جنيهاً للفدان بينما يرفض بيعها لخاله أحمد يسرى بسعر مائه جنيه للفدان

وبعد أن ينصرف يسرى غاضباً، يدخل مجدى في حالة شديدة من الضجر إذ إنه لا يملك نقوداً يشترى بها الكوكايين، فيعطيه أمين جنيها، ويدور حديث بين الاثنين يستنشقان في أثنائه مسحوق الكوكايين بشراهة غريبة فتغلب عليهما حالة الضحك والمرح التي تعقب استنشاق هذا العقار.

ويتطور الحديث بين مجدى وأمين الذي يتهم أخت مجدى بأنها كانت في منزل شفيق اليوم السابق، ولكن مجدى سرعان ما يرد له الإهانة فيخبره بأن السيدة التي كانت في منزل شفيق إنما هي رتيبة وأنه قد رآها بعينيه. ويثور أمين فيحاول خنق مجدى الذي يفلت من بيد يديه وتنتهي المشاجرة بطرد مجدى من منزل أمين.

ويستنشق أمين مسحوق الكوكايين ثم يستدعى زوجة رتيبة فتدور بينهما مناقشة عنيفة يتهمها في أثنائها بأبشع التهم؛ أما رتيبة فتعترف بأنها

كانت حقيقة في منزل شفيق، وأنها كانت على وشك أن تزل معه، وتتهم زوجها بأنه هون الذي تسبب في ذلك بسلوكه المشين وتصرفاته المخزية. ويزداد هياج أمين وترتعش يداه ويهجم عليها ليخنقها ولكنه يحس بأزمة حادة إذ أن تأثير الكوكايين كان قد انتهي، فيصبح كالمذبوح: لازم. آه. آه. آه (يتوقف عن خنقها) آه حموت. هوا. هوا. ميه ميه

يسقط كل كرسى) هوا. هوا. ةميه. شفيق هوا. (يقول ذلك وهو يفك رباط رقبته ويخلع باقته) هوا.

رتيبة: مالك يا أمين؟

أمين: (بصوت مرتفع:) آه. ابعدى. ابعدى عنى. هوا . هوا ميه.

موت.حموت. شفيق. حموت. تنشيقة. كوكايين. هوا

رتيبة: الله. الله. مالك يا أمين (تسرع لجهة الباب الخصوصي وتفتحه وتنادى حماتها) نينا. نينا. يا نينا. تعالى قوام.

حكمت: (من الخارج): جرى إيه؟

رتيبة: أمين عيان قوى. الحقينا تعالى (تعود لأمين)

أمين: آه. تنشيقة. حموت. أموت شفيق. أما السبب. تنشيقة.رتيبة حموت.

(تدخل حكمت ويسرى).

حكمت: جرى إيه. جرى إيه؟

رتيبة: أمين يانينا شوفي ماله

حكمت: (تذهب لأمين فتراه ملقى على الكرسي. تركع بجانبه) مالك يا أمين. روحى. حبيبى. رد على.

أمين: (يفوق قليلا) آه. نينا. حموت. حموت يا نينا. (يبكى) آه.

حكمت: مالك ياخويه. رد على يا حبيبى. قولى مالك؟

أمين: (النوبة تعود) هوا. هوا. ميه قوام. ميه قوام.

حكمت: هاتى ميه يا رتيبة (تسرع رتيبة ويسرى ويحضران كوبة ماء) مالك يا خويه قوللى

أمين: هوا ميه.

حكمت: (تأخذ كومبة الماء من رتيبة وتعطيها لأمين) اشرب يا خوبه
أمين: (يمسك بالكوبة ويهم بشربها فتقع من يده وتنكسر على الأرض وتأتيه النوبة بشدة) هوا. ميه.. آه حموت.

حكمت: يا خويه شوف ماله (يقترب يسرى)

أمين: (يفوق قليلا) آه الحمد لله. كنت حموت. (يرى خاله فيهم واقفاًوصارخاً) آه وأنت يا راجل جى تعمل ايه؟ تطلع بره.. اطلع بره. أكرهك. أموتك آه. هوا ميه. هوا حموت. شفيق. تنشيقة.

حكمت: يا روحى قولى مالك. مالك يا حبيبى. اكلم يا سيدى.

وحى أنت يا حياتى.

أمين: (في حالة نوبة) أن السبب في اللا جرى. آه (يبكى) شرفي تنشيقة وسكى. كوكايين. شفيق. رتيبة. هوا . ميه.

يسرى: عليك بالإرادة يا أمين. الإرادة هي اللى تنجيك. الإرادة يا بنى.

أمين: هوا. ميه. شفيق. تنشيقة. كونياك. رتيبة مجدى. هوا. ميه. شبين الكوم. تنشيقة. أبو الأحمر. هوا.

يسرى: الإرادة يا أمين يا ابنى (يقترب منه) الإرادة يا أمين. تفلب على نفسك

أمين : (يكون قد فاق قليلا ولكنه يرى خاله فيهجم عليه صارخاً) آه (يمسك يتلابيب خاله ويهزه) اطلع بره يا راجل. بره. اطلع بره (لا يمكنه أن يستمر فيقع على الكرسي) هوا. ميه. تنشيقة. رتيبة أنا السبب حكمت: عملتى فيه إيه يا رتيبة؟ عملتى فيه إيه؟

أمين: (في حالة سيئة جدا وهو ملقى على الكرسي. وبتشنجات شديدة) هوا. ةهوا عاوز هوا رتيبة . شرفي. تنشيقة. أبو الأحمر كوكايين. هوا. هوا. هوا. هـ.. وا... كو... كا... يين... تن.. شقيه.

حكمت: أمين. أمين (لايرد عليها) رد على يار وحى. اكلم يا حبيبى. الله ماله يا خويه ما بيردش ليه؟ أمين روح أمك. عيونى. رد يا خويه. اكلم يا حبيبي. الله أخويا شوف يا خويه؟ ماله؟ كان كويس دلوقتى (يسرى يقترب منه وهو في حالة يأس ويقلب فيه). مش طيب يا خويه؟ أيوه يا خويه طيب مش كده. أمين. بس اكلم يا بنى. طمنى يا روحى (يسرى يهز رأسه) أمين والله ما بيكلمش. خلاص. بعد الشر. بعد الشر. لأ. لأ. لأ.

آه أمين (ترتمي عليه) حبيبي روحي.

أمين (تبكى وتشهق).

يسرى: (واقفاً بجوار أمين) أدى آخرتك ياللى ما بتحاسبش على نفسك، ولا على بيتك ولا على شرفك. أدى آخرتك ياللى بتمشى في السكة اللى ما بيرجعش منها حد.

(وتنزل الستار بينما يقول يسرى هذا الكلام وتكون حكمت مرتمية على أمين، وتكون رتيبة مرتمية على كرسى وهي تشهق وتبكى).

وقد وفق المؤلف في رسم شخصية مدمن الكوكايين ممثلة في "أمين" وخاصة في المشهد الأخير عندما يحس أمين بحاجته الشديدة لجرعة من الكوكايين ولكن أحداً لا يسعفه بها، فتظهر الرعشة في يديه، ويحس بآلام هائلة في جسمه، ويصبح في حالة فظيعة من عدم الاستقرار والاضطراب، ويختلط ذهنه فيهذ بكلام لا ترابط فيه. ويظل كلك حتى يصاب في آخر الأمر بالهبوط والإعياء.

أما وفاة أمين فلا تخرج عن كونها حادثاً دراميا أراد به المؤلف إسدال الستار على المسرحية بمشهد مفجع.

ادمان الحشيش

يستخرج الحشيش من نبات القنب الهندى، وينتشر استعماله بين الشعوب الإفريقية، والهندية.

ومتعاطى الحشيش قد يأكله بوضعه في القهوة، أو في أية مادة سكرية، كما قد يبلعه على هيئة حبوب أو برشام، أو قد يدخنه في السجائر أو الجوزة.

ويختلف مفعول الحشيش من شخص لآخر وكذلك من جنس لآخر. فشعوب الشرق الأوسط والهند يجلب لهم الحشيش الهدوء والمرح والسرور، كما ينبه لديهم قوة الخيال، وسرعة البديهة والميل إلى الدعأبة وكثرة الكلام والضحك.

تتأثر في مدمن الحشيش القدرة على تقدير المسافة والزمن والمكان، فقد يحدث أن نسأل الشخص سؤالا وهو واقع تحت تأثير الحشيش، فلا يجب علينا إلا بعد مضى فترة طويلة من الزمن، بينما يعتقد هو أنه أجاب على السؤاتل في اللفحال، وكثيراً ما يحدث للمدمن أن يرى الطريق إلى منزله شاقا مجهداً نتيجة لخطئه في تقدير المسافات.

ويصاب الجهاز العصبى للمدمن بالتخدير، فتتبلد الحواس، ويضعف الإحساس؛ ويتميز المدمن بالكسل، والضعف، والذهول، والميل إلى القناعة بالماضي الجميل، وضعف الهمة، وخور العزيمة، والتواكل، وعدم

التطلع للمستقبل، والهروب من المسئولية، والاندفاع في تيار الإنحلال الخلقى.

ومتعاطى الحشيش تظهر لديه هلوسات سمعية وبصرية من نوع محبب لذيذ، فيخيل إليه مثلا أنه يرى أمامه فيلماً من أفلام السينما تدور حوادثه حول قصة ألف ليلة وليلة، كما يضعف إحساسه بالألم، وتحتقن عيناه، وتزداد شهيته للطعام؛ وعندما يفيق من تأثير الحشيش، لا يذكر في الغالب شيئاً مما حدث.

ومع طول فترة الإدمان، يتخذ المدمن طابعاً معيناً في طريقة الكلام، كما يبدو محتقن العينين، مصفر الوجه ضائع الرشد، وقد ينتهي الأمر به أخيراً إلى الجنون .

وقد رسم الأستاذ توفيق الحكيم في أحد مناظر مسرحيته "شهر زاد" صورة لمدمنى الحشيش سننقلها إلى القارىء بنصها.

نحن في خان "أبى ميسور" حيث يجتمع المفتونون بدخام القنب، وقد استلقى جلاد الملك شهريار على فراش وثير.

أبو ميسور: انهض أيها الجلاد المفلس! ليس هنا مكانك؟ بالباب تاجران من تجار البصرة الموسرين. قم ،اخل المكان.

الجلاد: (بلا حراك) ومن قال لك انني هنا!

أبو ميسور: ألست هنا؟

الجلاد: كلا.

أبو ميسور: حسبت أنك هنا. (ينصرف ثم يعود بالتاجرين.. وهما شهريار الملك ووزيره قمر) أفسحوا طريقاً للسيدين الكريمين.

قمر: (يهمس للملك) أكان ينقصنا المجيء إلى هذه البؤرة إلى هذه البؤرة بعد تلك لأسفار الطويلة.

شهريار: اتبعني صامتاً...!

قمر: أيليق بمثلنا الوجود في هذه الدار؟

شهريار: ما أرغمتك يوماً على مرافقتي.

أبو ميسور: (يقودهما على حافة بساط) امشيا رويدا... رويداً.

قمر: انظر يا مولأي إلى ما يفعل!

أبو ميسور: الزما الشاطىء في حذر وإلا ابتل نعلاكما..

قمر: (همساً) عجبا! يحسب البساط بحراً..

شهريار: صه يا قمر وامتثل، فهو يرى أكثر مما –

قمر: أتمزح؟

شهريار: أجلسنا يا صاحب الخان!

أبو ميسور: (يشير إلى الفراش الوثير) تفضلا...

شهريار: (يلمح الجلاد) من هذا الرجل الراقد ها هنا.

أبو ميسور: رجل ؟ أين؟؟

شهريار: على الفراش، ألا تراه؟

أبو ميسور: رحل؟ كيف يصل إلى فراشنا رجل؟ وفراشنا أنظف فراش!

شهريار: (يشير إلى نافذة في المكان) لعله جاء مع الريح من هذه النافذة.

أبو ميسور: (يخلع نعله)؟

شهريار: ماتصنع؟

أبو ميسور: أقتله بنعلى.

شهريار: بل التقطه بأصبعيك وألق به خارج المكان.

أبو ميسور: (يمد يده إلى الجلاد...) عجباً...!

شهريار: ماذا؟

أبو ميسور: له ساق كساق الرجل!

شهريار: شبه لك يا أبا ميسور! من أين يأتيكم الرجل؟

أبون ميسور: (يفحص ساق الجلاد) صدقت. إذن ما هذه؟

الجلاد: (بغير حراك) لا تلمسها وصاحبها غائب.

قمر: (يهمس) مولأي! هذا جلادك القديم!

شهريار: غائب أين؟ وكيف ترك ساقه ها هنا ...؟

الجلاد: تركها مزروعة في الأرض، وهل خلقت الساق لتسير؟

شهريار: عجباً! ولم خلقت الساق إذن؟

الجلاد: لتبقى مزروعة في الأرض، تحمل الجذع والأغصان والأفنان.

أبو ميسور: وأين صاحب هذه الشجرة التي لا ثمر فيها؟

الجلاد: قد عاد منذ لحظة، هناك، في القاعة الأخرى. وها أنذا أنهض لقائه... (ينهض الجلاد على قدميه وينصرف)

أبو ميسور: (يشير إلى الفراش الخالى) هيا اعتليا جناحي هذا الطير!
(ببنصرف هو الآخر)

قمر: الطير؟ أي طير ...؟

شهريار: (وهو يجلس على الفراش) طير الرخ!

قمر: أتمزح؟ إني ما إخالك إلا هازلا بمجيئك إلى هذا المكان. أو يعجبك كلام أنصاف المجانين هؤلاء؟ أنظر إلى القاعة الأخرى! ما بالهم مسندين إلى حائط الدار هكذا؟ لا شيء والله أشبه حقا بأعجاز النخل الخاوية من هؤلاء الآدميين!

شهريار: نعملهم! الهاربون من أجسادهم!، وفي موضع آخر من المنظر نفسه يدور الحديث التالي:

أبو ميسور: (يظهر عجباً! لست أرى دخاناً ولا مدخنيين!
شهريار: وهل أحضرت لنا شيئاً؟

أبو ميسور: (يبحث ببصره) قبحاً للجلاد المفلس! ذهب اللعين بأدوات الموسرين.

شهريار: (يشير إلى السيف المعلق) من أتى بهذا السيف هنا يا أبا ميسور؟

أبو ميسور: هذا السيف باعه لي الجلاد بدين عليه.

قمر: كم تأخذ فيه؟

شهريار: أو تشتريه يا قمخر؟ ما تصنع به؟!

قمر: (يعطى أبا ميسور مالا ويأخذ السيف في صمت)؟

شهريار: وبعد يا أبا ميسور! أتريد أن نرحل قبل أن تحضر لنا ما طلبنا؟

أبو ميسور: (يصيح حانقاً) أيها الجلاد! وحق روحك الضالة ما رأيت أصفق منك وجهاً! أتدخن في أدوات الموسرين!

الجلاد: (من القاعة الأخرى) وأي جناح ما دمت منهم.

أبو ميسور: من زعم هذا، وأنتع أشد إفلاساً من موتي الهنود!

الجلاد: ألك في أن تملأ دارك ذهباً؟

أبو ميسور: متى؟

الجلاد: الليلة إذا شئت، أحضر ما عندك من آنية أملؤها لك تبراً أنقى من رماد أجساد موتي الهنود!

أبو ميسور: ومن أين جاءك هذا الثراء؟

الجلاد: صاحبي العبد.

أبو ميسور: صاحبك العبد! أهو حتى بعد؟

الجلاد: وعما قليل يأتي.

أبو ميسور: وما لأخباره انقطعت من يوم أن سافر ملك المدينة !
الجلاد: كان في سرير من حرير يؤنس ملكة المدينة!

ويصور لنا المؤلف في هذا المشهد الكسل المتناهي والتبلد الذهني والخطأ في معرفة الأشياء والأشخاص والمكان وتبلد الحواس والتصورات والهلوسات الغريبة والتخيلات العجيبة والتصرفات الشاذة التي تطبع مدمني الحشيشي بذلك الطابع الخاص الذي يصفه الوزير قمر بقوله: لا شيء والله أشبه حقاً بأعجاز النخل الخاوية من هؤلاء الآدميين!

المراجع العربية

- أسس علم النفس : للدكتور عبد العزيز القوصي
- أسس الصحة النفسية: للدكتور عبد العزيز القوصي
- المجمل في التحليل النفسي: تأليف دانييل لاجاش– ترجمة الدكتور مصطفى زيور وعبد السلام القفاش
- أسرار النفس: للأستاذ محمد حسن ظاظا
- مسرحية هملت
  سيكاوجية المرضى وذوى العاهات: للدكتور مختار حمزة
- عقلي وعقلك: للأستاذ سلامة موسى
- علم النفس في حياتنا اليومية: للدكتور محمد عثمان نجاتي
- في التحليل النفسي: للدكتور مصطفي زيور والدكتور أحمد فؤادد الأهواني.

***

تاريخ العالم (العصر الهيلينى إلى الإمبراطورية الرومانية) تأليف السير جون هامرتن.

قصة الحضارة (الحضارة الرومانية) تأليف "ول ديورانت" ترجمة محمد بدران

المراجع الأجنبية

Adams	Drug Addiction	London	1937
Alder	The Neurotic Constitution The Practice&Theory Of Individual Psychology Le Tempérament Nerveux	London London Paris	1917 1924 1924
Blondel	La Psychanalyse	Paris	1924
Conklin	Principles Of Abnormal Psychology	NewYor k	1923
Conybeare	Text Book Of Medecine.3rd.ed	London	1938
Frued	Interpretation Of Dreama Three Contrivutions to The Theory Of Sex Selected Papers on Hysteria& Otber Psychoneuroses	London Washingt on New York & Washingt on	1913 1920 1920
Gordon	The Neurotic Personality	London	1927
Gowers	Epilepsy&Other Convulsive diseses	London	1901
Hart Henderson	Psychology Of Insanity	New York	1937
&Gillespie	A Text Book Of Psychiarty.6th ed.	London	1944
Jackson	Selected Writings, Vol. I, on		

	epilepsyand epileptiform Convulsions	London	1931
Juhn	The Frist Lunatic Asylum Eassy Published in ciba Symposium Vol, IV,NO.5)	London	1956
Jung	Collected Paopers on Analytical Psychology Psychological Types Psychology of theUnconscious	London London London	1916 1923 1938
Kretschmer	A Text Book of Medical Psychology.trans. by E B. Strauss	London	1934
Lennox	The petit Mlepilepsies.JAAFA .CXXIV TO69	New York	1945
Mlaier	Lacacaine	Paris	1923
Mapother	The Psysical Basis of Alcoholic Mental Disorders. British. J. InebreirtyXXXVI, 103.	London	1938
McDougall	Abonormal Psychology Psycho-Analysis& Social Psychology	London London	1928 1936
Nicol	Neurosyphilis The Diagnosis & treat. Of Juvenile general paralysis	London London	1948 1936

Price	A text Book of the Practice of Medecine 8th. ed	London New York Tornoto	1950
Radovici	La Neurosyphilis. Clinique et trait.	Paris	1929
Ross	The Conmon Neuroses An Introduction to Analytical Psycho- Therapy	London London	1923 1923
Roustan	Psychologie	Paris London	1928
Russeel	Diseases of Nervous System 4th .ed	New York Tornoto	1951
Brain			
Scott	The Morphine Habit.2nd.ed	London	1937
Woodwort h	Contemporary Schools of Psychology	London	1931

الفهرس

الفصل الثاني

الباب الثالث